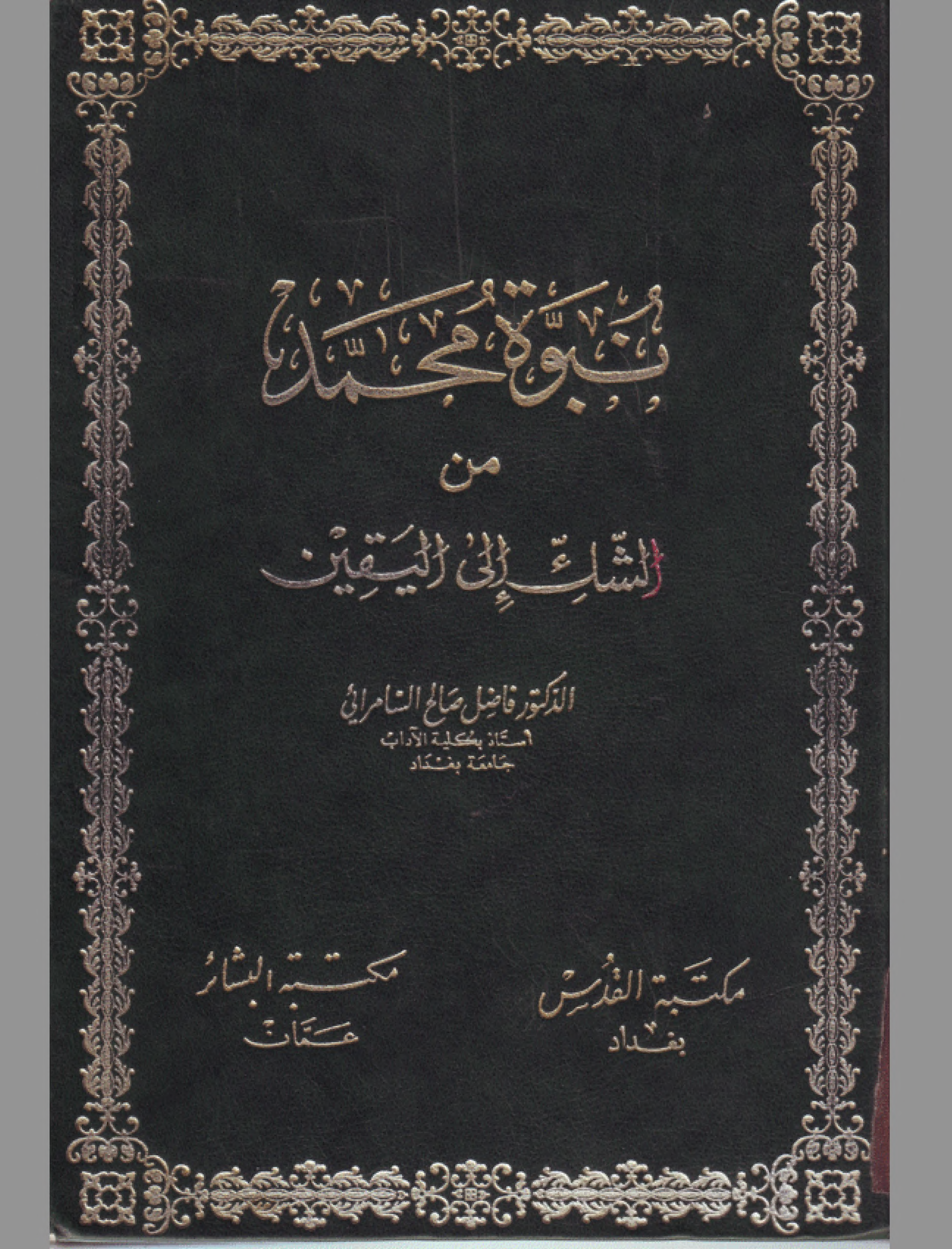

نبوة محمد
من
الشك إلى اليقين
الدكتور فاضل صالح السامرائي
أستاذ بكلية الآداب
جامعة بغداد
مكتبة القدس
بغداد
مكتبة البشائر
عمان

نبوة محمد

من

الشك إلى اليقين

الدكتور فاضل صالح السامرائي
أستاذ بكلية الآداب
جامعة بغداد

مكتبة القدس
بغداد

ـ محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ط٣، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م
ـ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد (سابقاً القسيس إبراهيم خليل فيلبس) نشر مكتبة الوعي العربي
ـ مختصر التذكرة للإمام محمد بن أحمد القرطبي (اختصرها الإمام عبد الوهاب الشعراني) المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٦هـ
ـ مصطلح الحديث تأليف العلامة الشيخ عبد الغني محمود ط٢، ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م مطبعة الفتوح الأدبية بمصر
ـ مطلع النور لعباس محمود العقاد كتاب الشهر ديسمبر ١٩٦٨ م
ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري شيخ الإسلام ـ طبع بدار إحياء الكتب العربية ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م
ـ هداية الحيارى من اليهود والنصارى للإمام ابن قيم الجوزية طبع بهامش الفارق بين المخلوق والخالق
ـ الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ط٥ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م
ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لجمال الدين أبي المحاسن عبد الله بن السيد الشريف السمهودي ـ مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣٢٦هـ.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده وصلى الله على سيدنا محمد إمام الداعين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه وبعد :

فإن موضوع هذا الكتاب يخصّ كل فرد من عقلاء خلق الله بلا استثناء ، أقول موضوع هذا الكتاب ولا أقول هذا الكتاب ، وذلك أنه يبحث في موضوع نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ الذي ادعى أن الله أرسله إلى الناس كافة يبلغهم منهاج ربهم وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأن شرعه ناسخ لما مضى من الشرائع فمن أطاعه رضي الله عنه وجعله في سعادة دائمة وأدخله الجنة ومن عصاه كان في شقاء دائم وأدخله ناراً وقودها الناس والحجارة .

وهذا موضوع خطير يخص كل فرد ويعنيه وجدير بكل فرد أن يتحقق من صدق هذا الادعاء ويتبينه ويوليه من الاهتمام أبلغه ومن البحث أصدقه حتى يقع على حقيقة الأمر .

وعليه أن يترك وهو في سبيل البحث والتمحيص كل نوع من أنواع الهوى والعصبية فإن ذلك أقرب أن يوصله إلى الحكم السليم .

ولماذا الهوى هنا ؟ ولمصلحة من يتعصب ؟

قد تكون في الهوى والعصبية مصلحة في غير هذا الموضوع أما في هذا الموضوع فالمصلحة الحقيقية لكل فرد أن يترك الهوى ويبحث إلى أن يقف على بينة الأمر ، ثم ينطلق من هناك .

فإنه ينبني على هذا الموضوع سلباً أو إيجاباً تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك لأن المسألة مسألة مصير ، مصير كل فرد بعينه .

ويصح بل يجب أن يكون هذا الموضوع الشغل الشاغل للفرد يبحث ويسأل ويستعين ويستنجد ويستغيث حتى يقف على جلية الأمر .

وهذا موضوع طالما شغلني وأنا في أول الشباب ومقتبل العمر ، وقد كان قبل هذه المسألة مسألة (الإيمان بالله) .

فإن الله سبحانه وهب لي عقلاً متشككاً أبلغ درجات الشك وقد كانت مسألة الإيمان بالله تبرّحني وكان الهمّ يسيطر على نفسي وقلبي في الليل والنهار في النوم واليقظة ولا أبالغ إذا ما قلت إن هذه المسألة كانت تقطع عليّ النوم . وكثيراً ما كنت وأنا أسير في الطريق لا التفت إلى من يمر بي أو يسلّم عليّ وكثيراً ما يمسك بي صديق فيقول : أين أنت يا فلان ؟! فأستيقظ وأنا سائر وقد كنت غارقاً في تفكير عميق .

وكنت أظن أنه ليس على وجه الأرض فرد مؤمن بل كلهم أناس يخفون شكوكهم وكنت أرى أن الناس كلهم ملحدون ولكن منهم من يجهر بإلحاده ومنهم من يبرقعه .

وكنت أظن أنه ليس ثمة شخص في الدنيا يتمكن من إقناعي بوجود الله . وكنت مستعداً أن أهب كل عزيز لمن يقيم لي الدليل على وجوده .

فإن هذه المسألة أخطر مسألة في الوجود في اعتقادي إذ كان يتنازعني أمران : اللذة والحرمان .

أأنتهز الفرصة وأنهب لذات الحياة وأتمتع بها ما استطعت كيف أشاء أم أتصبّر وأسير في طريق الحرمان فلعل هناك إلهاً يدين الناس ويحاسبهم على أعمالهم ؟

في أي درب أسير ؟ أفي طريق اللذة أم في طريق الحرمان ؟

وكثيراً ما كنت مع نفسي في حوار طويل وأخذ ورد ، في أي درب أسير ، أأسير في طريق اللذائذ والشهوات فإنها فرصة لن تعود أم أتصبّر وأحرم نفسي ؟

وهل يصحّ ترك هذه اللذائذ لأمر محتمل غير محقق الوقوع ؟!

ثم لا يلبث أن يصيح بي هاتف آخر : ويلك أصبر فلعلك تحاسب عما ستفعل . فاقف .

واظن أن هذه الحال هي حال أكثر شبابنا اليوم .

بقيت في هذا الهمّ **المقعد** والحيرة القاتلة مدة غير قليلة ثم قررت ، قررت أن أبحث حتى أصل إلى نتيجة مهما كلف هذا الأمر من وقت وتضحية . وعزمت عزماً أكيداً على السير في هذا الدرب مهما طال حتى أصل إلى شيء : إيمان أو إلحاد .

وبدأت في البحث والتمحيص ، ولا أكتم القارىء أني كنت أقرأ الكتب الضخمة فلا أرجع منها بشيء ولا أنتفع بكلمة ثم اتركها لأقرأ غيرها فما كانت تبلّ الظمأ ولا ارجع من حيرتي إلا إلى حيرة أشد . واستمررت وأنا عازم على السير لا أكلّ ولا أفتر حتى فتح الله عليّ بالإيمان ومنّ باليقين لما علم من صدق عزمي على المضّي وشدة رغبتي إلى الوصول .

وما زلت والله أذكر (يوم الإيمان) فوالله ما وجدت ساعة في حياتي أحلى من ساعة الإيمان ولا يوماً أضوأ ولا أزهر من يوم الإيمان .

الوجود حولي كله تغيرّ ؛ الطير والشجر ، والنهر والحجر ، والكوكب والشمسُ القمر . أحسست تجاوباً عميقاً وصلة وثيقة بيني وبين هذا الوجود ، لم كنت منقطعاً عن ركب الوجود ؟

نفسي اليوم غيرها بالأمس ، أحسست كأني ولدت ولادة جديدة ، كأني جئت إلى هذا الوجود من جديد .

أضاءت جوانب النفس وأشرقت حنايا الفؤاد وامتلأت نفسي بالنور ، أحسست هذا النور حتى كدت أراه . ولت الظلمة هاربة . القيت عني الحمل الثقيل واستراح القلب وسكنت النفس وهدأ الضمير وشعرت بالأمن والاستقرار . وتنفست الصعداء ثم تنفست الصعداء .

رباه ! ما أحلى الإيمان ! ما أعذب اليقين ! ما أحلى عيش المؤمن وما أنكد عيش الملحد الكافر !!!

رحماك يا رب . . . اللهم لا تسلبني نعمة الإيمان ولا تخلع عني رداء اليقين ومتعني به إلى يوم ألقاك .

وكنت أرى أن عليّ أن أحافظ على هذا اللقي الثمين وأحصنه وأحميه من الضياع فكنت أقرأ عن عجائب مخلوقات الله وأطيل التفكر في آيات الله في الكون ، فكنت أرى صنع الله متجلياً في كل شيء في الزهرة الجميلة والعطر الفواح وفي الماء الجاري والكوكب اللائح والبدر المنير. رأيته في كل شيء وما كنت أراه في شيء. وكدت أهتف كما هتف الذي رأى صنع الله في الزهرة وذلك أن أحد علماء الأحياء بينما كان في مختبره هتف صائحاً : رأيت الله ! فاجتمع إليه تلاميذه وسألوه عن الأمر فقال : لا تراعوا فقد أراني المجهر في هذه الزهرةمن دقة الصنع وبراعة الوضع ما حيرّ عقلي وأخذ بلبي وأثبت لي أن هذا لا يمكن أن يحدث نتيجة فواعل طبيعية لا تدرك ما تصنع .

رأيت يد القدرة الخفية تمتد إلى كل شيء تحوطه بالعناية والرعاية .

ومرت الأيام ثم برزت مشكلة أخرى أخف حملاً من صاحبتها إلا أنها كانت تأخذ مني مبلغاً كبيراً من الجهد والتفكير أيضاً وتملأ صدري بدخان من الشك والارتياب .

هذه المشكلة هي موضوع هذا الكتاب : هل محمد نبي أرسله الله حقاً ؟ هل الإسلام وحده هو الدين المرضي عند الله ؟ لماذا لا تكون اليهودية أو النصرانية أو غيرهما ؟

هذه المشكلة أخذت مني مأخذاً غير قليل ، وكنت أعزف عن الاستدلال بالقرآن ظناً مني أن ليس فيه دليل .

وقلت لا بد من السير في هذا الطريق أيضاً فإن الله كما رحمني في الأولى سيأخذ بيدي في الثانية ولن يضيعني واستعنت الله وطلبت منه الهداية والتوفيق .

وكنت أريد الدليل العقلي على نبوة محمد لا الدليل القرآني فقد كنت أرى أن

القرآن دليل ادّعائي لا عقلي ، ثم وجدت وأنا سائر في هذا الطريق أن الدليل العقلي الذي أنشده هو في القرآن وأن أدلة القرآن عقلية لا إدّعائية تقنع طالب الحجة وصاحب البرهان .

ثم قرأت التوراة والإنجيل أكثر من مرة موازناً بينها وبين القرآن فوجدت القرآن أصفى اعتقاداً وأنأى عن التشبيه والتمثيل وعما لا يليق بالله وبرسله ،وجدت أنّ كلاً من التوراة والإنجيل لا يعدو أن يكون كتاب سيرة اختلط فيه الحق والباطل وامتدت إليه يد التحريف ـ كما سنرى ـ وهذه الناحية برزت منذ القراءة الأولى ثم أعدت النظر في قراءتي حتى استقرت نفسي والحمد لله واطمأن القلب إلى سلامة ما نحن عليه .

وكنت أرى لزاماً عليّ أن أنقل هذه التجربة إلى الآخرين اذ لا شك أن فيهم من عانى مثل ما عانيت فأضع في طريقه مصباحاً أو اختصر عليه الطريق ، فأنفع وانتفع . فكتبت (نداء الروح) ـ باكورة انتاجي ـ في الإيمان بالله واليوم الآخر وأجلت موضوع هذا البحث إلى الآن ولعل في تأجيله خيراً .

هذا هو السبب الأول في اختيار هذا الموضوع .

والسبب الثاني لاختيار هذا البحث ـ وهو سبب مهم ـ أن هذا الموضوع موضوع رئيس ينبني عليه تصحيح اعتقاد وتصحيح سلوك ـ كما قلت ـ .

فإذا آمنا بصحة هذه القضية قلنا بكل ما يترتب عليها من أمور جزئية ورفض كل ما يخالف هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من دون تكليف أنفسنا في النظر في الجزئيات الكثيرة التي لا تكاد تنتهي .

وهذه مسألة كبيرة وبخاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه الفلسفات وتشعبت فيه المبادىء والآراء . فإن مناقشة كل جزئية وبحث كل فكرة أمر يطول ويطول فالأولى الرجوع إلى مناقشة الأساس الذي تقوم عليه هذه الجزئيات فإما أن يصح فيصح ما ينبني عليه أو ينهار فينهار ما بني عليه . وبذلك نختصر الطريق والجهود ونستفيد من الوقت .

وهذا ما هدفنا إليه ها هنا أيضاً فإنه إذا صحت نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ بالأدلة العقلية صح ما ينبني على هذا الاعتقاد جملة وتفصيلاً من إيمان بأن الإسلام خير الأديان وخير المبادىء وأمثل الطرق وأنه لا نجاة إلا به وإن كل خطوة في غير هذا الطريق ضياع وضلال .

وبذلك تتم الفائدة المتوخاة من أقصر سبيل وأصح سبيل أيضاً .

وهذا هو السبب الثاني الرئيس للكتابة في هذا الموضوع .

وهما دافعان رئيسان كما ترى .

وأقول قبل إنهاء المقدمة أن القارىء قد يجد تعبيرات لا يرتاح إليها مثل قولنا (أعلن محمد في القرآن) أو (ادعى محمد) وما شابه ذلك وهذا مجاراة للخصم وهو نحو قوله تعالى : « قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون » فعبّر عن نفسه بالإجرام ، وقوله : « وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ، فأرجو ألا يضيق به القارىء ذرعاً .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه وأن لا يرزأنا في ديننا وإيماننا

فكل خطب له أمر يهونه الا المصيبة في الأخلاق والدين

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٣٩١ هـ
٦ آب ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم زيدان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فإن الكتابة ونحوها من الخطابة والمحاضرة إنما تحسن إذا كان من ورائها مطلب خيّر مقصود يريد صاحبها الوصول إليه ، وبدون ذلك تكون الكتابة وأخواتها نوعاً من العبث أو الترف العقلي المذموم والهاء الناس بما لا ينفع ولا يفيد . . . وخير المطالب الخيّرة على الإطلاق تعريف الناس بربهم وتوثيق صلتهم به ، وشحن نفوسهم بمعاني الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليهم مما سواهما ، وهداية الحيارى منهم ورد الشاردين إلى طريق الله المستقيم ، وتجلية معاني الإسلام لهم ، وإزهاق الباطل المقذوف حول عقيدة الإسلام و«نبي الإسلام» .

وهذا الكتاب الذي أقدم له هو من هذا النمط العالي الرفيع الذي يهدف إلى خير المطالب الخيّرة التي أشرت إليها ، وهو من أحسن وأجود ما قرأت في موضوعه وهو إثبات نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ وما يتعلق بهذا الموضوع الذي هو من ركائز الإيمان وعقيدة الإسلام كما هو معلوم .

والدكتور فاضل صالح ، أسعده الله ، جعل عنوان الكتاب : (نبوة محمد من الشك إلى اليقين) ، مما يوحي إلى القارىء ويتبادر إلى ذهنه أن المؤلف شك وارتاب في نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ثم عاد إليه اليقين . . . ويؤيد هذا المتبادر من العنوان ما ذكره المؤلف في مقدمته وبينه عما اعتراه من شك وارتياب . . . ولكن هذا المتبادر من العنوان وما يفهم من مقدمة الكتاب ، ليس التعبير الدقيق لما اعترى نفس الكاتب

فلا أعتقد أنّ الكاتب أصابه شك أزاح إيمانه بنبوة محمد ﷺ وإنما أصابه شيء من وساوس الشيطان وإلقاءاته وتحرشاته المعهودة بعباد الله المؤمنين .

ولا يقال هذا مني ظن محض ورجم بالغيب واحتمال بعيد وكلام غير صحيح . لأن كل إنسان أعرف بنفسه من غيره .

والكاتب يحدث عن نفسه ويخبر عما وقع له وهو صادق فيما يخبر عنه ويقول ، ويقر على نفسه ،«والإقرار حجة على المقر» كما يقول الفقهاء . . . وأقول رداً على هذا القول المحتمل أن يقال : أن الإنسان لا يكون دائماً أعرف بأحوال نفسه من غيره فقد لا يعرف ما في نفسه أوما في بدنه من مرض .

وإذا أحس به فقد لا يعرف نوعه، وإذا عرف نوعه فقد لا يعرف خطورته ولكن يعرف ذلك غيره من أطباء الأبدان والأرواح ، وإذا كان هذا مسلّماً به فقد يخبر الإنسان عما في نفسه ولا يكون إخباره دقيقاً ولا مطابقاً لما هو الواقع فعلاً في نفسه ، وعلى هذا الأساس قلت ما قلته عن الكاتب وقياساً على ما وقع لي في مرحلة من مراحل عمري الفائتة .

وبيان ذلك أن الشيطان لا شأن له بالقلوب الميتة أو المظلمة المغلقة العمياء ، فقد إنتهىٰ منها ، وإنما همه القلوب المؤمنة فهي التي يبْغي ويحوم حولها ويسعى لايجاد ثغرة فيها لاقتحامها لاطفاء نورها أو إزعاج أهلها بما ينفثه فيها من دخان أسود أو بما يلقيه فيها من زخرف القول الباطل .

ومثل الشيطان في ذلك مثل اللص اللئيم الحاقد على ذوي النعمة فهو لا يحوم حول البيوت الخربة المهجورة فليس فيها ما يغريه على دخولها وإنما يحوم حول البيوت المعمورة المملوءة بما يغريه على إقتحامها وسرقة ما فيها أو على الأقل إزعاج أهلها بجلبته وضوضائه وإلقاء الحجارة عليهم شفاءً لما في صدره من غيظ مكبوت وحقد دفين يدل على ما قلناه ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : أنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال قد وجدتموه ؟
قالوا : نعم . قال ذلك صريح الإيمان .

وفي الحديث الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟

ووجه الدلالة لهذين الحديثين الشريفين أن الشيطان يلقي الخواطر السيئة والوساوس في قلب المؤمن ليكدر صفوّ إيمانه بالله ، ومن المعلوم أن وساوسه لا تقف عند هذا النوع وإنما تشمل كل ما ينافي العقيدة الإسلامية وأصولها مثل الإيمان بنبوة محمد ﷺ واليوم الآخر ونحو ذلك .

وهذا الالقاء الشيطاني يقلق المؤمن ويزعجه ويهيجه كما تزعجه وتهيجه الجراثيم تدخل جسمه ، ويستعظم المؤمن هذه الالقاءات الشيطانية فلا يتكلم بها وإنما يسعى إلى دفعها والتخلص منها كما يسعىٰ من أصابه مرض إلى الخلاص منه . وهذا كله من علامات حياة القلب وشدة حساسيته ضد كل دخيل طارىء عليه ينافي إيمانه . وهذا ما حصل للمؤلف ، فقد استعظم ما أحس به وسمّاه شكاً وهو في الحقيقة نفثٌ شيطاني ظل خارج قلبه لم يقوَ على إقتحامه وإن ظن هو أنه اقتحمه . كالغبار يعلو في السماء فيغطي وجه القمر حسب نظر الناظر مع أنه بعيد بعيد عن القمر . ولهذا لم يتكلم الكاتب بما أحس به وإنما راح يسعىٰ صامتاً يجمع الأدلة والبراهين لقمع هذا النفث الشيطاني وإزهاقه فكان هذا الكتاب .

ولا يقال هنا أو يظن أن ما حصل للكاتب يحصل حتماً لكل مؤمن ، فليس في كلامنا ما يدل على هذا الظن ولا نعتقد هذا ، وإنما الذي قصدناه وأردنا بيانه أن الشيطان من شأنه وعادته الإغارة على قلوب المؤمنين ما وجد إلى ذلك سبيلاً وهذا لا يعني أنه لا يسلم منه مؤمن أو أن غاراته كلها تكون من نمط واحد . . . ومثله في ذلك مثل اللص الحقود اللئيم من شأنه وعادته إقتحام البيوت العامرة ولكن لا يعني هذا أن كل بيت عامر لا بد أن يقتحمه هذا اللص ولا يسلم منه ، وإنما يعني أن كل بيت عامر معرض لاعتداء هذا اللص .

والنبوة مشتقة من الإنباء ، والنبي على وزن فعيل ، وهو إما أن يأتي بمعنىٰ فاعل فيكون المقصود بالنبي المنبىء . وإما أن يأتي بمعنىٰ مفعول فيكون المقصود بالنبي

المنبأ . والحقيقة أن هذين المعنيين متلازمان في إطلاقنا هنا كلمة : النبي لأن النبي هو الذي ينبىء الناس بما أنبأه الله به ، وهو منبأ بما أنبأه الله به وهذا التلازم بين المعنيين ظاهر في الرسول . لأن كل رسول هو نبي وليس كل نبي رسولاً والرسول هو الذي يكلف بتبليغ ما نبأه الله به للناس أما النبي غير الرسول فهو الذي لم يكلف بتبليغ ما نبأه الله به وفي هذه الحالة أي بالنسبة للنبي غير الرسول يمكن أن يقال أن النبي جاء على وزن فعيل بمعنى المفعول فيكون المقصود به : المنبأ .

ولفظ الأنباء وإن كان يعني الإعلام والأخبار ولكنه في عامة موارده في القرآن الكريم يراد به الإخبار عن الأمور الغائبة التي يختص بمعرفتها من يخبر بها دون الإخبار بالأمور المشاهدة التي يشترك في معرفتها مع المخبر غيره من الناس . فمن هذه الاستعمالات القرآنية قوله تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » .

وقال تعالى عن رسوله محمد ﷺ « فلما نبأها به ، قالت من أنبأك هذا ، قال نبأني العليم الخبير » .

وقال تعالى عن يوم القيامة : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم » .

وقال تعالى ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

والإيمان بالنبوات يقوم على الإيمان بالله تعالى ويتفرع منه ، فلا يتصور إيمان بالنبوات مع جحد لوجود الله تعالى . ومن هنا كان لا بد من الكلام ولو قليلاً عن الإيمان بالله وهذا ما فعله صاحب الكتاب فذكر بعض الأدلة على الإيمان بالله وأحال القارىء إلى كتابه « نداء الروح » للوقوف على المزيد من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى وضرورة الإيمان به . والحقيقة أن مسألة الإيمان بوجود الله هي أكبر وأظهر البديهيات على الإطلاق وتساوي في ظهورها وبداهتها قولنا : « واحد زائد واحد يساوي إثنين » وما من شيء على الإطلاق عليه من الأدلة والبراهين المثبتة لوجوده مثل وجود الله تعالى . فكل شيء بلا استثناء من ملموس ومرئي ومسموع ، وبكلمة أشمل ، كل موجود في الأرض هنا أو في السماء وأجرامها هناك دليل قاطع وبرهان ساطع على وجود الله تعالى . وكل تقدم علمي يظفر به الجنس البشري يقدم لنا

مقادير هائلة من الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى كما حصل في مجال الذرة والصعود إلى القمر . ولو أردنا إحصاء هذه الأدلة والبراهين على وجود الله سواء في ما يختص بمعرفته العلماء وما يشترك معهم في معرفته العوام لما استطعنا لها عداً .

والإيمان بوجود الله تعالى بعد هذا ، مركوز في نفس الإنسان ومفطور عليه ، والمنكرون له شرذمة قليلة يقوم إنكارها على محض المكابرة والعناد ، وكثيراً ما يزول هذا العناد عند الشدائد فيعود الإيمان إلى نفوس المعاندين وفي هذا وقائع كثيرة جداً لأن الغالب إصابة الناس بالشدائد والضراء ، ومن هذه الوقائع ما روته إحدى المجلات من حديث لطيار ملحد عن أحرج الساعات التي مرّ بها أثناء عمله في الحرب العالمية الثانية ، قال : كان رجلاً ملحداً لا يعرف الله ولم يذكر اسمه قط ، وفي إحدى غاراته على العدو أصاب طائرته خلل خطير لا خلاص له منه ومعنى ذلك الموت المحقق له . قال ذلك الطيار الملحد : فوجدت نفسي وبلا شعور مني ولا إرادة ولا قصد أهتف باسم الله طالباً منه الغوث والمدد ، وقد جاءه المدد ونجا بأعجوبة بيّنها في حديثه وصار بعدها من المؤمنين . ولما كان الإيمان بوجود الله تعالى مفطوراً عليه الإنسان بأصل خلقته وجبلته « فطرة الله التي فطر الناس عليها » لم يرسل الله تعالى رسله ليثبتوا للناس وجود الله وإنما أرسلهم ليثبتوا لهم استحقاق الله وحده للعبادة بجميع أشكالها ومعانيها .

قال تعالى حكاية عن بعض ما قاله رسل الله إلى أقوامهم « قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض » وقال تعالى مبيناً . بم أرسل جميع رسله : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » .

وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . والإله هو المألوه أي المعبود الذي تألهه القلوب بغاية المحبة والخضوع ، فلا معبود بحق إلا الله تعالى ولما كان المشركون مقرين بوجود الله وبربوبيته وتفرده بالخلق والإحياء والإماتة والنفع والضر والعطاء والمنع والرزق ، فإن القرآن الكريم يذكرهم بهذا الإقرار ويقول لهم إن الله هو الإله الفرد كما هو الرب الفرد . وإذا كان الله تعالى هو المستحق وحده للعبادة وإن الله ما خلق الجن والانس إلا لعبادته قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فلا بد

من تعريف الخلق بكيفية عبادته وطرق ومناهج هذه العبادة . فكان من رحمة الله أن أرسل لهم رسلاً من جنسهم يبينون لهم مناهج عبادة الله التي يسعدون بها ، فبعثة الرسل من لوازم ومظاهر رحمة الله بعباده وربوبيته لهم ، ولهذا كان إنكار النبوات جهلاً بحقيقة ربوبية الله وتنقيصاً بقدر الله . قال تعالى : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس . . . الخ » .

وإذا كان إرسال الرسل من لوازم ربوبية الله تعالى ورحمته ، فإن هذا اللازم قد حصل فعلاً ، فقد أرسل الله تعالى للناس رسلاً مبشرين ومنذرين على فترات من الزمن ، حتى صارت أخبار الرسل ومجيئهم للناس ودعوتهم إلى عبادة الله وبأن الله أرسلهم ليبلغوهم رسالاته صار كل ذلك من الأمور الشائعة المعروفة عند البشر المقطوع بوقوعها ولهذا قال تعالى لرسوله الكريم ﴿ﷺ﴾ « قل ما كنت بدعاً من الرسل » . وقال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

فجنس الرسل وإن كان قليلاً في البشر إلا أنه معروف عندهم غير منكور كما قلنا وجميع رسل الله دعوا إلى عبادة الله وحده كما أشرنا إلى ذلك ، من قبل ، ولهذا كان دين الأنبياء واحد وإن اختلفوا في طرائق العبادة ومناهجها ، قال ﴿ﷺ﴾ « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأنا أولى بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » . وقال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » .

ولما كان الأنبياء دينهم واحد ، ومرسلهم واحد وهو الله جل جلاله كان الإيمان بجميعهم واجباً لا يجوز التفريق فيما بينهم بهذا الإيمان قال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً » .

وقال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » .

وإذا كان الإيمان بجميع الأنبياء واجباً . فإن الطاعة تكون للرسول القائم إلى أن

يأتي الذي بعده فتكون الطاعة له ، وهذه الطاعة في الحالتين هي في الحقيقة طاعة لله . قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . ومن يرفض طاعة الرسول المتأخر بحجة طاعته للرسول المتقدم حجته داحضة غير مقبولة في عقل ولا دين ومثله مثل الذي يرفض طاعة اميره الذي عينه السلطان العادل بحجة أنه مطيع ومتبع للامير السابق الذي مات . . . وهذا محض الجهل لان طاعة الرسول كما قلنا هي طاعة الله .

والرسول إنما يطاع باعتباره رسولاً يبلغ عن الله ولا يطاع لذاته . ولهذا كان الرسول المتقدم يبشر بالرسول الذي يأتي بعده مذكراً قومه بهذه البشارة بلزوم طاعته . قال تعالى عن بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﴿ﷺ﴾ . « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » . والرسول المتأخر يصدق الرسول المتقدم قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » . وقد ذكر المؤلف، أسعده الله ، بعض النصوص من التوراة التي في أيدي اليهود الآن ومن الإنجيل الذي في أيدي النصارى الآن . وهذه النصوص صريحة في دلالتها على نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ .

وإذا كان رسل الله يبلغون رسالاته ، وعلى البشر طاعتهم وفاءً بحق الله عليهم وظفراً بالسعادة في الدارين ونجاةً من العقوق والعصيان وما يترتب على ذلك من شقاوة لهم وسخط الله عليهم ، أقول إذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يؤيد رسل الله بما يدل على صدقهم ولا يلتبس أمرهم بغيرهم من المفترين على الله الكذب ، وهذا ما حصل فعلاً ، فإن الله تعالى من تمام نعمته ورحمته وإقامة الحجة على عباده ، أيد رسله بآيات تدل على صدقهم وعلى أنهم رسل الله حقاً ، وهذه الآيات هي التي يسميها العلماء بالمعجزات ، أما القرآن فيسميها الآيات . وكذا يسميها رسوله ﴿ﷺ﴾ ، وهذه التسمية أولى من تسميتها بالمعجزات ، فمن إستعمالات القرآن قوله تعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه » .

وفي الحديث الشريف ، قال ﴿ﷺ﴾ : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من

الآيات ما آمن على مثله البشر . . . الخ » .

وقد يسمي القرآن معجزات الأنبياء بالبينات كما في قوله تعالى « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات » وقال تعالى : « وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل . قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين » . فالبيّنة والآية ، في هذه الآيات هي المعجزة التي أيد الله بها رسله ليظهر صدقهم .

ولما كانت رسالة محمد ﴿ﷺ﴾ عامة لجميع البشر عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم قال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » .

وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . وأنه خاتم الأنبياء قال تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، كانت آيات نبوته متنوعة ومعروفة للذين أرسل إليهم ومناسبة لجميع الناس على اختلاف معارفهم وعقولهم واستعداداتهم . وهذا ، والله أعلم سر تنوع آيات نبوته ﴿ﷺ﴾ . فمن آيات نبوته سيرته العطرة وأخلاقه الزكية وصدقه التام فما عرف عنه كذب قط ولا خيانة قط ولا فاحشة قط ولا شك أن مثل هذه السيرة العطرة الطيبة دليل كاف لذوي العقول السليمة والفطر السليمة على نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ فإن الذي لم يعرف عنه كذب في أهون الأمور لا يتصور منه الكذب على الله الذي هو أفحش الكذب قال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء » ولهذا كانت سيرته ﴿ﷺ﴾ دليلاً كافياً على نبوته عند أبي بكر الصديق وخديجة ولم يطلبا خارقاً أو دليلاً آخر على صدقه ﴿ﷺ﴾ . وكذلك أسلم أعرابي جاء إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسأله آلله أرسلك للناس ؟ قال نعم . فأسلم الأعرابي وقال ليس هذا الوجه ـ أي وجه رسول الله ـ وجه كذاب ذلك أن التمسك بالصدق يترك أثره في قسمات وجه الصادق يبصره ذوو البصائر والفراسة . ولكن ليس كل الناس كأبي بكر وخديجة وذلك الأعرابي في سرعة الاستجابة والاكتفاء بسيرة النبي ﴿ﷺ﴾ والاستدلال بها على صدقه ونبوته ، فلا بد من تنوع آيات نبوته ، وهذا ما حصل . وقد ذكر الدكتور فاضل حفظه الله بعض هذه الآيات المنقولة إلينا نقلاً متواتراً مثل انشقاق القمر والإسراء ووصفه لبيت المقدس ولم يكن قد رآه قبل أن أسري به

﴿ﷺ﴾ وتسبيح الحصى في كفيه وحنين الجذع له وتكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة . ولكن أعظم تلك الآيات على الإطلاق القرآن العظيم فهو آيته العظمى التي لا تزال قائمة بيننا تخرس كل مبطل وتتحدى كل جاحد وتثبت صفات الإيمان : قال ﴿ﷺ﴾ مشيراً إلى عظم هذه الآية : أي القرآن الكريم «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . ومظاهر وجوه إعجاز القرآن ودلالته على نبوته ﴿ﷺ﴾ كثيرة جداً ذكر بعضها صاحب الكتاب . ومن المعروف أن القرآن الكريم تحدى كل مرتاب أو منكر لنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ بأن يأتي مثل هذا القرآن إن كان صادقاً في إنكاره نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . ومن سولت له نفسه تحديه جاء بكلام ساقط مضحك يفضح كذب هذا المنكر المكابر كما وقع لمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وجاء بساقط القول متحدياً القرآن ، فكان مما جاء به من لغو ساقط قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين نقّي كما تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين » .

والحقيقة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يصنعه إنسان قط لأنه كلام رب العالمين المختص به ، وأية محاولة من أي إنسان للإتيان بمثله فهي فاشلة قطعاً ، قال تعالى : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله » فلا يمكن ولا يجوز أن يصدر هذا القرآن إلا من الله تعالى ، ولا يمكن أن يصنعه أي مخلوق لأنه خارج عن قدرته .

وإذا ثبت بالدليل القاطع أن محمداً ﴿ﷺ﴾ رسول الله حقاً إلى جميع الناس فعليهم تصديقه والإيمان بنبوته لا سيما أصحاب الأديان من يهود ونصارى وغيرهم لأنه ما من آية دعتهم إلى الإيمان بأنبيائهم إلا ولرسول الله محمد ﴿ﷺ﴾ مثل تلك الآية وأكبر منها . ويفضل جميع الأنبياء بآيته الكبرى الباقية حتى الآن وهي القرآن الكريم ، بينما آيات الأنبياء جميعاً كلها مضت وبقيت أخبارها . فلا يسوغ في عقل الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين وإنكار نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ . ومثل من يفعل ذلك مثل من يؤمن بفقه فلان لأنه طالب في الصف الأول بكلية الدراسات الإسلامية وينكر فقه أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل ، أو يؤمن بشاعرية فلان لأنه نظم قصيدة متهافتة

ركيكة وينكر شاعرية المتنبي أو البحتري ، أو يؤمن بعلم فلان بالنحو لأنه طالب في الصف الأول في كلية اللغة وينكر معرفة سيبويه بالنحو أو يؤمن بعلم فلان بالحديث لحفظه بعض الأحاديث وبعض فنون الحديث واصطلاحاته وينكر على البخاري علمه ومعرفته بالحديث .

فإذا كان ذلك كله مستنكراً في العقول السليمة فإن إنكار نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ مع الإيمان بنبوة غيره أشد إستنكاراً .

ويرد هنا سؤال ، إذا كان الأمر كما قلنا فلماذا لم يؤمن أصحاب الأديان الأخرى بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ ولماذا يقعون في هذا التناقض الذي ضربت له الأمثال ؟ والجواب من وجهين :

« الوجه الأول » الجهل . فمن جهل شيئاً لم يقدره ولم يعرف قيمته وهكذا الأمر بالنسبة لنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ وآيات نبوته فمن جهلها ولم يعلمها إما لعدم بلوغه خبرها وخبر دعوته وآيات صدقه أو بلغه ذلك محرفاً مشوهاً دون أن يتحرى وجه الصواب ويطلب المعرفة الصحيحة في مسألة نبوته عليه الصلاة والسلام فيبقى على جهله وعدم إيمانه به ﴿ﷺ﴾ . وإذا كان على دين وكان عنده شيء من عقل أبصر تناقض دينه فربما تمرد عليه وبقي بلا دين أي بلا إتباع نبي . وهذا السبب أي الجهل هو الغالب على عامة أصحاب الأديان . ومن هنا كان القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية إلى أهل الأرض من الفروض على المسلمين

«الوجه الثاني» اتباع الهوى، وهذا هو الغالب على طلاب الرياسة مما حملهم على العناد وعدم الإيمان بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾، فإن الهوى كما قيل يعمي ويصم وله تأثير بالغ في النفس، فهو يشبه الدخان الأسود الكثيف الذي يمر على لوح أبيض ناصع البياض، فكلما مرَّ عليه ترك سواداً فيه وغطى بياضاً منه حتى يسوده تماماً، وهكذا قلب الإنسان، يسود تماماً بسبب أهواء النفس التي تعصف فيها فلا يعود يبصر الحق، وإذا بصره فلا يتحمس له ولا يندفع نحوه ولا يرضى به ولا ينقاد إليه، وقد حدثنا القرآن الكريم عن أصحاب الكتاب وأنهم يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك لم يؤمنوا به عناداً منهم واتباعاً لأهواء نفوسهم حرصاً منهم على الرياسة باسم

الدين على أتباعهم وهكذا كان شأن فريق من كفرة قريش أعمى قلوبهم الهوى حتى لم يعودوا يبصرون الآيات وإذا أبصروها لم ينتفعوا بها، بل يزدادون بها ضلالاً ويؤولونها التأويلات الباطلة. قال تعالى: «وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين». وقال تعالى: «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين» وقال تعالى: «وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» وقال تعالى: «ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين».

وهذا غاية الخذلان وانتكاس القلب . بل إن اسوداد القلب بسبب إتباع الهوى يبلغ مبلغاً عظيماً بحيث أن صاحبه لو أبصر نار الآخرة حقيقة ثم عاد إلى الدنيا لعاد إلى كفره وتكذيبه . قال تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون» . وهذا شيء مخيف جداً يرتعد منه المسلم الحريص على إيمانه ويجعله دائم المراقبة لنفسه وما يجري فيها من تيارات الهوى الخفية لئلا تشتد وتميل به عن الحق حتى تزيحه عنه تماماً .

ومهما يكن من أسباب جحد الجاحدين بنبوة محمد ﴿ﷺ﴾ فإن جحودهم في واقع الأمر تصديق لما أخبر به القرآن من عدم إيمانهم ، كما أن إيمان من آمن منهم تصديق لما أخبر به القرآن الكريم من إيمانهم . وفي هذا وذاك دليل آخر يضاف إلى أدلة نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ . ولا يقدح في نبوته ﴿ﷺ﴾ تكذيب من كذبه فإن في الإنسان استعداداً هائلاً للانحدار والضلال ، وقد يبلغ به السفه كما بلغه فعلاً أن يشد الرحال لقتل رسول الله كما فعل المشركون الأولون ، فلم يكتفوا بعدم الإيمان به والإهتداء بهديه وهم يرون آيات صدقه ونبوته ، وإنما راحوا يدبرون الكيد له لاغتياله في مكة فلما نجاه الله منهم أرادوا اللحاق به إلى المدينة لقتله وقتل أتباعه . فهل هناك أكبر من هذا الإنحدار الهائل في الضلالة وعمى البصيرة ؟

نعوذ بالله من الخذلان ، ولهذا نحن لا نعجب أبداً من تكذيب المكذبين ومن صدود كثير من الناس عن الحق . ونحن نعلم يقيناً أن المشركين الأقدمين كانوا يرون رسول الله ﴿ﷺ﴾ بوجهه المنير مؤيداً بآيات ربه ودلائل صدقه ومع هذا كذبوه بل وقاتلوه ، فليحمد المسلم على نعمة الإسلام وليعضَّ عليها بالنواجذ حتى يلقى

عليها الله وليكثر من قول « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » .

وبعد : فإني أعود إلى ما قلته أولاً من أن هذا الكتاب من أجود وأحسن ما قرأت في موضوعه ، وأحسب أن صاحبه قد وفق في تأليفه كثيراً فليحمد على ذلك . وليس قصدي من هذا الكلام مدح الكتاب وصاحبه وإن كان المدح في محله ولمستحقه سائغاً مقبولاً .

وإنما قصدي الدلالة على ما ينفع الناس ويحتاج إليه الكثيرون منهم وإن كان في ثنايا هذه الدلالة مدح الكتاب وصاحبه ، ومثلي في ذلك مثل من يدل العطشى على عين ماء عذب ويدل الجياع على قصعة طعامها شهي لذيذ مباح وإن كان في ثنايا هذه الدلالة الإشارة إلى فضل من قدم هذا الطعام وتسبب في تدفق ذلك الماء العذب الزلال .

أثاب الله مؤلف هذا الكتاب بسعادة الدارين ونفع به الناس وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الكريم زيدان
بغداد جمادى الأولى/ ١٣٩٢
حزيران ١٩٧٢

بين الالحاد والايمان

هناك فكرتان رئيستان في تفسير نشوء الكون والخلق والإيجاد ؛ فكرة مادية لا تلتمس ولا ترى أن وراء الكون المادي قوة تفسر نشوء الكون وخلقه وإيجاده ، وفكرة أخرى إيمانية إلهية ترى أن لهذا الكون إلهاً مبدعاً عالماً قديراً لا حدود لعلمه وقدرته وإرادته . ونحن هنا لا نريد أن نتقصى الأدلة على وجود الخالق فإن هذا لا يمكن أولاً لأنها من الكثرة والتنوع والتعدد بحيث لا يمكن حصرها ، ثم إنها ليست موضوع بحثنا وإن كانت هي القاعدة الأولى لبحثنا وحسبنا هنا أن نمس الموضوع مساً خفيفاً يتناسب وما نحن بصدده .

١ ـ لو نظرنا إلى الإنسان وأجهزته ـ مثلاً ـ لرأينا ان كل عضو من اعضائه يقوم بوظيفة معينة وإنه موضوع لغاية محددة مرسومة فالعين ـ مثلاً ـ وضعت وصممت لتقوم بوظيفة الرؤية وكل أعضائها وأنسجتها وضعت وصممت لخدمة هذه الغاية ؛ والأذن صممت ووضعت لتقوم بوظيفة السمع وكل عضو من أعضائها صمم ليقوم بوظيفة خاصة تخدم هذه الغاية الكبيرة وهكذا كل عضو في جسم الإنسان رسمت له وظيفة محددة واضحة يقوم بها ، فمن الذي حدد الغايات وصنع كل جهاز وكيّفه ليقوم بهذه الغاية ؟

إن الناظر في جسم الإنسان أو أي كائن حي آخر يرى أن مصممه وخالقه عالم بما يريد من كل عضو ، فالقلب والرئتان والمعدة والأمعاء والكبد والكليتان واللسان والأسنان والغدد المختلفة وغيرها وغيرها كلها واضحة الأهداف والغايات فدل ذلك على أن مصممه عالم بالغايات وصمم كل عضو وخلقه ليقوم بتنفيذ هذه الغايات والأهداف بدقة . ألا ترى أن الذي جعل لسان المزمار في سقف الحلق ـ مثلاً ـ يعلم أن وجوده في مكانه ضروري لمنع دخول الطعام إلى الرئتين ؟ وأن الذي وضع الصفراء والبنكرياس على علم بأن وجودهما ضروري لتحليل المواد الدهنية ؟ وإن

الذي وضع الكبد والكليتين في مكانها على علم بمهمتها وضرورتها للجسم ؟ وإن الذي وضع في الأذن مادة مرة سامة وفي الفم مادة حلوة ـ أعني اللعاب ـ على علم بما يصنع ، فلماذا لم يكن الأمر على العكس لو كان الأمر كله خبطاً واتفاقاً ؟

وما أصدق قول القائل « إن الذي خلق العين على علم بقوانين الضوء وإن الذي خلق الأذن على علم بنواميس الصوت » ولو لم يكن خالق العين عالماً بقوانين الضوء في الإنكسار والالتقاء وغيرهما لما حصلت الرؤية ، ولو لم يكن خالق الأذن على علم بنواميس الصوت لما حصل السمع .

إن (المصادفة) لا يمكن أن تفسر هذا الأمر البتة لأن المصادفة قد تقع في أمر واحد أو اثنين ولا يمكن أن تجتمع في آلاف أو ملايين الموافقات .

فأنت إذا رأيت حرفاً هجائياً منتظماً مخطوطاً حضر إلى ذهنك أن ثمة كاتباً لهذا الحرف وربما وضعت احتمال المصادفة على بعده فإن رأيت كلمة مكتوبة ذات معنى ابتعد احتمال المصادفة فإن رأيت سطراً كانت المصادفة أبعد فإن رأيت صفحة انتفى أمر المصادفة فإن رأيت كتاباً استحال أمر المصادفة فإن الإنسان أكبر من أي كتاب بل إن كل جهاز منه هو كتاب بل كل عضو منه إنما هو كتاب فالأذن وتكوينها وأعضاؤها انما هي كتاب ، والعين كتاب ضخم وهكذا فأي احتمال للمصادفة ههنا ؟

وقس على ذلك بقية المخلوقات الهائلة من حيوانات ونباتات وقس على ذلك ما في الكون الهائل من دقة وانتظام وغايات .

ان المصادفة لا تصح لتعليل نشأة خلية واحدة كما هو مقرر علمياً فكيف بملايين الخلايا المتباينة ذات الأهداف المتباينة والغايات البعيدة ؟

قال الدكتور فرانك اللن عالم الطبيعة البيولوجية: «إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ، وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون والايدروجين والنتروجين والأوكسجين والكبريت . ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة . ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة (٩٢) عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن

تخلط خلطاً مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلز يوجين بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد إلا بنسبة (١) إلى $١٠^{١٦٠}$ أي بنسبة (١) إلى رقم عشرة مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة ، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات . ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين $١٠^{٢٤٣}$ سنة .

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية . فكيف تتألف ذرات هذه الجزيئات ؟ إنها إذا تألفت بطريقة أخرى غير التي تتألف بها تصير غير صالحة للحياة بل تصير في بعض الأحيان سموماً . وقد حسب العالم الانجليزي ج . ب . ليثز J.B.Leathes الطرق التي يمكن أن تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ الملايين $١٠^{٤٨}$. وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً .

ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيماوية عديمة الحياة ولا تدب فيها الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه شيئاً . انه العقل اللانهائي وهو الله وحده الذي استطاع ان يدرك ببالغ حكمته ان مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لان يكون مستقرا للحياة فبناه وصوره وأغدق عليه سر الحياة» .

وقال الدكتور جون ادولف بوهلر أستاذ الكيميا بكلية اندرسون ومتخصص في تركيب الأحماض الامينية : « عندما يطلق الإنسان قوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في الطبيعة مثل تكوين جزيء واحد من جزيئات البروتين من العناصر التي تدخل في تركيبه فإننا نجد أن عمر الأرض الذي يقدر بما يقرب من ثلاثة بلايين من السنين أو أكثر لا يعتبر زمناً كافياً لحدوث هذه الظاهرة

وتكوين هذا الجزيء عن طريق المصادفة» .

فالقول بالمصادفة في الحقيقة إنما هو فرار من التعليل العلمي والإلزام المنطقي العقلي بوجود الخالق المبدع . ولكن أنى لهم هذا ؟ فالموافقات الكثيرة والغايات الدقيقة والأهداف الواضحة تنفي هذا الاحتمال البتة كما رأيت وكما هو مقرر علميا .

٢ ـ نظرة إلى عالم الحيوان ترينا أنه على أنواع منها ما يسير في الأرض ومنها ما يطير في السماء ومنها ما يسبح في الماء وقد أعدّ كل صنف اعداداً خاصاً تبعاً لنوع معيشته . فقد زود الطير بأجنحة وهيئت اجهزته وبناؤه الجسمي للطيران في الهواء، وزود السمك بخياشيم يستطيع معه ان يتنفس الهواء المذاب في الماء .

ثم نرى ان الحيوانات مكيفة بحسب بيئتها فالحيوانات التي تعيش في المناطق الحارة تختلف عن اختها التي تعيش في المناطق الباردة من حيث بناء الجسم وتغطيتها بفراء ثخينة أو شعر طويل ، والتي تعيش في المناطق الصحراوية تختلف عن التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء وقد اعد كل صنف اعداداً خاصاً تبعاً لتنوع معيشته واختلاف بيئته ، فمن الذي أدرك هذه الحاجات وزود كل صنف بما يحتاج إليه ؟ من الذي غطى الحيوانات القطبية بالفراء الثخينة والأشعار الطويلة والبناء الجسمي المتين ونزع ذلك عن أختها في المناطق الحارة ؟ من الذي زود الحيوانات الصحراوية بقابلية جسمية على خزن الماء وتحمل العطش وأعد جسمه وفمه للعيش على النباتات الصحراوية القاسية ونزع ذلك عن الحيوانات التي تعيش في المناطق الكثيرة الماء؟ ألست ترى ان الذي جعل معدة الجمل ـ مثلاً ـ ذات مخادع لخزن الماء يعلم انه حيوان يعيش في منطقة قليلة الماء ؟ أولست ترى أن الذي جعل باطن فمه مغلفاً بمادة سميكة ليتلقى الاشواك والنباتات الصحراوية القاسية يعلم بأنه حيوان صحراوي يعيش على هذا النوع من النباتات وزوده بما يصلحه لذلك؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن كل صنف من الحيوان أودعت فيه غرائز تهديه إلى ما يصلحه ويبقى نوعه بطرائق في غاية الدقة والعجب وهو يقوم بذلك وإن لم يكن رأى أحداً من بني جنسه يقوم بها . فلو قدر لك أن تأخذ بيضة نحل وتفقسها بطريقة علمية بعيدة عن كل نحلة فلا شك أنها بعد فترة وجيزة ستبني خلية من الشمع على شكل مسدس منتظم وان لم تكن رأت أمها أو أحداً من جنسها ،

فمن الذي علمها صنعة المسدس المنتظم لخزن العسل وهي لم تر أمها أو أحداً من جنسها يفعل ذاك ؟

وهناك أمثلة كثيرة لمثل هذه الإلهامات .

ومن طريف ما مر بي أن أحد أصدقائي وضع زهاء ثلاثين بيضة دجاج معها بيضة واحدة لطير مائي في ماكنة تفريخ وبعد مرور المدة فقس جميع البيض ونزلت الفراخ من الماكنة وبعد نزولها تواً ذهبت فراخ الدجاج إلى الحديقة تبحث في التراب وانفرد عنها فرخ الطير المائي فذهب الى الساقية يسبح ولم تغره الجموع الكثيرة من الفراخ ليذهب معها ، فمن الذي أعلمه أنه طير مائي وأرشده إلى ذلك وهو لم يشاهد أمه أو أحداً من جنسه ؟

إنه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

٣ ـ ثم لو نظرنا إلى هذه الأرض التي ندرج عليها ووضعها في الكون الفسيح لرأينا انها اجتمعت عليها ألوف العوامل بل ملايين العوامل لتجعلها صالحة للحياة ، فحجمها الحالي وبعدها الحالي عن الشمس وميلان محورها بهذا القدر وقشرتها الأرضية السهلة الاستعمال وسمكها وتوزيع الماء واليابسة ووضع الجبال وتركيب الماء من عناصر معينة بنسب معينة وخلط الهواء من عناصر معينة بنسب معينة لو اختلت لفسدت الحياة، وغلافها الغازي وتكوينه وحجمه كل ذلك وغيره عوامل لو اختل واحد لا اختل نظام الحياة أو استحال ، فمن الذي أدرك هذه العوامل والقوانين وقدّرها وألّف بينها لتظهر الحياة ؟ أليس الذي فعل ذلك عالماً قديراً حكيماً مدبراً ؟

قال الدكتور فرانك اللن : « ويحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير (يزيد على ٥٠٠ ميل) .

ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يومياً إلينا منقضة بسرعة ثلاثين ميلاً في الثانية ، والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ويحمل بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطراً يحيي

الأرض بعد موتها والمطر مصدر الماء العذب ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة.

ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة . . . وكثيراً ما يسخر البعض من صغر حجم الأرض بالنسبة لما حولها من فراغ لا نهائي. ولو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى لو أن قطرها كان ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت ، أما لو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي من كيلوجرام إلى كيلوجرامين على السنتمتر المربع ويؤثر كل ذلك أبلغ الأثر في الحياة على سطح الأرض فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعاً كبيراً وتنقص مساحة الأرض الصالحة للسكنى نقصاً ذريعاً وبذلك تعيش الجماعات الإنسانية منفصلة أو في أماكن متنائية فتزداد العزلة بينها ويتعذر السفر والاتصال بل قد يصير ضرباً من ضروب الخيال .

ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها ١٥٠ ضعفاً ولنقص ارتفاع الغلاف الجوي إلى أربعة أميال ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على ١٥٠ كيلوجراماً على السنتمتر المربع ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حالياً رطلاً واحداً إلى ١٥٠ رطلاً ولتضاءل حجم الإنسان حتى صار في حجم ابن عرس أو السنجاب ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات .

ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس الى ربع كميتها الحالية وقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء . وتجمدت الكائنات الحية على سطح الارض. ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس إلى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض أربعة أمثال ولتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ولآلت الفصول إلى نصف طولها الحالي اذا لم كان هناك فصول

بالمرة ولصارت الحياة على سطح الأرض غير ممكنة .

وعلى ذلك فإن الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها تهيء للانسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورتها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم » .

وقال الدكتور ماريت ستانلي كونجدن عضو الجمعية الامريكية الطبيعية : « نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفيض بالأمور العقلية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة تدير هذا الكون وتدبر أموره وتعيننا على فهم ما يغمض علينا من أمر منحنيات التوزيع ودورة الماء في الطبيعة ودورة ثاني أوكسيد الكربون فيها وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية وما لا يحصى من عجائب هذا الكون إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيراً يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون ، والعلاقات السببية ، والتكامل ، والغرضية ، والتوافق والتوازن ، التي تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون ان يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وابدعه ودبر سائر أموره ؟ » .

« لقد دلت الأبحاث العلمية بصورة قاطعة على أن الكون ليس أزلياً وأن لنشأته بداية وأن عمره يقدر بنحو خمسة بلايين سنة وقد أثبتت الأبحاث العلمية في مختلف المجالات هذا الأمر. قال الدكتور ادوارد لوثر كيل : « وقد يعتقد بعضهم ان هذا الكون هو خالق نفسه على حين يرى البعض الآخر أن الاعتقاد في أزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد في وجود إله أزلي .

ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير . فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً فهنالك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام

الحارة . ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة . ويومئذ لن تكون هنالك عمليات كيموية أو طبيعية ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون . ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود . وهكذا توصلت العلوم ـ دون قصد ـ إلى أن لهذا الكون بداية . وهي بذلك تثبت وجود الله لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه ولا بد له من مبدىء أو من محرّك أول أو من خالق هو الإله .

ولا يقتصر ما قدمته العلوم على اثبات ان لهذا الكون بداية فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسة بلايين سنة » .

وقال الدكتور فرانك اللن : « والرأي الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية انما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون وذلك في عنصر واحد هو الأزلية . وإذن فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت وإما أن ننسبها إلى إله حي . وليس هنالك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما في الأخر ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانها سائرة حتما الى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقة عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت . اما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو إذن حدث من الأحداث . ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية عليم محيط بكل شيء قوي ليس لقدرته حدود ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه » .

«وقد أدرك سير اسحاق نيوتن إن نظام هذا الكون يتجه نحو الإنحلال وإنه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته ووصل من ذلك إلى أنه لا

بد أن يكون لهذا الكون بداية »[١] .

وهذا دليل في غاية المتانة والقوة . فالحرارة ـ كما هو معلوم ـ تنتقل من الأجسام الحارة إلى الباردة وليس العكس . ونحن نرى أن في الكون أجساماً حارة كالشمس والنجوم المتوهجة وأجساماً باردة كالأرض والقمر والفضاء المحيط بالأجرام فالحرارة تسري وتنتقل من الأجرام الحارة إلى الباردة ، وبمرور الزمن ستتساوى درجة الحرارة في هذا الكون . ولما كانت درجات الحرارة لا تزال مختلفة فهناك أجرام حارة وأجرام باردة كان معنى ذلك أنه لم يمر عليها العمر الكافي لكي تتساوى ، ومعنى ذلك أن للكون بداية فلو لم يكن له بداية لتساوت درجات الحرارة منذ أمد بعيد لأن العمر الطويل الذي مرت به عند ذاك كفيل بتساوي الحرارة لأنه أطول من أي عمر يكفي لتساوي الحرارة . وتوضيح ذلك ان الأرض مثلاً انفصلت عن الشمس وهي قطعة ملتهبة فاحتاجت إلى كذا وكذا من السنين حتى فقدت حرارتها ، والشمس أكبر من الأرض فتحتاج إلى كذا بليون من السنين حتى تفقد حرارتها والأجرام الأخرى التي هي أكبر من الشمس تحتاج إلى كذا بليون من السنين حتى تفقد حرارتها ولنفترض أن الكون يحتاج إلى ألف بليون من السنين لتتساوى حرارته ، إذن فالعمر الكافي لتساوي الحرارة لم يمر بعد على هذه الأجرام . ومعنى ذلك قطعاً أن للكون بداية إذ لو مر عليه هذا العمر لتساوت حرارته . ولو لم يكن له بداية لتساوت حرارته لأن ما مر عليه من السنين يكون عند ذاك اكثر بكثير من هذا العمر . وهذا في غاية الوضوح .

ولما كان للكون بداية لزم أن يكون له موجد . فإن الكون كان صفراً أي لم يكن هنالك شيء فلا يمكن أن يوجد نفسه مع انه غير موجود . وإذن فلا بد من قوة موجدة لهذا الكون تختلف عنه وهو الله سبحانه .

وتدل الأبحاث الكيماوية على مثل ذلك قال الدكتور دونالد روبرت كار ، أستاذ الكيمياء الجيولوجية واختصاصي في تقدير الأعمار الجيولوجية باستخدام الاشعاعات الطبيعية : « اما عن تحديد عمر التكوينات الجيولوجية مثل مواد الشهب وغيرها فقد أمكن باستخدام العلاقات الاشعاعية أن نحصل على صورة شبه كمية عن تاريخ

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٩٢ وانظر ص ٨ ، ٢٩ .

الأرض . ويستخدم في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الأرض بدرجات متفاوتة من الدقة ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة الى حد كبير وهي تشير إلى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة . وعلى ذلك فإن هذا الكون لا يمكن ان يكون أزلياً . ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر اشعاعية . ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية » .

وقال الدكتور جون كليفلاند كوثران رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث :
«وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية إذ إن لها بداية . وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل وجدت بصورة فجائية وتستطيع العلوم ان تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد . وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان .

فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن ان يخلق نفسه او يحدد القوانين التي يخضع لها، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي. وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لا بد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة» [1] . وهذا متفق مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية الذي ذكرناه آنفاً فهناك عناصر مشعة كالراديوم واليورانيوم وغيرهما فهذه العناصر بمرور الزمن تفقد من كميتها أي تتحول إلى إشعاعات ، وهناك آلات لقياس مقدار الإشعاع في العناصر يعرفها أي طالب في دور التخصص في الفيزياء أو الكيمياء . فالراديوم مثلاً في حالة اشعاع مستمر وبذلك يفقد من كميته بصورة مستمرة واليورانيوم كذلك ، ومعنى ذلك انه سيأتي زمن تنتهي فيه العناصر الإشعاعية وتنفد . ولما كانت العناصر المشعة لا تزال موجودة، لزم أن لا يكون قد مر عليها العمر الكافي لنفادها، ولو مر عليها العمر الكافي لنفدت ، ومعنى ذلك أن للكون بداية إذ لو لم يكن له بداية لنفدت هذه العناصر ولما بقيت فيه

(1) الله يتجلى في عصر العلم ٢٧ ، ٨٧

أي عناصر إشعاعية ، فلو قدرنا مثلاً أن هذه العناصر تحتاج إلى ألف بليون سنة لنفاد إشعاعها، كان معنى ذلك انه لم يمر عليها هذا العمر ليكون ذلك . أي أنه لم يمض عليها منذ وجودها إلى الآن هذا العمر . ومعنى ذلك ان لهذه العناصر بداية، فلو لم يكن لها بداية لكان ما مر عليها من العمر كفيلا بالقضاء على هذه العناصر ونفادها إذ لا شك أنه سيكون قد مر عليها اكثر من بلايين البلايين . ولما كان لهذا الكون بداية اقتضى أن يكون له موجد لأن الكون كان عدماً محضاً وليس يمكن أن يكون أوجد نفسه .

وهو يتفق مع القانون الثاني من قوانين الحرارة .

٥ ـ ومما يقطع بوجود الله ظاهرة الرؤى الصادقة . فكثير من الناس يرون رؤيا في المنام تتحقق بعد ذلك بتمامها ، وربما كانت الرؤيا صادقة كفلق الصبح تقع بلا تأويل ، وقد تحتاج إلى تأويل وهذا كثير وأنا شخصيا حصلت لي مئات من هذه الرؤى التي تحققت بدقة ، وأعرف كثيراً ممن وقعت لهم مثل هذه الرؤى. فكيف تحدث مثل هذه الرؤى ؟ ومن الذي أخبر الانسان بهذا الغيب المجهول ؟ الإنسان لا يعلم الغيب ولكن عن طريق الرؤى قد يحصل له شيء من ذلك ، فما تفسير هذا الأمر ؟

ان تفسيره واضح وهو أن هناك ذاتاً تعلم الغيب وسجلته وهي تُطلع من تشاء من عبادها على بعض هذا الغيب عن طريق هذه الرؤى أو عن طريق آخر . ولا تفسير لها غير هذا التفسير . ولدلالتها المهمة هذه، حاول قسم من الماديين إنكار وقوع مثل هذه الرؤى وقال قسم آخر هي من قبيل المصادفات .

والحق أن قسماً كثيراً لا يمكن تفسيره بالمصادفة . ثم إن كثرتها لا تدع مجالاً لتفسيرها بالمصادفة .

ومن طريف ما مر بي في ذلك أن شخصاً سلمني رسالة ذات يوم في حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً ، فجئت بها إلى البيت فقرأتها وإذا كاتبها شخص آخر يستغيث بي لحل مشاكله التي أقعدته وأهمته بأسلوب باك . وقد أخفى إسمه تحت أحرف مبهمة هي ن. ن. ي. او (ق. ن. ك) ولم أستطع أن أتبينها وقد ضربت الذهن في كل مجال

للتعرف على هذا الشخص فلم استطع الإهتداء إليه وقررت أن أستدعي الذي سلمني الرسالة لإخباري به . وفي النوم جاءني شخص مجهول وسألني قائلاً : ما لي أراك حائراً ؟ فقلت له : جاءتني رسالة حرت في أمرها ولم أعرف صاحبها ولا رموزها أهي (ن. ن. ك) أو (ق) أو (ي) فقال: بل هي (ن. ن. ي) فقلت: من صاحبها؟ فقال: فلان ابن فلان . فقلت: هذا لا يكون وهو قد مر على ذهني فيمن مرّ، فإن آسمه يبدأ بالنون ولكن اسم أبيه يبدأ بالعين . فقال: هو الحرف الأخير من اسم ابيه . فقلت : وهذه الياء ما أمرها ؟ فقال : هي حرف من أحرف النسب أي (الفلاني) وذكر النسب. فقلت له: هو لا يُعرف بهذه النسبة وإنما بالنسبة الأخرى وذكرتها له . فقال : استعمل الآن هذا النسب. قلت : ولم ذاك؟ قال: لئلا تعرفه .

واستيقظت من النوم وأنا مطمئن أن صاحبها هو الذي أخبرني به هذا الشخص الغريب . وفي الصباح أريت الرسالة لأحد زملائي الماديين المثقفين وقلت له : إقرأ هذه الرسالة ، فقرأها . وقلت له : هذا أمر الرسالة . فقال : تحقق من ذلك وأخبرني فإنه إن كان ذاك فإن الله موجود لا محالة .

وفي مساء اليوم التالي رأيت صاحب الرسالة وقلت له : وصلت رسالتك . فقال : اية رسالة هذه ؟ وحاول أن ينكر أن يكون صاحب رسالة ، حتى قلت له : لا تذهب يميناً أو شمالاً، فانا أقول لك : إن رسالتك وصلت وقرأتها . فرأيته يخفي وجهه خجلاً ويقول : هل وصلت؟ فقلت : نعم . ثم قلت له : ما أمر هذه الرموز فأنا لم أتبين أهي (ن. ن. ي) أو (ق. ن. ك) فقال هي: ن. ن. ي. فقلت له إن هذه الرموز لا تنطبق عليك . فإن آسمك يبدأ بالنون فما أمر النون الثانية ، فإن آسم أبيك يبدأ بالعين ؟ قال : هي الحرف الأخير من اسم والدي. فقلت : وما هذه الياء ؟ فقال : هي النسب الفلاني . فقلت : ولم فعلت كل ذاك ؟ قال : لئلا تعرفني .

ومن طريف ما مر بي أني رأيت كأني أدخل إلى مكان لم يسبق أن أدخل إليه في حياتي السابقة إلا مرة واحدة قبل هذه الحادثة بسنوات . وبعد دخولي توّاً رأيت كأن معركة حدثت بين فئتين وجاءت الشرطة وتركت المكان ولم أقض شغلي . وفي

الصباح نفسه اضطررت إلى أن أذهب إلى المكان نفسه وبعد دخولي فيه حصل ما حصل تماماً .

ومن طريف ذلك أني رأيت كأن في يدي كماناً صغيراً فمثلته ثم استيقظت . وقلت : ما تفسير هذه الرؤيا ؟ حتى إذا جئت الظهر إلى البيت رأيت الكمان الذي رأيته في المنام بعلاماته الفارقة ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أبدله اليوم أخوك الصغير بحاجة مع شخص آخر . علماً بأنه لم يكن في بيتنا في يوم من الأيام آلة موسيقية أو مرت على خاطري .

فما تفسير هذا أيها الماديون ؟

ومن ذلك ما رأيته أن بطاقة دعوة وجهت لي موقعة من شخص لا أعرفه وقد حصل في اليوم التالي ذلك وبالتوقيع نفسه وسألت عن صاحبه فقيل : هو شخص لا تعرفه .

ومن طريف ذلك أن والدي كان في الحج فرأيت في المنام أنه قد جاء وجلسنا ثم جاء ببرتقالات أربع أو خمس جلبها معه من مكة وأعطاني واحدة فقسمتها بيدي وسقطت قطرة منها على ثوبي . فأخبرت أهلي وأصدقائي طالباً تأويلها فقالوا : هي خير . وبعد فترة جاء والدي وبينما نحن جلوس نادى على برتقالات جلبها معه وأعطاني واحدة ثم قسمتها فرأيت تلك القطرة وقعت على ثوبي وذكرت الرؤيا . ثم قلت لأهل بيتي: انظروا ألا تذكرون الرؤيا التي ذكرت لكم ؟ فعجبوا غاية العجب .

ومن طريف ذلك أنه كان أخي في مصر فرأيت أنا ووالدتي وزوجي وزوجه رؤى اربعاً حوله تحققت كلها . وغير ذلك وغيره مما لا يكاد يحصر . ولا أبالغ مطلقاً إن قلت : حصلت لي مئات من أمثال هذه الرؤى بل ربما تعدت المئات إلى ما يربو على الألف والله أعلم .

فأنت ترى أن هذا من الدقة بحيث لا يمكن حمله على المصادفة ولا يمكن تفسيره إلا بما ذكرنا وهو أن في الوجود من يعلم الغيب وسجله وهو يطلع من شاء من عباده على شيء من هذا الغيب إما بشكل واضح ليس فيه تأويل أو بما يحتاج معه إلى التأويل .

ويحيل نظرهم إلى الكون وإلى إختلاف الليل والنهار وكيف يأتي الله بهما؟ وقد جعل الله لنا الليل سكناً والنهار للضرب في الأرض وقد كان ربنا قادراً على أن يجعل النهار سرمداً أبدياً لا يزول والليل كذلك ولكن أي حياة هذه ستكون؟

«إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب»

« هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون» (يونس ٦٧) .

«وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً» (الفرقان ٤٧) .

«قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمد اً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟ . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» . (القصص ٧١ - ٧٣) .

ثم انظروا إلى قدرة ربنا سبحانه كيف مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وسخر البحر لنأكل منه لحما طرياً ونستخرج منه الحلي وتمخر فيه الفلك فأي نعمة هذه أيها الناس؟

«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون؟ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم» (النحل ١٤ - ١٨) .

وهو الذي خلق الماء الملح والماء العذب الفرات بقدرته فلم يطغ ماء على ماء لحكمة معلومة دبرها خالقها «وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجراً محجوراً » (الفرقان ٥٣) .

وربنا انزل من السماء ماء فأسكنه في الارض فجعله ينابيع يستفيد منه الناس

«وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون . فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيه فواكه كثيرة ومنها تأكلون» . (المؤمنون ١٨ - ١٩) .

«ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما؟» (الزمر ٢١) .

ثم يحيل نظرهم الى السماء كيف رفعها ربنا بغير عمد وزينها بالكواكب السابحة في افلاكها وجعل النجوم فيها لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر وجعل فيها الشمس ضياء والقمر نورا بحساب دقيق وما كانت لتقف في الفلك لولا الحساب الدقيق للمسافات والأبعاد «الشمس والقمر بحسبان» (الرحمن ٥) .

«وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم» (الأنعام ٩٦) .

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» (يونس ٥) .

«الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» (الرعد ٢) .

إلى غير ذلك من الآيات العظيمة الرائعة التي تبصرهم بعظمة الله وجلاله وقدرته وبالغ نعمائه على البشر ويطلب منهم النظر والتفكر في هذه المخلوقات العجيبة «قل انظروا ماذا في السماوات والأرض» «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار» .

أما هؤلاء الذين يُعبدون من دون الله فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ولا حول لهم ولا قوة ولا علم لهم ولا ارادة «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا

لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب» (الحج ٧٢).

ثم يدعوهم إلى الإيمان باليوم الآخر، اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق فيحاسبهم على اعمالهم. وقد أقام الحجة تلو الحجة عليهم ويريهم ان الإعادة أهون من الابتداء في حكم العقل «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه».

«يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة . . . وترى الأرض هامدة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وإنه يحيي الموتى وإنه على كل شيء قدير» (الحج ٥ - ٦).

ويلفت نظرهم الى أنفسهم فيقول إنكم في كل يوم تنشرون وتبعثون «وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتا وجعل النهار نشورا» (الفرقان ٤٧).

«الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (الزمر ٤٢).

«يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون» فأي إيمان هذا أيها الناس وأي درجة من النظر العميق الدقيق الواسع؟ انك ترى معي أن إيمان مثل هذا الشخص لا يكون إيمانا تقليديا وإنما هو قائم على التدقيق والنظر يقوده إليه الوحي، إنه إيمان عميق يقوم على الحجة الساطعة والبرهان القاطع. وما جاء به من الحجج - كما ذكرت - كفيل باقناع أي عقل في زمانه في الأقل. فهل يا ترى أن هذا الرجل يمكن ان يكون كاذبا على الله مفترياً عليه؟ وأين يفر من عذابه وعقابه «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء؟» (الأنعام ٩٣).

بهذا العمق والحرارة أخذ يدعو قومه إلى الله وكان الوحي يوجهه ويسدده ويمتثل لكل ما يجيء به امتثالا دقيقاً. فقد كان أول أمره وجلا من هذه الظاهرة خائفا على نفسه حتى إذا نزلت «يا أيها المدثر قم فأنذر» فارق برح الخفاء واخذ يدعو قومه سراً دعوة هادئة حتى إذا نزل قوله تعالى «وانذر عشيرتك الأقربين» صعد على الصفا

... لأمر الوحي وجعل ينادي بطون قريش ويقول لهم: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. كما ثبت في الصحيحين.

حتى إذا نزلت «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» جاهر بالدعوة كما أمره الله وصدع بها في كل مكان وكل ناد وتحمل من الأذى ما لا يقادر قدره وأرسل الرسائل الى ملوك وعظماء زمانه يدعوهم الى الاسلام فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه ومنهم من احترم دعوته وأكرم كتابه ورسله والجدير بالذكر من أمر هذه الرسائل رسالته الى هرقل ملك الروم. إذ نرى أن هرقل يتقصى خبره ويختبر أمره بأسلوب عاقل ويخلص إلى ان هذا الرجل لا يمكن ان يكون كذابا وإنما هو نبي فقد جاء في صحيحي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود أن أبا سفيان بن حرب أخبره «واللفظ للبخاري» أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (ﷺ) مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟ فقال ابو سفيان فقلت انا اقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذّبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتدّ أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال؟ قلت: لا

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم

قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه .

قال : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول أباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال احد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من أبائه من ملك؟ فذكرت أن لا . قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أنْ ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر؟ فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت إنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فان عليك إثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِر أمر ابن ابي كبشة إنه يخافه ملك بني الاصفر. فما زلت موقناً إنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

ثم ذكر البخاري أن هرقل أذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطّلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال: ردوهم عليّ، وقال: «إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت.

فسجدوا له ورضوا عنه» .

وبذا يخلص الرجل إلى أنه نبي صادق وتمنعه الرغبة في السلطان والحكم من اتّباعه ﴿ﷺ﴾ .

ويظل الرسول ﴿ﷺ﴾ يجاهد الشرك والباطل حتى أظهره الله ونصره وأعلى كلمته .

ومن مظاهر تغير حياته ﴿ﷺ﴾ بعد نزول الوحي إنه أصبح يربط كل شيء بالله فلا خير إلا فيما يرضي الله والشر فيما يسخطه والأعمال كلها بحسب النيات فمن ابتغى وجه الله فله اجره ومن لم يبتغ وجه الله فلا خير له في عمله ولا أجر له ولا ثواب ولو كان بقدر الدنيا .

وأخذ يوجه أصحابه إلى أن يبتغوا في كل عمل يعملونه أو قول يقولونه ما يثقل ميزانهم في الآخرة من غير إخلال بحياتهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة .

وكان يعلمهم أن مفتاح الدخول في دين الله هو قول (لا إله إلا الله) ولا ينفع شيء من دون هذه الكلمة وإن الله لا يرضى عن أحد كائنا من كان حتى ينفي عنه الشرك بهذه الكلمة .

وتريك هذه المحاورة القصيرة بينه ﴿ﷺ﴾ وبين عمه أبي طالب الذي نصره وأعانه وتحمل معه من الهموم ما تحمل مقدار إيمانه بها . فقد كان عمه على فراش الموت وكان ﴿ﷺ﴾ حريصا على إنقاذ عمه من النار فكان يلح عليه ليقولها . روى البخاري ومسلم بأكثر من طريق أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﴿ﷺ﴾ وعنده أبو جهل فقال : أي عم قل لا اله إلا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب .

فقال النبي ﴿ﷺ﴾ : لاستغفرنّ لك ما لم انه عنه فنزلت : «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» ونزلت : « إنك لا تهدي من أحببت » .

فهو إيمان حار صادق بأن هذه الكلمة مفتاح النجاة من النار والدخول في الجنة . وكان يقول من قال لا إله إلا الله مؤمنا بها دخل الجنة .

ونراه يجتهد ويعلم أصحابه الإجتهاد لرضاء الله بالطاعات وفعل الخير والأمر به والابتعاد عن المنكر والنهي عنه وذكر الله ذكراً كثيرا والاستغفار والتوبة والتسبيح والتحميد مما لم يكن معهودا عنده قبل الرسالة ولا عند قومه ولا عند أصحاب الكتاب قبله . فتراه يعلمهم كيف يذكرون الله ويحمدونه إذا ناموا وإذا قاموا وإذا أكلوا وشربوا وإذا لبسوا وإذا تطهروا وإذا خرجوا من البيت أو دخلوا فيه وإذا دخلوا المسجد أو خرجوا منه وإذا سافروا أو رجعوا فأصبحت حياتهم كلها ذكراً وشكراً وحمداً وتسبيحا واستغفاراً وتوبة .

وكان يعلمهم أن الله بيده كل شيء فمن استعان فليستعن بالله ومن سأل فليسأل الله وإذا أراد الله شيئا فلا رادّ له ولا معقب لحكمه ، فمن كربه أمر فليضرع إلى الله ، ومن أهمه شيء فليلتجيء إليه وإذا عسر عليه أمر فليدعه سبحانه فهو الكفيل

بالاجابة «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداعِ إذا دعان » .

وعلمهم إذا انقطع الغيث كيف يستسقون ربهم وقداستسقى ربه أمامهم مرات «استجاب» وعلمهم أنه بالطاعات والتوبة والاستغفار تدوم النعم ويستجلب الخير «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً» «وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله» .

وقد كان ﴿ﷺ﴾ ـ كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة ـ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ !

فما سر هذا التغيير العجيب؟

إنه الوحي .

ثم نرى أن هذا الرجل الأمي الذي عاش في بيئة جاهلة أمية ليس فيها مدرسة ولا كتاب مدوّن جاء بنظام كامل شامل للفرد والبيت والمجتمع ونظام الحكم وتنظيم علاقات الناس فيما بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين اخوتهم من المؤمنين، وبينهم وبين بقية الناس تنظيما أعجز الخلق عن مجاراته وأخرج به طرازا فريدا من الناس وجيلا عاليا تستشرف له الانسانية . واثبت عمليا ان هذا النظام لا يمكن ان يجارى كما اعترف بذلك اساطين العلماء وجهابذة أرباب الفكر في الغرب والشرق .

أليس هذا وحده كافيا في الدلالة على ان هذا الرجل الأمي الأمين الصادق رسول الله حقاً؟!

أظن أن هذا وحده يدل على نبوته عند قسم غير قليل من الناس ولكن آخرين من الناس يريدون دليلاً من طراز آخر وسنقدم لهم الدليل بعون الله .

القرآن كتاب الله

هل القرآن كتاب الله حقاً ، أنزله على محمد بواسطة الملك ؟ أفلا يمكن أن يكون هذا الكتاب من صنع محمد ؟ ما الدليل على أنه من عند الله ؟

هذه أسئلة كثيراً ما مرت على خاطري وبقيت أعاني منها فترة طويلة .

إن محمداً ادّعى أن القرآن كتاب الله أنزله تعالى عليه بلفظه وبمعناه ، نزل به جبريل من عند الرب وتلاه محمد كما سمعه من جبريل ، وليس اللفظ للرسول والمعنى لله وإنما هو منزل بلفظه ومعناه . قال تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله » وقال : « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . وهو كلام الله ولو لم يكن لفظه له ما سماه الله تعالى كلامه قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

ونحن في هذا البحث نريد أن نتحقق من صحة هذا الإدّعاء . وقد ذكر محمد أن الله جعل في القرآن الدليل على نبوته والبرهان على رسالته فقال : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » (النساء ١٧٤) فسماه برهاناً ونوراً مبيناً .

ومعنى هذا القول ان الله جعل في القرآن من الأدلة العقلية على نبوة محمد ما يقيم به الحجة على خلقه وانهم لو التمسوا البرهان على ذلك لوجدوه فيه .

وعلى هذا سنلتمس الدليل على نبوة محمد في القرآن فلعل فيه ما يؤيد هذه الدعوى .

وأود أن أنبه على مسألة يجدر التنبيه عليها في بحثنا هذا وهي أننا حين نستشهد بالقرآن ليس القصد هو الاستدلال الديني بل الاستدلال التاريخي فإن القرآن بلا شك أصدق وثيقة تاريخية عن ذلك العهد .

الأدلة القرآنية

إعجاز القرآن :

تحدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ومن الثابت أنهم انقطعوا عن ذلك فقامت الحجة .

وتفصيل ذلك أن القرآن تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يرون أنه مفترى فقال : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لك فاعلموا إنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ؟ » (هود ١٣ ـ ١٤) فلما انقطعوا وقامت الحجة عليهم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله وأخبر أنهم لن يفعلوا فانقطعوا جميعاً وقامت الحجة عليهم قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة ٢٣ ـ ٢٤) . وأكد التحدي بقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (الإسراء ٨٨) فقد دعا القرآن العرب إلى أن يأتوا بسورة من مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما يشمل طوالها فهو تحداهم بسورة الكوثر والإخلاص والمعوذتين والنصر ولإيلاف قريش أو أية سورة يختارونها ، فقال لهم اختاروا سورة من القرآن وأتوا بمثلها .

ومن المعلوم أن العرب لم يحاولوا أن يفعلوا ذاك فقد كانوا يعلمون عجزهم عنه فحاولوا إطفاء نور الله عن غير هذا السبيل . ورأوا أن سبيل الحرب والدماء وتجميع الأحزاب أيسر عليهم من مقابلة تحدي القرآن . وهذا أمر غريب فإنا نعلم أن المناظرات الأدبية كانت موجودة عندهم وإنهم يقيمون المحكمين للتحديات الأدبية فما الذي صرفهم جميعاً عن هذا التحدي القاسي لولا أنهم يعلمون أنهم لا يستطيعون ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن . تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف وأصحاب الكهف وذي القرنين .

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه . . . فتارة يقولون مجنون وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون شاعر . . . فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها »[1] .

وجاء في كتاب (تثبيت دلائل النبوة) للهمذاني في قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . . . الآية » : « وفي هذا إخبار عن غيوب كثيرة لأنه قال لكل واحد من الجن والانس انك لا تأتي بمثل هذا القرآن ولا أحد يأتي بمثله في كل حال منفردين ولا مجتمعين فما أتوا به مع حاجتهم إلى ذلك وشدة حرصهم عليه أفمن هذا تعجب ؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك وهو لا يعرف العرب كلها ولا يحصى قبائلها ورجالها ونساءها ، والفصاحة والبلاغة مثبوتة في رجالها ونسائها وعبيدها وامائها وعقلائها ومجانينها . . . فلولا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك »[2] .

ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه ولذلك حاولوا أن يحولوا بين القرآن واسماع الناس ، حاولوا أن لا يصل إلى الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دوياً هائلاً وهزة عنيفة . وحكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (فصلت ٢٦) .

وهكذا كانت الحرب الأولى أن يحولوا بين القرآن وإسماع الناس ولكن أنّى لهم هذا؟ فقد كان القرآن الكريم يستهوي الأسماع ويأخذ باللب على الرغم من التحذيرات بل ربما كانت التحذيرات داعياً قوياً إلى سماعه .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٧٣ - ٧٤
(٢) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٨٥ - ٨٦

وكان صناديد قريش وأعتاهم محاربة للرسول وأشدهم كيداً له ونيلاً منه لا يملكون أنفسهم عن سماعه فقد كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق يأخذ نفسه خلسة لسماعه في الليل والرسول في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً . ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال اول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا »[1] .

وقد أخبر الله نبيه بهذا الأمر فقال : « نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » . (الإسراء ٤٧) .

وقد شهد بحلاوة التعبير القرآني وعذوبته الوليد بن المغيرة وهو من صناديد قريش وعتاتهم حين اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدرون عنه يقولونه للناس في الموسم فقال بعضهم شاعر وقال بعضهم كاهن وقال بعضهم ساحر وقال بعضهم مجنون فكان يرد هذه الأقوال ويفندها ثم قال : والله إن قوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو وما يعلى عليه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا يعرف أنه باطل وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة « ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدّر . فقتل كيف قدّر . ثم قتل كيف قدّر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤ ، سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨

البشر سأصليه سقر » [1] .

وجاء عن ابن عباس أنه قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال : « ياعجباً لما يقول ابن أبي كبشة ـ يعني رسول الله (ﷺ) ـ فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي الجنون وإن قوله لمن كلام الله » [2] .

والتعبير القرآني أعذب كلام وأجمله ، وإليك أمثلة توضح طرفاً من جماله :

١ ـ قوله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كل سفينة غصباً . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » (الكهف ٧٩ ـ ٨٢) .

وهذه الآيات من قصة موسى والرجل الصالح وكان من خبرهما أنهما ركبا في سفينة فخرقها الخضر فاعترضه موسى ، ولقيا غلاماً فقتله فاعترضه موسى ، ودخلا قرية طلبا من أهلها طعاماً فلم يضيفهما أحد فيها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه وبناه فاعترضه موسى . وقبل أن يفترقا بين الخضر لموسى الحكمة من هذه الأفعال بما مر من الآيات القرآنية .

فأنت ترى أنه حين حكى على السفينة قال : « فأردت أن أعيبها » فأسند العيب الى نفسه وأنه حين حكى على الغلام قال : « فأردنا أن يبدلهما ربهما » فأسند الإرادة إلى الضمير المشترك . وحين حكى على الجدار قال : « فأراد ربك » فأسند الإرادة إلى الله .

---

(1) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ، سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥

(2) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣

ثم قال في عقب ذلك كله (وما فعلته عن أمري) علماً بأنه هو الذي باشر الأعمال ... فالسفينة هو الذي خرقها (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) ، والغلام هو الذي قتله (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) ، والجدار هو الذي أقامه (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه) .

فما سر هذا الاختلاف في التعبير ؟

السر في ذلك بديع وهو انه حين قال : (فأردت أن أعيبها) أراد أن ينزه الله تعالى عن العيب فأسنده إلى نفسه [1] ، وهذا في القرآن كثير فإن التعبير القرآني ينزه الله تعالى عن العيوب وإرادة الشر ومنه قوله تعالى : « وأنَّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً » ففي الشر قال (أريد بمن في الأرض) ، وفي الخير الرشد قال (أراد بهم ربهم) . ونحوه قوله تعالى (زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين . . .) وقال في مكان آخر « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم » ففي حب الشهوات قال (زُيِّن) وفي تحبيب الإيمان وتزيينه قال : « ولكن الله حبب . . . » .

ونحوه قوله تعالى : « الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين » فترى أنه في مقام تعداد النعم أسندها كلها إلى الله فقال : ... ، يهدين ، يطعمني ، يسقين ، ولكنه أسند المرض إلى نفسه فقال (... مرضت) ولم يقل (يمرضني) ثم أسند الشفاء إلى الله فقال (فهو يشفين) .

ومنه ما جاء في القرآن في أهل الكتاب فإنه حين يقول « آتيناهم الكتاب » بإسناده ... يكون ذلك في مقام المدح لهم فإذا أراد ذمهم قال (أوتوا الكتاب) ببناء الفعل للمجهول وذلك نحو قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » وقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وقوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » وقوله « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه ... من ربك بالحق » وقوله « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

---

(1) ... بدائع الفوائد ٢/ ١٨ ـ ١٩ ، التفسير القيم ١٢ ـ ١٣ ، ٥٥٥ ـ ٥٥٦

ولكنه قال : « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم »
وقال : « وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » وقال : « مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » وقال : « ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » .

وقال : « ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل » .

وقال : « الم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » .

وقال : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »
وهذا باب واسع في القرآن .

ونعود إلى قصة الخضر وموسى فنرى أنه في قصة قتل الغلام يأتي بالضمير المشترك قال : « فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً » وذلك لأن الأمر فيه اشتراك الخير والشر وهما قتل الغلام وهو شر في ظاهر الأمر ، وإبدال خير منه وهو حسن فاشترك الضمير كما اشترك الفعل ثم انظر إلى قوله : « أن يبدلهما ربهما خيراً منه » فأسند الإبدال إلى الله وحده لأنه خير محض .

وأما اقامة الجدار فهو عمل كله خير فأسنده إلى الله وحده فقال : « فأراد ربك » وعقب عليها جميعها بقوله (وما فعلته عن أمري) .

ونحو هذا التعبير قوله تعالى (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم) ففي النعمة أظهر الباري نفسه لأن النعم انما تكون من الله (وما بكم من نعمة فمن الله) ولأن فيه تكريماً للمنعم عليهم وفي الغضب قال (المغضوب عليهم) ولم يظهر صاحب الغضب فكأن هؤلاء مغضوب عليهم في هذا الوجود من كل جانب لا من جانب واحد [1] والله أعلم .

(١) انظر التفسير القيم ١٢ وما بعدها .

٢ - قوله تعالى : «فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» (الكهف ٩٧) .

وهذه الآية قالها ربنا في السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب ، قال تعالى على لسان ذي القرنين : « آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا » .

فقال : «فما اسطاعوا أن يظهروه» اي يصعدوا عليه ، ثم قال : « وما استطاعوا له نقبا » .
وذلك انه لما كان صعود السد الذي هو من قطع الحديد والنحاس المذاب أيسر من نقبه واخف عملا خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء فقال (اسطاعوا أن يظهروه) وطوّل الفعل فجاء بأكثر بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال «وما استطاعوا له نقباً» فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب، وهو تعبير طريف بديع .

ومثله قوله تعالى في هذه السورة في قصة موسى والخضر انه حين التقى به قال له الخضر (انك لن تستطيع معي صبراً) ولكنه قال له في الاخير «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً» فإن موسى لما كان متعجلاً في الاعتراض على كل فعل يقوم به الخضر ولم يصبر عجّل له الخضر الفعل فحذف التاء وأراد صرفه فقال (تسطع) بخلاف اول اللقاء فانه لا يليق ذاك .

٣ - قوله تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم»

وقوله : «لا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم»

فجعل الرزق في الآية الاولى للاولاد أولاً ثم للآباء ، وفي الآية الثانية جعله للآباء أولاً ثم للاولاد ، وفي ذلك سر بديع ففي الآية الاولى انهم يقتلون اولادهم خشية الفقر لا أنهم مفتقرون في الحال فقال : لا تقتلوهم فانا نرزقهم واياكم ، اي ان الله جعل لهم رزقهم فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تخشوا الفقر . وأما في الآية الثانية فهم يقتلون اولادهم من الفقر الواقع بهم لا أنهم يخشونه فهم في حاجة الى الرزق الآني السريع ليعولوا أولادهم فعجل لهم ذاك فقال: نحن نرزقكم

وإياهم»[1].

ونحوه ما جاء في سورة الاعراف : «ونادى أصحاب الجنة اصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»(٤٦)

ولم يقل (ما وعدكم) بمقابل (ما وعدنا) وذلك لأن الكفار كانوا ينكرون اليوم الآخر جلة وتفصيلا ولا ينكرون ما وعدهم به فقط فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقاً؟ بخلاف المؤمنين فانهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة فقال (وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً)[2].

٤ ـ قوله تعالى : «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون».

ولم يقل أدعوتموهم أم صمتم فجاء بقوله (صامتون) على صيغة اسم الفاعل وذلك لأن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد ، تقول : هو يحفظ وهو حافظ ، فمعنى (يحفظ) انه يفعل ذاك ومعنى (حافظ) انه متصف بهذا الامر وثابت له . ومثله هو يطّلع وهو مطّلع وهو يخطب وهو خطيب .

فالفعل يدل على الحدوث والتجدّد والاسم يدل على الثبوت .

فانا نرى انه في الآية جعل الصمت بصيغته الاسمية والكلام بصيغته الفعلية وذلك لأن الاصل في الانسان ان يكون صامتاً ولا يتكلم الا لحاجة تعرض له . فالانسان صامت اذا مشى واذا جلس واذا نام فان عرض له شيء تكلم . فالصمت هو الحالة الثابتة للانسان فكأنه قال: أدعوتموهم أم بقيتم على صمتكم[3] .

وشبيه به قوله تعالى في المنافقين «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون».

فاذا رأى المنافقون أهل الايمان قالوا (آمنا) بصيغته الفعلية الدالة على التجدد والحدوث واذا لقوا أصحابهم أظهروا ما في انفسهم من الكفر وظهرت نفوسهم على

(١) انظر بديع القرآن ٢٦١ ، تحرير التحبير ٥٦١
(٢) انظر الكشاف ١/ ٥٤٩
(٣) انظر الكشاف ١/ ٥٩٢

سجيتها فقالوا (انا معكم انما نحن مستهزئون) فجاء به جملة اسمية مؤكدة بان فخالف بين التعبيرين لاختلاف الحالين[1] .

٥ ـ قوله تعالى في سورة البقرة ٥٨ ـ ٦٠ : «واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون . واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين » .

وقوله في سورة الاعراف (١٦٠ ـ ١٦٢) في القصة نفسها : «وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون . واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون».

فانظر الى الفرق بين التعبيرين مع أن الموضوع واحد :

البقرة	الأعراف
واذ قلنا	واذ قيل لهم
ادخلوا	اسكنوا
فكلوا	وكلوا
رغداً	—
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم	وقولوا حطة . وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم

(١) انظر الكشاف ١/ ١٤٢

وسنزيد	سنزيد
فبدل الذين ظلموا قولاً	فبدل الذين ظلموا منهم قولا
فانزلنا	فأرسلنا
على الذين ظلموا	عليهم
يفسقون	يظلمون
واذ استسقى موسى لقومه	اذ استسقاه قومه
فقلنا اضرب	وأوحينا الى موسى . . أن اضرب
فانفجرت	فانبجست

فما سر هذا التغيير؟

ان سر التغيير يتضح من الاطلاع على سياق الآيات في السورتين فسياق هذه الآيات في سورة البقرة هو تعداد النعم التي انعمها الله على بني اسرائيل ويبدأ الكلام معهم بقوله : «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين» . (البقرة ٤٧)

ثم يأخذ بسرد النعم عليهم ويذكّرهم بها .

أما في سورة الاعراف فالمقام مقام تقريع لبني اسرائيل وتأنيب فان بني اسرائيل قوم لا يتعظون فانهم بعد ما انجاهم من البحر وأغرق آل فرعون طلبوا من موسى ان يجعل لهم اصناماً يعبدونها ، وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل ، وانهم كانوا ينتهكون محارم الله فقد طلب الله منهم أن يعظموا حرمة السبت فانتهكوها وأخذوا يصطادون الحيتان فيه الى غير ذلك .

فالفرق واضح بين السياقين فناسب بين كل تعبير والمقام الذي ورد فيه ، وانظر الى توضيح ذلك .

قال تعالى في سورة البقرة (واذ قلنا) فأسند الرب القول الى نفسه وهو تشريف وتكريم كما مر بنا سابقاً ، وفي سورة الاعراف (واذ قيل لهم) فبنى القول للمجهول

ولم يظهر الرب نفسه لأنهم هنا لا يستحقون هذا التشريف وهو نحو قوله تعالى (آتيناهم الكتاب) و(أوتوا الكتاب) .

وقال في سورة البقرة (ادخلوا هذه القرية فكلوا) اي ان الاكل يكون عقب الدخول لأن الفاء تفيد التعقيب أي بمجرد دخولكم تأكلون تواً . وأما في سورة الاعراف فقال (اسكنوا هذه القرية وكلوا) فالأكل لا يكون الا بعد السكن والاستقرار وليس بعد الدخول . ثم لاحظ الفرق ايضاً فقد قال في سورة البقرة (فكلوا) اي ان الاكل يكون بعد الدخول تواً ولم يأت بالفاء في الاعراف وانما جاء بالواو ليفيد أنه ليس هناك من تعقيب وان الاكل سيحصل مع السكن ليس موقوتاً بزمن . وفرق كبير بين الامرين فهما كما تقول لشخص : انت بمجرد دخولك يجيئك الاكل تواً .

او تقول له : اذهب واسكن وان الاكل يأتيك (غير محدد بزمن) .

وقال في سورة البقرة (رغداً) لانه مناسب لتعداد النعم ولم يقل (رغداً) في سورة الاعراف لأن المقام مقام تقريع وتأنيب وانهم لا يستحقون رغد العيش .

وقدم السجود في سورة البقرة ، على القول فقال : «وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة» لسببين والله اعلم :

الاول لأن السجود اشرف من القول لأنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فناسب مقام التكريم .

الثاني لأن السياق يقتضي ذلك فقد جاءت هذه القصة في عقب الامر بالصلاة ، قال تعالى : «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . . . واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقو ربهم وانهم اليه راجعون . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم . . .» .

فناسب ههنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ، وكلا الامرين مرفوع في سورة الاعراف فأخر السجود .

وقال في سورة البقرة (نغفر لكم خطاياكم) بجمع الكثرة لأن الخطايا جمع كثرة

وهو مناسب لمقام تعداد النعم والتكريم اي مهما كانت خطاياكم كثيرة فانا نغفرها لكم، وقال في سورة الاعراف (خطيئاتكم) بجمع القلة لأن الجمع السالم يفيد القلة . اي يغفر لهم خطيئات قليلة وهو مناسب لمقام التقريع والتأنيب.

وقال في سورة البقرة (وسنزيد) فجاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويع ولم يجيء بها في سورة الاعراف والسبب واضح .

وقال في سورة البقرة (فبدل الذين ظلموا قولاً) وقال في سورة الاعراف (فبدل الذين ظلموا منهم) وذلك لأنه سبق هذا القول في هذه السورة قوله تعالى (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) (الاعراف ١٥٩)

اي ليسوا جميعاً على هذه الشاكلة من السوء فناسب هذا التبعيض التبعيض في الآية السابقة.

وقال في سورة البقرة (فأنزلنا) وقال في سورة الاعراف (فأرسلنا) ذلك لأن الارسال اشدّ في العقوبة من الانزال قال تعالى في اصحاب الفيل(وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) . وكل منهما يناسب موطنه .

وقال في سورة البقرة (على الذين ظلموا) وقال في سورة الاعراف (عليهم) وهو أعم من الأول، أي أن العقوبة أعم وأشمل وهو المناسب لمقام التقريع.

وقال في سورة البقرة (بما كانوا يفسقون) وقال في سورة الاعراف (بما كانوا يظلمون) لأن الظلم اشد من الفسق وهو المناسب لـ «ارسال» العذاب فذكر في كل سياق ما يناسبه .

وقال في سورة البقرة: «واذ استسقى موسى لقومه» فموسى ههنا هو الذي استسقى ربه لقومه ، وقال في سورة الاعراف (اذ استسقاه قومه) اي ان قوم موسى استسقوا موسى والحالة الاولى اكمل وأبلغ في النعمة.

وقال في سورة البقرة (فقلنا اضرب) وقال في سورة الاعراف (وأوحينا الى موسى . . . ان اضرب) فان القول المباشر من الله اكمل واشرف من الايحاء .

وقال في سورة البقرة (فانفجرت) وقال في سورة الاعراف (فانبجست) وثمة فرق بين الانفجار والانبجاس فان الانفجار للماء الكثير، والانبجاس للماء القليل، وكل تعبير يناسب موطنه . فان المقام في سورة البقرة مقام تعداد النعم كما ذكرنا . هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ان موسى هو الذي استسقى ربه فناسب اجابته بانفجار الماء . ومن ناحية ثالثة ان الله قال لموسى اضرب بعصاك الحجر ولم يوح اليه وحياً فناسب ذلك انفجار الماء الكثير الغزير ، بخلاف ما ورد في سورة الاعراف فجاء بالانبجاس[1]، والله اعلم.

وقيل ان الماء اول ما انفجر كان كثيراً ثم قل بعصيانهم فعبر في مقام المدح بالانفجار وفي حالة الذم بالانبجاس .

وهذا تعبير - كما ترى - في غاية الدقة والجمال.

وليس جمال التعبير القرآني منحصراً في هذا المجال بل هذا باب ضيق من ابواب الجمال. ولسنا الآن بصدد تبيين محاسن التعبير القرآني فانه باب يطول ويتسع ولعل الله ييسر لنا اخراج شيء من ذلك في قابل الايام. ولكن هذه امثلة ذكرناها لتبيين طرف من جمال التعبير القرآني يقوم على ابدال لفظة مكان لفظة او تعبير مكان تعبير . اما التصوير الفني والتقديم والتأخير والاختيار العلمي والأدبي للفظة على اختها والذكر والحذف وغير ذلك من ابواب البلاغة والادب فهو أمر يطول ويطول.

الاعجاز العلمي

القرآن ليس كتاباً في علم من العلوم وإن كانت فيه مسائل علمية في غاية الدقة . وليس من الصحيح محاولة تفسير القرآن بالامور العلمية غير الثابتة فان العلم يتطور ويتجدد، والنظريات العلمية عرضة للتغيير والنقص، فماذا يكون نصيب التفسير القرآني عند ذاك؟

ولكن اذا ثبت شيء من الحقائق العلمية التي لا تقبل النقض وكان في القرآن ما

(١) انظر معترك الاقران في اعجاز القرآن ١/ ٨٧ - ٨٨

يؤيدها أو يقررها فلا بأس ان نقول ان هذا يوافق ما في القرآن الكريم ، وهو اعجاز علمي. ولنذكر على سبيل المثال بضعة امثلة من امثلة الاعجاز العلمي بصورة مختصرة :

١ ـ ما ذكره الله في تكوين الجنين في الرحم وذكر أطواره من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك من الأطوار مما لا يمكن الاطلاع عليه ولا معرفته آنذاك ، ولم يعرف أمره إلا بعد ظهور علم التشريح والتصوير الشعاعي.

وثبت ان ما اكتُشف في ذلك وانتُهي إليه موافق لما في القرآن الكريم فدل ذلك على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صنع رجل امي عاش في بيئة بدوية قبل اكثر من الف واربعمائة سنة وانما هو قطعا من عند الله خالق البشر.

٢ ـ الضغط الجوي: قال تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصَّعَّد في السماء» (الانعام ١٣٥) وهذه الظاهرة التي ذكرها القرآن وهي ظاهرة ضيق التنفس في الطبقات العليا في الجو لم تكتشف الا بعد اختراع الطائرات والبالونات وهي ظاهرة تحصل نتيجة لاختلال الضغط الخارجي وزيادة الضغط الداخلي.

ولا يمكن الوصول الى معرفة هذا الشيء لولا الطيران ، فذكرُ القرآن لهذه الظاهرة قبل اختراع الطيران بقرون كثيرة يدلنا بصورة قاطعة على ان القرآن لا يمكن ان يكون كلام بشر وانما هو كلام الله خالق الكون ومبدع السماء والأرض .

٣ ـ تمدد الكون وتوسعه : قال تعالى: «والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون» (الذاريات ٤٧)

يثبت القرآن توسع الكون وتمدده بصورة مستمرة وليس الكون ذا سعة ثابتة ـ كما يذكر القرآن ـ وهذا أمر عجيب اذ لم يكن يخطر على بال بشر ان الكون يتسع بصورة مستمرة حتى اثبت العلم الحديث هذا الأمر. فان الكواكب السديمية تبتعد بصورة مستمرة عن بعضها ويحدث تبعاً لهذا توسع في المجال الفضائي بصورة مستمرة وهذا انجاز علمي عظيم، جاء في (الظاهرة القرآنية) : «وهكذا يبدو الفضاء في نظر القرآن وكأنه لا ينتهي وكأنه يزداد على الدوام. هذه الفكرة التي اصبحت الآن علمية هي

التي هالت انشتاين نفسه عندما اكتشف عالم الطبيعة هابل Huble ان الكواكب السديمية تبتعد عن سدينا واستنبط عالم الرياضة البلجيكي القسيس لو متر Lemaitre من ذلك نظرية امتداد الكون . . .

وهل يستطيع احد ان يقول بان معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمي؟»[1]

٤ ـ انفصال الأرض عن السماء : قال تعالى «أولم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» (الانبياء ٣٠)

فالقرآن يخبر ان السماوات والأرض كانتا رتقا اي كانت كتلة واحدة ففتقها ربها وفصلها . وهذا يتفق مع أحدث الآراء العلمية الحديثة ولا تزال الابحاث العلمية تؤيد هذا المذهب بصورة مستمرة . وهو اعجاز علمي آخر .

٥ ـ كروية الأرض : قال تعالى: «يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل» وتكويرهما يقتضي تكوير ما تحتهما . ولا يظن ظانٌ اننا ذهبنا الى هذا الرأي في تفسير الآية بعد اثبات كروية الارض في العصر الحديث ، فقد استدل بذلك علماء المسلمين قبل زهاء الف عام . قال الامام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ في كتابه (الفصل في الملل) في بحث كروية الارض: «بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها ، قال الله عز وجل (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو ادارتها. وهذا نص على تكوير الأرض»[2]. وهو تفسير علمي طريف حقاً .

٦ ـ حركة الأرض : قال تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون .» (النمل ٨٨)

فهذا فيما نرى نص على حركة الأرض ، وقد يقول قائل ان المقصود بهذا التسيير هو تسييرها يوم القيامة . ولكن قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يأبى هذا التفسير فيما نرى . فانّ قوله (صنع الله الذي اتقن كل شيء) يقصد بها خلقها

(١) الظاهرة القرآنية ٢٩٢ ـ ٢٩٣
(٢) الفصل في الملل ٢ / ٩٥

وحالتها الطبيعية وليس المقصود صنعها يوم القيامة . فانه في يوم القيامة يتغير نظام الكون فتتساقط الكواكب وتكوّر الشمس وتزلزل الارض وتتفجر البحار فلا يناسب هذا القول والله اعلم.

القصص القرآني :

القصص القرآني على قسمين :

قسم لا يعرفه اهل الكتاب ولم يذكر في كتبهم كقصة هود وصالح وشعيب وما حصل لهم مع أقوامهم قوم عاد وثمود وغيرهم.

وهم في الغالب يقفون منه موقف المنكر له . وقد انكر وجود هذه الأقوام قسم ممن تسمى بالعلم وانتسب إليه من المستشرقين وغيرهم ، ومن اقطاب هؤلاء المستشرقين «من انكر عاداً وثمود وأنكر الكوارث التي أصابتهم بغير حجة الا انه يحسب ان المنكر لا يطالب بحجة ولا يعاب على النفي الجزاف . فما لبثوا طويلا حين تبين لهم ان عاداً (Oadita وثمود «Thamudida مذكورتان في تاريخ بطليموس وان اسم عاد مقرون باسم إرم في كتب اليونان فهم يكتبونها « ادراميت «Adramitae ويؤيدون تسمية القرآن لها بعاد إرم ذات العماد . . وعثر المنقب موزيل التشكي Musil[1] صاحب كتاب الحجاز الشمالي على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية وفيه اشارة الى قبائل ثمود»[2] .

والقسم الآخر من القصص القرآني ما هو مذكور في كتبهم كقصة خلق آدم من تراب ووضعه في جنة عدن واخراجه منها ، وقصة نوح والطوفان وقصة ابراهيم ولوط واهلاك قومه ، وقصة يعقوب ويوسف وموسى وأيام بني اسرائيل بالتفصيل كاستعباد فرعون لهم وتقتيل ذكورهم وولادة موسى وقتله المصري وهروبه الى مدين وزواجه بنت شعيب ثم اصطفاء موسى لارساله الى فرعون وتأييده بالمعجزات وما

---

(١) Northern Hejaz by Musil

(٢) مطلع النور لعباس محمود العقاد ٧٤

حصل له مع السحرة وخروج موسى ببني اسرائيل وايباس طريق لهم وسط البحر ومناجاة الرب لموسى وفتنة بني اسرائيل في عبادتهم العجل وتيههم أربعين سنة ، وضرب الحجر وانفجار الماء منه وسؤالهم القثّاء والبصل ونحوها .

وغير ذلك من الايام في زمن داود وسليمان وغيرهما من الانبياء والأحداث بتفصيل دقيق مما لم يكن يعلمه الرسول «ﷺ» ولا قومه قبل ان ينزل في القرآن وقد ذكر القرآن هذا الأمر فقال في عقب قصة نوح «تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين» (هود ٤٩) .

وقال في عقب قصة يوسف التي ذكرها بالتفصيل «ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون» ، وقال : «وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون» . (القصص ٤٤ ـ ٤٦) .

وقال بعد أن ذكر نذر امرأة عمران وولادة مريم ونشأتها ودعوة زكريا وتبشيره بيحيى : «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون» . (آل عمران ٤٤) .

فهذه القصص كما اخبر القرآن لم يكن يعلمها محمد ولا قومه ، فمن اخبره اذن بها إن لم يكن يعلمها هو ولا قومه كما يذكر القرآن ، والقرآن اصدق وثيقة تاريخية للمجتمع العربي آنذاك ؟ من اعلمه بهذه القصص والاخبار وهو لم يتعلمها من احد؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله تعالى «تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا» : «فذكر سبحانه ان هذا الذي أوحاه اليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا» .

فاذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من اهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر الا قومه ، وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون انهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون

أيضاً انه هو لم يكن تعلم ذلك وانه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه». [1]

وقال: «واخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه وإلقائه في النار . . . وغير ذلك من قصص الانبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره الى ان ادّعى النبوة انه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم. كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بان هذا انما اعلمه به وانبأه به الله . . .

ثم سائر أهل الارض يعلمون انه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق:

احدها ان قومه المعادين له الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته مع كمال علمهم لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك وأظهروه . فانهم - مع علمهم بحاله - يمتنع ان لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع ان لا يقدحوا فيه ويمتنع ان لا يظهر ذلك.

الثاني : انه قد تواتر عن قومه انهم كانوا يقولون : انه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك.

الثالث : انه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من اهل الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه . ولو أظهروا لنقل ذلك وعرف فان هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها» [2] .

وقال الفخر الرازي : «ان هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام كان أميا وما طالع كتابا ولا تلمذ استاذا فاذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على انه **إنما كان عرفها** بالوحي من الله وذلك يدل على صحة نبوته» [3] .

---

(1) الجواب الصحيح ٤ / ٣٤

(2) الجواب الصحيح ٤ / ٢٤ - ٢٥ ، وانظر ٣/ ٢٦١

(3) تفسير الرازي ١٤ / ١٤٦

وقد ذكر القرآن الكريم أن بعض قومه ادعى ان بشراً يعلمه فقال : «ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين» (النحل ١٠٣)

وقد رد القرآن هذا القول رداً كافيا وافيا فقال: ان لسان هذا الشخص الذي يذكرونه اعجمي وهذا لسان عربي معجز ، ولم يعقبوا على هذا الرد فاتضح ان هذا الرد كان كافيا . ومن ايسر ما يرد به هذا القول ان الرسول كان يُسأل في مجالس [illegible]دة واماكن كثيرة وكان يسأل في الطرقات في مكة والمدينة ثم ينزل عليه الوحي في الحال فأين كان هذا الذي يعلمه ؟

وقد ذكر القرآن ان هذا الذي يسرده من القصص والأخبار لم يكن يعلمه هو ولا قومه فلماذا لم يقولوا نحن سمعناه من فلان أو فلان؟

والصحيح ان هذا القول انما هو من قبيل المكابرات كقولهم هو ساحر أو كاهن او [illegible]ن ونحو ذلك وهم يعلمون ان هذا غير صحيح.

ولقد كان احبار اليهود في المدينة يسألونه سؤالات مختلفة مما لم يكن يعلمها أحد [illegible]هم فكان يجيبهم عن سؤالاتهم جميعاً واسلم عن طريق هذه السؤالات كبير احبارهم عبد الله بن سلام وآخرون وقد أشار القرآن الى ذلك فقال: «اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني إسرائيل» (الشعراء ١٩٧) وقال: «قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» . وقال: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٢ - ٥٣)

ويذكر القرآن أن جماعة من القسيسين والرهبان سمعوا القرآن فبكوا وآمنوا قال تعالى : «ولتجدنّ اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين» . (المائدة ٨٢ - ٨٣)

ويذكر القرآن الكريم ان قسماً من أهل الكتاب من أبقاه العناد والمكابرة مصراً على كفره مع علمه بأن محمداً نبي يوحى اليه فقال: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» (البقرة ١٤٦)

ومن غريب المكابرات انهم سألوه من وليك من الملائكة؟ فأجابهم ان وليي جبريل ، فقالوا له لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك ولكن جبريل عدونا فأنزل الله تعالى «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمسلمين» (البقرة ٩٧)

قال الطبري: «اجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على ان هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم»[1] .

وسبب ذلك ان جماعة من اليهود جاؤوا يسألون رسول الله (ﷺ) عن امور لا يعلمهن الا نبي . فأخذ منهم عهد الله وميثاقه انه اذا أجابهم ليتابعنه على الاسلام فأجابوا الى ذلك . فقال لهم: سلوني عما شئتم .

وسألوه عما أرادوا فأجابهم عنها كلها ، وكانوا يصدّقونه فيما يقول ، وكان (ﷺ) يقول: اللهم اشهد .

ثم قالوا له : انت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نتابعك او نفارقك .

قال : فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط الا وهو وليه .

قالوا : فعندها نفارقك . لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك

قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : انه عدونا فأنزل الله عز وجل: «قل

(١) تفسير الطبري ١/ ٤٣١

كان عدواً لجبريل . . . »[1] .

فاتضح بذلك ان هذا القصص من أظهر الأدلة على صدق نبوته (ﷺ)

ومن الجدير بالذكر ان القرآن الكريم لم يكن يسرد القصة كما جاءت في اسفار أهل الكتاب تماماً وانما هو قد يزيد عليها أموراً يجهلها اهل الكتاب أو يصحح معلومات مخطئة عندهم . فمما لم يكن يعلمه أهل الكتاب ولا ذكر في كتبهم مثلاً مسألة ابن نوح وغرقه، واضرام النار لاحراق ابراهيم ، وايمان امرأة فرعون ، وانجاء فرعون ببدنه من الغرق فالتوراة لم تذكر ان فرعون نجي ببدنه من الغرق « ولكن رواية القرآن تكمل هذا العرض بتفصيل غير متوقع وهو أيضاً غير عادي اعني «النجاة البدنية» لفرعون الذي افلت باعجوبة من الغرق . لكن علماء الدراسات المصرية بخاصة يهاجمون الرواية الكتابية مدعين ان تاريخ ملوك مصر لم يسجل اختفاء فرعون المعاصر لموسى في البحر الأحمر ولنتأمل الآن ما ذكرته الرواية القرآنية . . . «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية»[2] .

وجسد فرعون هذا لا يزال في متحف الآثار القديمة بمصر ليكون لمن خلفه آية فأي اعجاز هذا ، يا أرباب العقول؟

ومما لم يكن يعلمه اهل الكتاب نتق الجبل فوق بني اسرائيل كأنه ظلة ، وكلام المسيح في المهد وانزال المائدة من السماء والاقتراع لكفالة مريم وتربيتها[3] وغير ذلك .

ومن تصحيحات القرآن لمعلومات أهل الكتاب ما ذكره «ان الذي صنع العجل الذهبي الوثني ودعا بني اسرائيل لعبادته هو السامري «الشمروني» وهو من سبط يساكر بن يعقوب ، والتوراة تقول في الفصل الثاني والثلاثين من سفر الخروج : ان هرون هو الذي صنع ذاك ودعاهم لعبادته . مع ان هرون نبي كلمه الرب مع

(١) تفسير الطبري ١/ ٤٣١ وما بعدها ، تفسير ابن كثير ١ / ١٢٩ وما بعدها .
(٢) الظاهرة القرآنية ٢٥٨
(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٥٤، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ٤٠ ـ ٤١، ٢٣٥ ، الرحلة المدرسية للشيخ البلاغي ٢٣ ، الوحي المحمدي ٩٣

موسى كما تقول التوراة في (اللاويين) الاصحاح الحادي عشر والاصحاح الرابع عشر. و(العدد) الاصحاح الثاني والرابع[1]». فكيف يأمرهم هرون بعبادة العجل وهو نبي؟.

والقرآن يقول ان هرون منعهم ونصحهم ولكنهم اصروا على فعلتهم. قال تعالى: «ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فُتنتم به وانّ ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى».

وهو اللائق بمقام النبوة.

ومن ذلك قولهم ان موسى وهرون والسبعين شخصا من شيوخ بني اسرائيل رأوا الله سبحانه وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق[2]. جاء في (سفر الخروج) - الاصحاح الرابع والعشرين:

«9 ثم صعد موسى وهرون وناداب وآبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل. 10 ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. 11 ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا».

بينما يذكر القرآن ان هذا ما كان ولا ينبغي ان يكون قال تعالى: «واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون».

ويذكر القرآن ان موسى سأل ربه ليريه نفسه فأخبره الرب ان هذا لا يكون قال تعالى: «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك. قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا اول المؤمنين» (الاعراف 143)

وفي القرآن اعلاء لمقام الانبياء وتنزيههم عن السقطات التي لا تليق بآحاد الناس والتي تلصقها تحريفات التوراة بهم والعهد القديم. من ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح التاسع عشر: «31 ان بنتي لوط اسكرتا أباهما واضطجعتا معه

---

(1) انظر الرحلة المدرسية 31

(2) انظر الرحلة المدرسية 65

فاولدهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب والصغيرة ولدت ابنا أيضاً اسمته بنْ عمّي».

ومن ذلك ما جاء في (سفر التكوين) الاصحاح السابع والعشرين وفيه ان نبي الله يعقوب خدع اباه اسحاق وكذب عليه وادعى انه ابنه (عيسو) واخذ بركته بكر.

ومن ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني) الاصحاح الحادي عشر أن نبي الله داود زنى بامرأة اوريّا وانه ارسل زوجها في وجه الحرب الشديدة ليموت وبعد موت زوجها ضمها داود الى بيته وصارت له امرأة.

وأن داود احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينيه (صموئيل الثاني) - الاصحاح الثاني عشر.

علماً بأن ذلك محرم في التوراة بل هو من كبائر المحرمات وان فاعله يستحق القتل. جاء في (سفر التثنية) الاصحاح الثاني والعشرين: «اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من اسرائيل.»

فنبي الله داود على زعمهم مخالف للتوراة مرتكب لكبيرة يستحق عليها القتل.

وفيه ان ابشالوم بن داود زنى بسراري ابيه امام جميع اسرائيل على السطح (صموئيل الثاني - الاصحاح السادس عشرف 20).

ولما مات ابشالوم كان داود يبكي ويقول: يا ابني ابشالوم يا ابني ابشالوم يا ليتني مت عوضا عنك يا ابشالوم ابني يا ابني. (صموئيل الثاني - الاصحاح الثامن عشر ف 33) وانظر ايضا الاصحاح التاسع عشرف 4 من هذا السفر.

علماً بأن ابشالوم يستحق القتل كما جاء في التوراة جاء في سفر (اللاويين) الاصحاح العشرين: «10 واذا زنى رجل مع امرأة فاذا زنى مع امرأة قريبه فانه يقتل الزاني والزانية. واذا اضطجع رجل مع امرأة ابيه فقد كشف عورة ابيه انهما يقتلان كلاهما.»

وداود كان ملكاً بيده السلطان فكان الذي عليه ان يقتل هذا الزاني المستهتر

ويقيم عليه الحد . فداود مخالف لكتاب الله مخالف لحكمه كما يصوره الكتاب المقدس علماً بأنه من اكبر الانبياء عندهم . فهل هذا مقام الانبياء ؟

ومن ذلك ان نبي الله سليمان آخر عمره صار يركض وراء النساء فأملن قلبه وكفر وارتد وعبد آلهة اخرى من دون الله ، جاء في سفر (الملوك الاول) - الاصحاح الحادي عشر: «١ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات . ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . ٣ وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . ٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر في عيني الرب . . . الخ

فاين هذا من القصص القرآني المشرق المضيء ؟!

ومن ذلك تنزيه القرآن الله عما لا يليق به تعالى مما تذكره التوراة من ذلك ما جاء في قصة آدم ان الله كذب على آدم والحية صدقته فالحية أصدق من الله - كما تقول التوراة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . جاء في (سفر التكوين) - الاصحاح الثاني :

١٥ وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . ١٦ وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً . ١٧ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت .

الاصحاح الثالث :

١ وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله . فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ٢ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل . ٣ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموتا . ٥ بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح

أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . . » ثم تذكر التوراة اكلهما من الشجرة الى ان تقول :

٢٢ وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الابد .

٢٣ فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها» .

وهكذا تظهر التوراة الرب كاذبا والحية صادقة ، فالله يقول لآدم وزوجه انكما اذا أكلتما من هذه الشجرة تموتان موتا والحقيقة انها شجرة معرفة الخير والشر كما أخبرت الحية . هذا من ناحية .

ومن ناحية ثانية لست أدري ما معنى كلام الله عن الانسان انه (قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر) فمن هم هؤلاء الجماعة ؟ اهم آلهة مع الله أم من يكون هؤلاء ؟!

وهل يليق هذا بجلال الله وتوحيده وتنزيهه ؟!

ومن ذلك ما ذكرته ان يعقوب صارع ربه الى طلوع الفجر فلم يتمكن ربه عليه ولما رأى الرب حاول ان يتفلت من يعقوب فلم يتمكن حتى باركه ربه .

جاء في (سفر التكوين) الاصحاح الثاني والثلاثين :

«٢٤ فبقي يعقوب وحده . وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ٢٥ ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه . ٢٦ وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا اطلقك ان لم تباركني . ٢٧ فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . ٢٨ فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . ٢٩ وسأل يعقوب وقال : اخبرني باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك» .

ومن ذلك ان الرب قال لموسى : انا جعلتك الهاً لفرعون وهرون نبياً لك جاء في (سفر الخروج) الاصحاح السابع عشر: «١ فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك الهاً

لفرعون . وهرون اخوك يكون نبيك» .

أهذا هو مقام الالوهية؟

والآن لنضرب مثلاً صغيراً لقصة وردت في التوراة وفي القرآن لنرى كيف يعالجها كل منهما وهي قصة ابراهيم وضيوفه :

جاء في (سفر التكوين) الاصحاح الثامن عشر:

« ١ وظهر له الرب [لابراهيم] عند بلّوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . ٢ فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الارض . ٣ وقال : يا سيد ان كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . ٤ ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة . ٥ فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت . ٦ فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا . اعجني واصنعي خبز ملة . ٧ ثم ركض ابراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ٨ ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا .

٩ وقالوا له أين سارة امرأتك ؟ فقال : ها هي في الخيمة . ١٠ فقال : اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه . ١١ وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء . ١٢ فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ؟ ١٣ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ ١٤ هل يستحيل على الرب شيء ؟ في الميعاد أرجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . ١٥ فأنكرت سارة قائلة : لم اضحك لأنها خافت . فقال : لا ، بل ضحكت .

١٦ ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم (موطن لوط) وكان ابراهيم ماشيا معهم . ١٧ فقال الرب هل اخفي عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ . . . »

ولننظر الى القصة نفسها في القرآن الكريم

جاء في سورة هود ٦٩ - ٧٤

«ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى ايديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط » .

فانظر الى الفرق بين ما جاء في التوراة وفي القرآن .

التوراة تقول :

١ - ان الله ظهر لابراهيم عند بلوطات . وحاشا لله ان يرى في الدنيا كما يتصورون .

٢ - نظر إبراهيم واذا ثلاثة رجال فسجد لهم ، ولسنا ندري من هؤلاء الرجال الذين سجد لهم رسول الله ابراهيم؟

٣ - مخاطبته لهم بقوله : ياسيد إن كنت . . . الخ وهذا خلط فلا تعلم انه يخاطب واحداً أم مفرداً ، أيخاطب إلهاً واحداً ام آلهة ، انظر الى قوله : «قد مررتم على عبدكم . . . »

٤ - ان هؤلاء أكلوا من الطعام الذي اعده لهم ابراهيم .

٥ - يظهر أن في القصة ارتباكاً وخلطاً فمرة يجعل ضيف ابراهيم واحداً ومرة واحداً ، ثم لا ندري ان هؤلاء الرجال آلهة ام ملائكة ، ولكن مخاطبته لهم كمخاطبة العبد لربه .

وقارن هذا بما جاء في القرآن الكريم وانظر اي الصورتين أليق بمقام الله وملائكته ؟

وهذا هو نمط القصص القرآني والقصص المذكور في الكتاب المقدس. فالقصص

القرآني يبدو مصححاً مكملاً لما جاء في الكتاب المقدس كما قال تعالى: «ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون.» (النمل ٧٦)

فهل بعد هذا نستطيع ان نقول إن محمداً أخذ القصص القرآني من علماء اهل الكتاب؟

أليس عجيباً ان هذا الرجل الامي يذكر قصة ذي القرنين مثلاً وشخصيته ورحلاته الحربية وبنائه السد الحديدي كما ورد في كتب التاريخ الغارقة في القدم والمعاصرة له والتي سجلها المؤرخون المعاصرون له من امثال هيرودتس وتي سياز وزينوفن والذين عاشوا قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة.

وقد اثبتت الدراسات الحديثة لما كتبه هؤلاء المؤرخون، والتنقيبات الاثرية في اصطخر وغيرها ما ذكره القرآن بالتفصيل[1] وبما يدعو الى العجب.

فهل بعد هذا يمكن احداً ان يقول ان احداً غير الله يعلمه؟

(١) انظر الرسالة القيمة التي كتبها أبو الكلام آزاد في هذا الموضوع وهي (شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن).

الإخبار بالغيوب

الاخبار بالغيب من أظهر الأدلة وأوضحها على نبوة الرسول وإن كان ليس هو الطريق الوحيد لإثبات نبوته.

وقد أخبر القرآن عن غيوب كثيرة فتحققت كلها فقام ذلك دليلاً صادقاً على صحة نبوته ﷺ ومن ذلك:

١ - الاخبار بغلبة الروم:

قال تعالى: «الٓمٓ غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون». (سورة الروم ١-٦).

«نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى الجأه الى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل. وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (الم غُلبت الروم في أدنى الأرض)... قال كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أما انهم سيغلبون»... وروي بطرق آخر صحيحة»[1].

وصح عن أبي بكر أنه راهن قريشاً على ذلك وربح الرهان وذُكر أن الرهان كان

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٢٢، وانظر تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦، فتح القدير ٤/ ٢٠٧ - ٢٠٩ تفسير القرطبي ج ١٤ ص ١ وما بعدها، تفسير الرازي ج ٢٥ ص ٩٥، أسباب النزول للواحدي ٣٦٠ - ٣٦١، تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٩ وما بعدها.

على مائة قلوص مع أبي بن خلف[1] .

من هذه الآيات نرى أن القرآن الكريم أخبر بأن الروم غُلبوا ثم أخبر أنهم سيغلبون في بضع[2] سنين ، وان المؤمنين سيفرحون بهذا النصر ، ثم قال : وهذا وعد قاطع لا يتخلف .

وقد تم كل ذلك . فبعد بضع سنين من نزول هذه الآيات انتصر الروم على الفرس كما اخبر القرآن وقطع به .

فدل ذلك دلالة قاطعة على نبوته ﴿ﷺ﴾ . قال الفخر الرازي : « وهذه ذكر في اولها ما هو معجزة وهو الاخبار عن الغيب »[3] .

قد يقول قائل : ان هذا الإخبار هو من قبيل الحدس والظن . ولكن سياق الآيات يرد هذا القول ، فهي تدل على القطع والتوكيد وان النصر سيتم في خلال مدة معينة لا يتعداها . ثم هب انهم لم ينتصروا أفلا تنتكس دعوة محمد ويكذّب ؟ وقد جاء في الأخبار أن قريشاً لما سمعت بهذه الآية ضجوا وكذبوه وطلبوا الرهان على هذا فراهنهم أبو بكر على مائة قلوص وقد علم الرسول ﴿ﷺ﴾ بهذا الرهن وأقره .

وقد يقول قائل : ومن اين نعلم ان هذا الحدث قد تم وحصل؟

فنقول : ان حكم هذا النص من الناحية التاريخية ثابت قطعا ، فإن القرآن أوثق خبر تاريخي عن المجتمع آنذاك فليس من الممكن ان يذكر شيئا لا وجود له ، وان مجرد ذكره يدل على انه قد حصل وتم والا أصبح مسخرة وعبثاً .

إضافة إلى أن هذا الخبر متواتر في كتب التاريخ القديمة عند أهل الملل الأخرى فقد سجلته كتب النصرانية وغيرها فهذا مما لا شك فيه[4] .

(١) تفسير الطبري ج ٢١ ص ١٦ ، فتح القدير ٤/ ٢٠٧-٢٠٩
(٢) البضع في لغة العرب من الثلاثة الى التسعة .
(٣) تفسير الرازي ٢٥ / ٩٥ ، وانظر تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٩ وما بعدها .
(٤) انظر وصف الحالة بين الفرس والروم الى انتصار الروم في (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) تأليف البطريرك افتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق المطبوع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ ج ٢ ص ١-٤

وأذكر أنه كان لي زميل مادي فقلت له ذات يوم : ألا تفسر لي هذه الظاهرة ؟ وذكرتها له . فاعترض عليّ قائلا : ومن اين لنا ان هذا حصل ؟

فقلت له : يهمنا الآن من القرآن الدلالة التاريخية ، افلا يُعَدّ القرآن كتاب تاريخ عن ذلك العهد ؟ فقال : بلى .

قلت : إذن فإن هذا قد حصل . ثم قلت له : ألا يدل ذلك على نبوة محمد ؟ فأجاب وهو في حالة ذهول : صحيح ، ثم غرق في تفكير عميق .

فاتضح بهذا أن محمداً نبي يوحى إليه وأن الذي أخبره علام الغيوب ، وما أصدق قول حسان :

نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب	فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

٢ ـ وعده باستخلاف المؤمنين في الأرض :

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا (منكم) وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » (النور ٥٥) .

قال الطبري : « يقول تعالى ذكره (وعد الله الذين آمنوا . . . ليستخلفنهم في الأرض) يقول : ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير : « هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل امته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد . وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم . وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة »[2] .

(١) تفسير الطبري ٨ / ١٥٨
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٠

وقال الفخر الرازي : « دلت الآية على صحة نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ لأنه أخبر عن الغيب في قوله (ليستخلفنهم. . . أمناً) وقد وجد هذا المخبر موافقاً للخبر . ومثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل الصدق فدل على صدق محمد ﴿ﷺ﴾ »[1] .

فنحن نرى أن القرآن يعد المؤمنين الذين كانوا في زمن الرسول ﴿ﷺ﴾ بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين لهم بقوله (وعد الله الذين آمنوا «منكم» . . .) ثم يأتي بهذا الوعد مؤكداً بالنون وبلام القسم (ليستخلفنهم ، وليمكننّ) وقد تم ذلك على يد أصحاب الرسول بعده كما وعد الله سبحانه فدل ذلك دلالة قاطعة على صدق نبوته ﴿ﷺ﴾ .

٣ ـ وعده بإظهار دين الإسلام على سائر الأديان :

قال تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة ٣٣) .

وقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٨) .

وقال : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (الصف ٨ ، ٩) .

فنرى أن الله سبحانه يؤكد هذا الأمر في ثلاثة مواطن من القرآن الكريم قال الحافظ ابن كثير : « أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ انه قال : « ان الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها »[2] .

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٢٤ وانظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، أسباب النزول للواحدي ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، فتح القدير ٤/ ٤٥ ـ ٤٦ ، تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ٢/ ٤٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٩ وانظر تفسير الطبري ١٠/ ١١٦ ، تفسير القرطبي ٨/ ١٢١ ، التفسير الكبير للرازي ١٦/ ٤٠ ؛ فتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٣٨

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال حين دعا إلى الله وفي حال وحدته وضعفه : « ان الله أرسلني ووعدني ان يظهر ديني على الأديان كلها ليكونن سلطاني أقهر من سلطان كسرى وقيصر فاغلب الملوك ، ويعلو ملكي وملك أنصاري وأتباعي كل ملك في الأرض ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله كتاباً يقرأ قرآناً مخلداً يعرفه العدو والولي فقال : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . . . وقال أيضاً : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . . . الكافرون » فكان كما قال وكما أخبر »[1] .

فدل ذلك على صدق نبوته ﴿ﷺ﴾ .

ومن الوعد بإظهار دين الإسلام قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » (فصلت ٥٢) .

وهذا وعد بأن الله سينصر محمداً وسيريهم هذا النصر فيهم انفسهم وفي الآفاق وهي الأقطار والبلاد حتى يعلموا أن ما وعده الله حق .

قال الفخر الرازي : « فهذا إخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقاً لخبره [الفتوح] فيكون هذا اخباراً صدقاً عن الغيب والإخبار عن الغيب معجزة »[2] .

وجاء في الكشاف : « يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله ﴿ﷺ﴾ وللخلفاء من بعده وصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب خصوصاً من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم. . . ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولتها في أقاصيها . والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة ومشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعها إلا علماً من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣١٤

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ١٣٩

الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه »[1] .

وقال الحافظ ابن كثير : « أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجة في الآفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان . قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم ، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه .

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى »[2] .

أما الاحتمال الثاني الذي ذكره ابن كثير فغير مراد والله أعلم لأن الكلام على القرآن وآياته فإن هذه الآية تأتي بعد قوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد) ، فالسياق يأباه .

ثم إن قوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق) يعني حتى يتبين لهم ان القرآن أو دين الله حق وهذا لا يثبت من علم التشريح ، إذ ما علاقة التشريح بكون أن القرآن حق ؟!

إن علم التشريح يدل على حكمة الله تعالى ولا علاقة له بدين الإسلام فيظهر لهم أنه الحق .

ثم إن قوله (لهم) يعني أنهم هم المقصودون بذاك أي سيريهم الوعود التي وعدها الله نبيه من النصر حتى يظهر لهم أن ما قاله محمد وما وعده به ربه حق وأن الله شهيد على ذلك « أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » .

ومنه قوله تعالى في القرآن (إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين »

(1) الكشاف ٣ / ٧٥ وانظر تفسير الطبري ج ٢٥ ص ٤ ، القرطبي ١٥/ ٣٧٤ ، فتح القدير ٤/ ٥٠٨ - ٥٠٩

(2) تفسير ابن كثير ٤/ ١٠٥

(سورة ص ٨٧ ، ٨٨) والذكر الشرف فذكر أن القرآن شرف للعالمين وانكم سترون ذلك بعد حين من الدهر وهو إلماح الى النصر الواسع العام .

ونحوه قوله تعالى «لقد أنزلنا كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون» (الانبياء ١٠) « قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم»[1]

وجاء في (الكشاف) : «ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال : «وإنه لذكر لك ولقومك»[2] وقال القرطبي : «فيه ذكركم» والمراد بالذكر هنا الشرف أي فيه شرفكم مثل (وإنه لذكر لك ولقومك» [3]) . .

وقال تعالى «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون» (الزخرف ٤٤) أي شرف ورفعة لك ولقومك تُذكرون بذلك ، فكان كما قال إذ كان قومه مغمورين مجهولين فرفعهم القرآن وشرّفهم وصيرّهم قادة الدنيا وسادتها ، قال الهمذاني في (تثبيت دلائل النبوة) : «أي شرف ونبل وجلالة . . . ولهذا قال عز وجل لقريش في ابتداء المبعث : «قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون» يريد القرآن وإنه عز ونبل وشرف وستشرف به أمم من تمسك به ودعا إليه . . .

وفي مثل هذا المعنى قوله عز وجل : «ألم نشرح لك صدرك . . . ورفعنا لك ذكرك» فان ذكره ارتفع بالصدق والوفاء وقيام الحجة»[4] .

ونحوه قوله تعالى : «بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» (المؤمنون ٧١) قال الزمخشري : «بذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم»[5] .

وهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن إنما هو رفعة لمحمد ولمن آمن به فكان كما قال وهي من الأدلة الواضحة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

(1) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٤

(2) الكشاف ٢/ ٣٢٢ وانظر الطبري ج ١٧ ص ٧ ، فتح القدير ٣/ ٣٨٧

(3) تفسير القرطبي ١١/ ٢٧٣

(4) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٨٤

(5) الكشاف ٢/ ٣٦٦ وانظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٤٥

٤ ـ وعده بنصر الرسول في الدنيا والآخرة :

قال تعالى: «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ؟» (الحج ١٥)

والمعنى ان الله ناصر رسوله لا محالة في الدنيا وفي الآخرة ومن كان يظن غير ذلك فليختنق نفسه بحبل اوليفعل ما يشاء فإن نصره كائن لا يتخلف. قال ابن كثير: «قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أي بحبل إلى السماء أي سماء بيته ثم ليقطع يقول ثم ليختنق به. وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أي ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إنما يأتي محمداً من السماء ثم ليقطع ذلك عنه إن قدر على ذلك. وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فان الله ناصره لا محالة»[1].

وجاء في (الكشاف) : «والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ جهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاختنق»[2].

وهو دليل قاطع على نبوته كما ترى.

ومن الوعود بنصر رسوله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة قوله تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد» (غافر ٥١).

فهو وعد بنصر الرسول والمؤمنين معه في الدنيا وفي الآخرة لأن محمداً من الرسل وأتباعه من الذين آمنوا فمحمد وأتباعه داخلون في جملة الوعد وقد تم ذلك كما أخبر،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٠

(٢) الكشاف ٢/ ٣٤٣ وانظر تفسير الطبري ١٧/ ١٢٥، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١، تفسير الرازي ج ٢٣ ص ١٦ ، فتح القدير ٣/ ٤٢٧، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩

ثم قال في الآية (٥٥) بعد هذه الآية : «فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار» أي سيصيبكم النصر قطعا وإن هذا الوعد حق لا يتخلف فاصبر تر ذلك.

وقد تحقق هذا الوعد كما قال الله. قال الشوكاني : «أي نجعلهم الغالبين لأنهم القاهرين لهم. . . وننصر الذين آمنوا معهم في الحياة الدنيا بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر والقهر ويوم يقوم الاشهاد وهو يوم القيامة»[1].

وقال ابن كثير : «وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعوانا ثم منحه رقاب المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد. . . ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم. . . وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكمالها ودخل الناس في دين الله أفواجا»[2].

ومن الوعود بنصر رسوله والمؤمنين وخذلان أهل الكفر قوله تعالى : «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون. فتول عنهم حتى حين. وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون. فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين. وتول عنهم حتى حين. وأبصر فسوف يبصرون». « الصافات ١٧١ ـ ١٧٩).

وهذا وعد ثابت بنصر الرسول ﷺ والمؤمنين لأنه ﷺ من الرسل وأتباعه من الذين فهم داخلون في الوعد. ومما يدل على أن الرسول ﷺ وأتباعه مقصودون في الوعد قوله تعالى مخاطبا رسوله : «فتول عنهم حتى حين. وأبصرهم فسوف يبصرون. . . إلى آخر الآيات» فأكد أن النصر والغلبة حاصلتان للرسول وجنده بعد حين من الزمن وإن العذاب نازل بأهل الكفر وإنهم سوف يبصرون هذا العذاب

---

(١) فتح القدير ٤/ ٤٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٨٤ وانظر الطبري ٢٤/ ٧٤

فكان كما أخبر. جاء في (الكشاف): «والمراد الموعد النازل بهم وغلبة الرسول عليهم بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة»(1).

وقال إبن كثير: «يقول تبارك وتعالى: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين» أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة)...

وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وق... مؤجل فإنا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر. ولهذا قال بعضهم غيّا ذلك الى يوم بدر... وقوله جلت عظمته (وأبصرهم فسوف يبصرون) أي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهد... والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون)»(2).

٥ ـ وعده بهزيمة أهل الكفر:

قال تعالى: «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد» (آل عمران ١٢).

وعد الله محمداً هزيمة أهل الكفر وخذلانهم في الدنيا وفي الآخرة وقال له أخبره... بذلك. وقد تم ما اخبر الله به رسوله وتحقق وعده فدل ذلك على صدق نبوته. قال الإمام الطبري: «إن أبا كريب حدثنا قال: ثنا يوسف بن بكير عن محمد بن إسحا... قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً. فقالوا...

(1) الكشاف ٢/ ٦١٥

(2) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤ وانظر الطبري ٢٣/ ١١٤ ـ ١١٦، القرطبي ١٥/ ١٣٩، تفسير الفخر الرازي ٢٦/ ١٧٢، فتح القدير ٤/ ٤٠٣

يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال. إنك والله لو قاتلتنا لعرفت إنا نحن الناس وأنك لم تأت مثلنا. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم (قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) إلى قوله (لأولي الأبصار)»(1).

وقال ابن كثير: «(ستغلبون) أي في الدنيا (وتحشرون) أي يوم القيامة...»(2)

وقال الشوكاني: «وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على سائر اليهود ولله الحمد»(3).

وقال الفخر الرازي: «قوله (ستغلبون) إخبار عن أمر يحصل في المستقبل وقد وقع مخبره على موافقته فكان هذا إخباراً عن الغيب وهو معجز. ونظيره قوله تعالى (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)»(4).

ونحو هذا قوله تعالى في اليهود «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون»..

جاء في تثبيت دلائل النبوة: «وباب آخر من آياته وعجيب إعلامه وهو إخباره عن اليهود فقال: «منهم المؤمنون... إلى قوله: ثم لا ينصرون... فكان كما قال، انظر كيف أخبرهم بها قبل وقوعها وأنذرهم بما يكون قبل أن يكون وجعلهم على ذلك»(5).

ومن ذلك قوله تعالى: «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون» (الحشر ١١، ١٢).

أخبر الله محمداً بأن مواعيد المنافقين لليهود بنصرهم كاذبة كلها. وقد تبين صدق

(1) تفسير الطبري ٣/ ١٩٢، وانظر القرطبي ٤/ ٢٤

(2) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٠

(3) فتح القدير ١/ ٢٩١

(4) تفسير الرازي ٧/ ٢٠١ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٣٥

(5) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥

إخبار الله بذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع بني النضير الذين اخرجوا من المدينة، ولم يقاتلوا مع بني قريظة ولا خيبر .

قال ابن كثير : «يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى : «ألم تر إلى الذين نافقوا . . .» قال الله تعالى(والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به . . . (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أي لا يقاتلون معهم ولئن نصروهم أي قاتلوا معهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون . وهذه بشارة مستقلة بنفسها»[1] .

وجاء في (فتح القدير) : «وقد كان الأمر كذلك فان المنافقين لم يخرجوا مع من اخرج من اليهود وهم بنو النضير ومن معهم، ولم ينصروا من قوتل من اليهود وهم بنو قريظة وأهل خيبر»[2] .

وجاء في (الكشاف) : «وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيوب . . .»[3] .

وجاء في (تفسير القرطبي) : «وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد ﷺ من جهة علم الغيب لأنهم اخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم كما قال تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون)» .[4] .

ونحو هذا قوله تعالى : «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون» (الأنفال ٣٦) .

فقد أخبر الرب أن هؤلاء ينفقون أموالهم للصد عن دين الله فسينفقونها ثم يغلبون ولا يجنون شيئا سوى الندامة .

قال الحافظ إبن كثير : «قال محمد بن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٠
(٢) فتح القدير ٥/ ١٩٨ - ١٩٩ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٩٠
(٣) الكشاف ٣/ ٢١٧
(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٤

قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلّهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة . فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ففعلوا . قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (ان الذين كفروا . . . الخاسرون) . وكذا روي عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عيينة وقتادة والسدي وابن ابزى أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في احد لقتال رسول الله ﷺ . وقال الضحاك نزلت في اهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة»[1] .

وجاء في (فتح القدير) للشوكاني : «والمعنى ان غرض هؤلاء الكفار في انفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ وجمع الجيوش لذلك وإنفاق أموالهم عليها وذلك كما وقع من كفار قريش يوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب فان الرؤساء كانوا ينفقون أموالهم على الجيش . ثم أخبر الله سبحانه عن هذا الغيب على وجه الاعجاز فقال (فسينفقونها) أي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة ذلك أن يكون إنفاقهم حسرة عليهم. . . ثم آخر الأمر يغلبون» .[2]

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فخبر بانفاقهم قبل أن ينفقوا وبقتالهم قبل أن يقاتلوا وبهزيمتهم قبل أن يهزموا ثم كان ذلك كما قال وكما أخبر وكما وصل»[3] .

وعلى كل حال فهو إخبار عام بهزيمة وخسران كل من يتصدى لمحاربة الرسول والصد عن دين الله سواء كانوا هؤلاء المذكورين أم غيرهم وكان كما أخبر .

ونحو هذا قوله تعالى : «أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر» . (القمر ٤٤ - ٤٥) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «وأنزل في مكة (ام يقولون نحن . . .) فكان كما

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠٧ وانظر الكشاف ٢/ ١٤-١٥، أسباب النزول للواحدي ٢٣٤
(٢) فتح القدير ٢/ ٢٩٢ وانظر الطبري ٩/ ٢٤٤ - ٢٤٦
(٣) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٣٢

اخبر هزم الجمع وولوا الدبر»[1].

قال القرطبي: «سيهزم الجمع أي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره»[2].

وأخرج البخاري في صحيحه والنسائي في غير موضع وابن حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﴿ﷺ﴾ يوم بدر وهو في قبة: اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم. فاخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر.

فانظر إلى قوله ﴿ﷺ﴾ انشدك عهدك ووعدك، فقد وعده ربه ان يهزم جمعهم فكان كما اخبر.

ونحو هذا من الوعود قوله تعالى «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب» (سورة ص ١١).

قال ابن كثير: «أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين كقوله جلت عظمته (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر»[3].

وجاء في (تفسير القرطبي): «وهذا تأنيس للنبي ﴿ﷺ﴾ وقد فُعل بهم هذا في يوم بدر. قال قتادة: وعد الله أنه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تأويلها يوم بدر»[4].

وجاء في (فتح القدير): «هذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﴿ﷺ﴾ بالنصر عليهم

(١) الجواب الصحيح ٤/ ١٣٠
(٢) تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٥ وانظر الطبري ٢٧/ ١٠٨، ابن كثير ٤/ ٢٦٦، فتح القدير ٥/ ١٢٥، تثبيت دلائل النبوة ١/ ٨٤، ٢/ ٣١٣، اعلام النبوة للماوردي ٤٤ - ٤٥
(٣) ابن كثير ٤/ ٢٨
(٤) تفسير القرطبي ١٥/ ١٥٣

والظفر بهم.. وقد وقع ذلك ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله»[1].

وجاء في (الكشاف): «يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون»[2].

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة): «فتأمل الأمر في ذلك تجده عظيما لأنه توعدهم بالحرب قبل الحرب وقبل الجماعة وفي حالة الضعف وهو معهم وفي اسرهم وفي قبضتهم وتمكنهم على قتله واستئصاله»[3].

ومن الوعود أيضا قوله تعالى «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة؟ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين». (التوبة ١٣، ١٤).

وهو وعد بأن الله سيخزيهم وينصر المؤمنين عليهم فكان كما وعد الله ربنا [illegible].

وما ذكرناه من الوعود إنما هي غيوب متعددة وكل واحد منها دليل صادق على صحة نبوة الرسول. فأنت ترى أن بعض هذه الآيات موجه الى اليهود وتهديدهم بالغلبة والقهر فكان كما قال.

وبعض هذه الآيات موجه إلى الذين جمعوا الأموال للاستعانة على حرب الرسول واخبارهم بأنهم سينفقون أموالهم ولا يدركون شيئاً ثم يغلبون فكان كما قال.

وبعضها موجه الى جيش الكفر جميعه بأنه سيهزم هذا الجمع ويولون الدبر فكان كما قال.

فأنت ترى أن هذه غيوب متعددة وكل منها ينهض دليلاً برأسه على صدق نبوته ﴿ﷺ﴾.

قد يقول قائل إن هذا من باب رفع المعنويات وبث الحماس في نفوس أصحابه

(١) فتح القدير ٤/ ٤١٠ وانظر الطبري ٢٣/ ١٣٠، التفسير الكبير ٢٦/ ١٨١
(٢) الكشاف ج ٣ ص ٥
(٣) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٨٣

كما يفعل السياسيون والقادة في بعث الحماس في نفوس جماعاتهم. والحقيقة أن هناك فرقا كبيرا بين الأمرين فانه إذا اختلف وعد واحد من مواعيد الرسول الكثيرة ولم يتحقق أدى ذلك إلى الشك في نبوته ودعا ذلك الى تكذيبه بخلاف السياسي فانه يقصد الى رفع معنويات جماعته فان تحقق فذاك وإلا فلا ضرر فيه.

ثم ما حجة النبي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟ هل هي نفس حجة السياسي الذي يعد فلا يتحقق وعده؟

إن السياسي يقول بكل سهولة: كان هذا تقديري للأمر وقد أخطأت والانسان يخطيء وأنا لا أعلم الغيب.

فهل يستطيع النبي ان يقول ذاك؟ وكيف يستطيع أن يقول ذاك وهو يدعي أن الله خالق الخلق وعالم الغيب هو الذي أرسله للناس؟ ومن سيتابع هذا النبي الذي يعد ولا يتحقق وعده؟ من سيتابع هذا النبي الذي يحمل معه الدليل على كذبه؟

إن محمداً ﴿ﷺ﴾ وعد جماعته وعوداً كثيرة ومنها ـ مثلاً ـ وعده بالنصر على قريش في معركة بدر كما أخبر القرآن بذاك بقوله «وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» ـ كما سيمر بنا ـ فإنه إن لم يتحقق هذا الوعد ارتد عنه جماعته وكذبوه وافتضح أمره.

وهكذا شأن بقية الوعود.

وأنت قد رأيت أن الرسول وعد وعوداً كثيرة وتحققت كلها ولم يتخلف واحد منها فقام ذلك دليلاً واضحاً على نبوته.

٦ ـ الوعد بارجاع الرسول إلى مكة:

قال تعالى: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد» (القصص ٨٥).
نزلت هذه الآية بالجحفة والرسول مهاجر يعده الله فيها بارجاعه إلى مكة.

«قال البخاري في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك الى معاد) قال: إلى مكة.

وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك إلى معاد) أي لرادك إلى مكة كما أخرجك منها.

وقال محمد بن اسحاق عن مجاهد في قوله (لرادك إلى معاد) إلى مولدك بمكة. حدثنا أبي حدثنا ابن ابي عمر قال: قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي ﴿ﷺ﴾ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي إلى مكة»[1].

وجاء في (فتح القدير): «قال جمهور المفسرين أي الى مكة»[2].

قال الفخر الرازي: «قال أهل التحقيق: وهذا أحد ما يدل على نبوته لأنه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر فيكون معجزاً»[3].

٧ ـ الوعد بدخول المسجد الحرام:

قال تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً». (الفتح ٢٧، ٢٨).

هاتان الآيتان من سورة الفتح، وسورة الفتح نزلت كلها عند الانصراف من الحديبية.

قال ابن كثير: «كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على ان يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال: أفلم تكن

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣، وانظر تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٥، الكشاف ٢/ ٤٨٧، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٧١، اعلام النبوة للماوردي ٤٤ ـ ٤٥
(٢) فتح القدير ٤/ ١٨٢، القرطبي ١٣/ ٣٢١
(٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢١

تخبرنا انا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أفأخبرتك إنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا. قال النبي ﴿ﷺ﴾: «فانك آتيه ومطوف به.» كما جاء في صحيح البخاري. «إن شاء الله: هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء» (1).

وفي هذا إخباران: إخبار تصديق الرؤيا، وأن عمر ممن يطوف بالبيت فلا يموت ولا يعرض له عارض يمنعه من الطواف.

وجاء في (تفسير الكشاف): «صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علواً كبيراً...

(إن شاء الله) في اخبار الله عز وجل، قلت فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته... أو هي حكاية ما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأصحابه وقص عليهم.

(فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة.

(فتحاً قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود.

(ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله، يريد الأديان المختلفة... وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة» (2).

«وقال أبو عبيدة: إن بمعنى إذ يعني إذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك».

«وكفى بالله شهيدا: أي كفى الله شهيدا على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوة نبيه ﴿ﷺ﴾» (3).

(1) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠١

(2) الكشاف ٣/ ١٤١ وانظر تفسير الطبري ٢٦/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٠، التفسير الكبير ٢٨/ ١٠٥

(3) فتح القدير ٥/ ٥٣ - ٥٤

وهاتان الآيتان فيهما أعلام صادقة واضحة على نبوته ﴿ﷺ﴾ هي:

١ ـ الوعد بدخول المسجد الحرام وقد أكد الله هذا الأمر بلام القسم ونون التوكيد فقال: «لقد صدق الله . لتدخلن المسجد الحرام» وهذا تأكيد بالغ.

وأما قوله (إن شاء الله) فليس تعليقا، ولو كان تعليقا لم يكن تصديقا للرؤيا. فالله إن لم ينجز الله وعده ويدخلوا المسجد الحرام فهل يعد هذا تصديقا للرؤيا؟

فقوله: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق دل على أن قوله (إن شاء الله) ليس استثناء والا لم يكن تصديقاً وهذا واضح.

وقد تحقق هذا الوعد في العام القابل فكان اخباراً صادقاً ودل على صحة نبوته.

٢ ـ إن الله وعدهم فتحاً قريبا قبل تحقق الرؤيا فقال: (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فجعل من دون دخول المسجد الحرام فتحاً قريباً.

وقد تحقق هذا الوعد فقد فتحت خيبر بعد انصرافهم من الحديبية.

٣ ـ ثم إن الله وعدهم باظهار دين الإسلام على سائر الاديان بقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقد تم ذلك فاتضح ان هذا من اعلام نبوته ﴿ﷺ﴾.

٨ ـ الوعد بالفتوحات والمغانم:

وهي وعود كثيرة وردت في القرآن الكريم وكل منها علَم برأسه ودلالة صادقة على نبوته ﴿ﷺ﴾.

فقد كان ﴿ﷺ﴾ يعد المسلمين بالنصر والتمكين في الأرض وكان المنافقون يقولون: هذا من الغرور وحكى الله عنهم هذا القول فقال في سورة الأحزاب ١٢: «وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا».

وهذه الآية مما نزل في وقعة الأحزاب حيث انتشر الرعب في المدينة ونجم النفاق وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعدهم كنوز كسرى وقيصر حتى قال معتب بن قشير أخو بني

عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط[1] .

والآية هذه تدل دلالة واضحة على ان الرسول كان يعدهم بالنصر والظفر وإلا فلا معنى لهذا القول، وقد حقق الله الوعد فكان علما على نبوته .

ومن ذلك قوله تعالى :«وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين» (الانفال ٧) .

وهذه الآية نزلت في وقعة بدر وكان رسول الله يقول : إن الله وعدني إحدى الطائفتين إما العير (أي القافلة) واما النفير (أي النصر في الحرب) وكان أصحابه يودون أن تكون لهم القافلة . قال ابن كثير : « والغرض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خروج النفير أوحى الله إليه يعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) . . .

ثم قال الرسول ﷺ :«سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[2] » .

وفي هذه الآية علمان من أعلام النبوة :

١ ـ إن الرسول كان وعدهم إحدى الطائفتين قبل المعركة . وكانوا يودون أن تكون لهم القافلة (غير ذات الشوكة) كما ثبت ذلك من الآية .

٢ ـ في هذه الآية إخبار بأن الله يريد أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين وقد تم هذان الأمران فأعطاه إحدى الطائفتين بأن نصره على القوم وأحق الله الحق بأن أعلى الإسلام وقطع دابر الكافرين كما وعد الله .

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٢ وانظر القرطبي ١٤/ ١٧٤، الطبري ٢١/ ١٣٣، الكشاف ٢/ ٥٣٣، فتح القدير ٤/ ٢٥٨، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٥١

(٢) ابن كثير ٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩ وانظر الكشاف ٢/ ٤ـ٥ ، الطبري ٩/ ١٨٤ـ١٨٨، القرطبي ٧/ ٣٦٩، فتح القدير ٢/ ٢٧٤

فالنهض ذلك دليلا على نبوة محمد ﷺ .

ومن هذه الوعود قوله تعالى : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل : لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل . فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً . قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً . » (الفتح ١٥ ، ١٦) .

هاتان الآيتان من سورة الفتح وسورة الفتح نزلت كلها عند الإنصراف من الحديبية[1] .

ونذكر في هاتين الآيتين علمين من أعلام النبوة :

١ ـ إن الله وعدهم بأخذ مغانم في المستقبل وهي مغانم خيبر . ولا يهمنا أن تكون المغانم خيبر أو غيرها فالمهم أن الله وعدهم بأخذ مغانم وقد تم ذلك . وهذه الآية نزلت قبل أخذ المغانم والنص يدل على ذلك بصورة قاطعة . انظر إلى قوله تعالى « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها » فسين الاستقبال وإذا الشرطية تعلنان بذلك إضافة إلى ما ورد من الآثار الصحيحة . قال الحافظ ابن كثير : « فإن الله قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المخلفين فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدراً »[2] .

٢ ـ إخبار من الله للمخلفين من الأعراب بأنهم سيدعون الى القتال في المستقبل اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعى إليهم المخلفون على أقوال :

أحدها : إنهم هوازن ، الثاني : ثقيف ، الثالث : بنو حنيفة ، الرابع : هم أهل فارس والروم وغير ذلك .[3]

ولا يهمنا تسمية هؤلاء الأقوام أو أن يكونوا هؤلاء أو غيرهم ، فهو على أي حال

(١) تفسير الطبري ٢٦/ ٦٨، تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٢، أسباب النزول ٤٠٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٩ وانظر الطبري ٢٦/ ٧٩، القرطبي ١٦/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، الكشاف ٣/ ١٣٨، الرازي ٢٨/ ٩٠، فتح القدير ٥/ ٤٧

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٠، تفسير الطبري ٢٦/ ٨٢، الكشاف ٣/ ١٣٨، فتح القدير ٥/ ٤٩

وعد بأنهم سيدعون إلى القتال وقد دُعوا فعلاً إلى هؤلاء جميعاً فتحقق الوعد فكان هذا علماً من أعلام نبوته .

ومن ذلك قوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً . » (الفتح ١٨ - ٢١)

وفي هذه الآيات إخبار عن غيوب كثيرة :

١ - تزكية المؤمنين المبايعين تحت الشجرة والاطلاع على قلوبهم وإعلان الرضا عنهم وهم عدد كثير . ولا شك أن الأمر كما قال إذ لو كان في إيمان أحدهم دخل لشك وارتاب وأعلن ارتداده وكفره وتكذيبه لمحمد .

ولو كان القرآن من صنع محمد لم يقدم على هذا الاعلان الخطير إذ ما يدريه لعل منهم من هو مبطن للكفر أو من سيرتدّ علماً بأن محمداً كان يقول : « وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» . وكان يقول : « القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء » . وكان كثيراً ما يدعو « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

فدل ذلك على صحة هذا الإخبار وهو غيب لا يعلمه إلا الله فإنه لا يعلم دخائل القلوب غير الله .

٢ - ذكر أنه أثابهم فتحاً قريباً أي أعطاهم فتحاً قريباً . وهذه الآيات كما ذكرنا نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية . واختلف المفسرون في هذا الفتح القريب أهو فتح مكة أم خيبر أم غيرها[1] . جاء في (فتح القدير) : « هو فتح خيبر

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٩١، الكشاف ٣/ ١٣٩

عند انصرافهم من الحديبية[1] » .

ولا يهمنا تسمية هذا الفتح فقد حصل الفتح القريب وهو خيبر وتوالت بعده الفتوح فكان كما أخبر .

والأظهر أنه فتح خيبر لأنه سماه فتحاً قريباً وقد حصل عند انصرافهم من الحديبية .

وفي هذا غيب آخر وهو أن هذا الفتح القريب هو للمبايعين تحت الشجرة لا يشاركهم فيه غيرهم لأنه قال (وأثابهم فتحاً قريباً) والكلام على المبايعين تحت الشجرة . وقد تم ذاك فعلاً فلم يشاركهم فيه أحد .

٣ - إن الله وعدهم مغانم كثيرة يأخذونها فعجّل لهم هذا المغنم القريب وهو مغنم خيبر . وهذا وعد قاطع بفتح خيبر وأخذ مغانمها ، ووعد بمغانم كثيرة ستأتي في المستقبل . وقد تم هذا فقد توالت المغانم والفتوحات كما أخبر الله .

جاء في تفسير ابن كثير في قوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) : « هي جميع المغانم إلى اليوم[2] » .

٤ - أخبر الله بهذه الوعود (لتكون آية للمؤمنين) أي لتكون علامة دالة على صدق الرسول والدلالة على نبوته . وقد تمت هذه الوعود فحصلت الدلالة على هذا الصدق وكانت آية للمؤمنين على صدق الرسول وعلى صدق ما أخبر الله به .

ومن ذلك قوله تعالى : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً » . (الأحزاب ٢٦ ، ٢٧) فإن الله وعد المؤمنين بعد أن أورثهم أرض بني قريظة بأن يورثهم أرضاً لم يطؤوها وهي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة[3] وقد تم ذاك بحمد الله .

(١) فتح القدير ٥/ ٤٩ وانظر الرازي ٢٨/ ٩٦، الطبري ٢٦/ ٨٨-٩٠، القرطبي ١٦/ ٢٧٤ - ٢٧٨
(٢) ابن كثير ٤/ ١٩١ وانظر الكشاف ٣/ ١٣٩، الطبري ٢٦/ ٨٨، تفسير الرازي ٢٨/ ٩٦، القرطبي ١٦/ ٢٧٤-٢٧٨، فتح القدير ٥/ ٤٩ .
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٥ - ٥٣٦، القرطبي ١٤/ ١٦١، فتح القدير ٤/ ٢٦٥-٢٦٦

ونحو ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » (التوبة ٢٨) .

فقد وعد الله قريشاً بالغنى عن المشركين وقد حصل ذاك . قال ابن كثير «قال محمد بن اسحاق وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الأسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فأنزل الله (وإن خفتم عيلة)»[1] .

وجاء في تفسير القرطبي : « وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا من أين نعيش ؟ فوعد الله أن يغنيهم من فضله . . . وأغنى الله من فضله »[2] .

وقال الفخر الرازي : « قوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) إخبار عن غيب في المستقبل على سبيل الجزم في حادثة عظيمة وقد وقع الأمر مطابقاً لذلك الخبر فكان معجزة »[3] .

ومن ذلك إخباره بالفتح قبل حصوله قال تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) (الفتح ١) .

واختلف المفسرون في هذا الفتح فقيل فتح مكة وقيل خيبر وقيل فتح الروم[4] والظاهر أن هذا لا يختص بفتح مكة وإنما هو إخبار بالفتح عموماً فكان كما أخبر وهو غيب .

ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين » . (المائدة ٥١ ، ٥٢)

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٦
(٢) تفسير القرطبي ٨/ ١٠٦
(٣) تفسير الرازي ١٦/ ٢٧
(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٢، تفسير الطبري ٢٦/ ٧٠، الرازي ٢٨/ ٧٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١، الكشاف ٣/ ١٣٥، فتح القدير ٥/ ٤٢

لقد ذكر الله أن المنافقين يتولون اليهود والنصارى ويسارعون فيهم قائلين نخشى أن تصيبنا دائرة ولكن الله ألمح إلى الفتح فقال : « فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين » . وهو إلماح الى الوعد بالاتيان بالفتح و(عسى) في كلام الله واجب لا يتخلف .

وجاء في (الكشاف) : «فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكّون من أمر رسول الله ﷺ ويقولون : «ما نظن أن يتم له أمر»[1] .

وجاء في (فتح القدير) : «وعسى في كلام الله وعد صادق لا يتخلف. والفتح ظهور النبي ﷺ على الكافرين . ومنه ما وقع من قتل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وإجلاء بني النضير وقيل هو فتح بلاد المشركين على أيدي المسلمين . وقيل فتح مكة»[2] .

ومثل هذا الإلماح قوله تعالى : «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم» (الممتحنة ٧) .

وهو إلماح الى فتح مكة وتأليف القلوب بعدما حصل ما حصل ، فإن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل رسالة الى قريش يخبرهم بتوجه رسول الله إليهم يريد أن يتخذ عندهم يداً فكان مما قاله الله هذا القول .

وقد تم ذاك كما أخبر فأزال الضغائن والإحن وأحل المودة محلها .

وهذه كما ترى غيوب كثيرة قد تحققت كلها، وكل منها علم برأسه وحجة قاطعة على نبوة محمد ﷺ فكيف باجتماعها؟!

(١) الكشاف ١/ ٤٦٥ ، ابن كثير ٢/ ٦٨ ، القرطبي ٦/ ٢١٨
(٢) فتح القدير ٢/ ٤٧ ـ ٤٨ وانظر تفسير الطبري ٦/ ٢٨٠ ، تفسير الرازي ١٢/ ١٦

٩ ـ الإخبار بحوادث خاصة :

وهي غيوب كثيرة منها قوله تعالى : «وإذ أسرّ النبي إلى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير. (التحريم ٣) .

والحادثة أن رسول الله أسرّ إلى حفصة بنت عمر زوجه حديثا واستكتمها إياه لكنها افشته إلى عائشة فأطلعه الله على هذا الإفشاء فخبّر حفصة بذلك فسألته عمن أخبره، فقال : إنما أخبرني به الله تعالى[1] » .

ولا يهمنا الآن ما هو السر ولا من هي الزوج التي أباحت سر رسول الله، فأياً كان السر وأيا كانت الزوج فالمسألة واحدة وهي أن الله اطلع رسوله على هذا الإفشاء .

لعلك تقول : لعل زوجه الأخرى هي التي اخبرته .

فنقول : هذا مردود لأن محمداً إدعى ان الله أظهره عليه وليس بشراً أنظر إلى قوله تعالى : (واظهره الله عليه) وإلى قوله (قالت من أنبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير)

فلو كان المخبر غير الله لعد محمد كاذبا ولارتاب مخبره وارتد وفضح هذا الأمر وقال : أنا الذي أخبرته فادعى ان الله أخبره .

ومحمد في سعة عن هذا الأمر وفي غنى عن هذا الإدعاء والدخول في هذا المدخل وجعله قرآنا يتلى على رؤوس الأشهاد . فدل ذلك على ان الله هو الذي أخبره وهذا غيب وهو ينهض دليلا برأسه على نبوة محمد ﷺ .

ومن ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم» (الممتحنة ١) .

هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل كتابا مع امرأة مشركة إلى قريش يخبرهم بتوجه رسول الله إليهم فأطلعه الله عليه فأرسل رسول الله علياً ...

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تفسير الطبري ٢٨/ ١٥٩ ـ ١٦٠، تفسير القرطبي ١٨/ ١٨٦، فتح القدير ٥/ ٢٣٤، اسباب النزول للواحدي ٤٦٨ ـ ٤٦٩

والزبير والمقداد إلى المرأة وهي في الطريق فجاؤوا بالكتاب، جاء في صحيح البخاري بطرق متعددة عن سفيان عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي وبطرق متعددة عن حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي .

عن عبيد الله بن أبي رافع قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا : اخرجي الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب . فقلنا : لتخرجنّ الكتاب أو لنلقين الثياب . فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟ قال : يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرءاً ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا إرتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : لقد صدقكم . قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . قال : «انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» .

وأخرجه مسلم والنسائي والترمذي والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب وابن أبي حاتم وذكرها جمهور المفسرين[1] وأصحاب المغازي والسير.

وهذا غيب من الغيوب وهو يدل على نبوة رسول الله ﷺ .

ومن ذلك قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ذكر البخاري ومسلم ان سبب نزول هذه الآية أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء، ثم أرسل

(١) الطبري ٢٨/ ٥٨، القرطبي ١٨/ ٥٠ ـ ٥٢، الكشاف ٣/ ٢١٩، ابن كثير ٤/ ٣٤٥ فتح القدير ٥/ ٢٠٤ ـ اسباب النزول ٤٤٧

إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء. فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه إنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال: فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة[1].

ومن ذلك قوله تعالى: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما. واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيما. ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا اثيما. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا. ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً؟

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً.. (النساء ١٠٥ - ١٠٩).

أخرج الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن قتادة ابن النعمان رضي الله عنه قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله لبعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، وقال فلان كذا وكذا فاذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الرجل الخبيث أو كما قال الرجل وقالوا ابن الابيرق قالها. قالوا وكانوا أهل بيت وحاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير. فقدمت ضافطة من الشام فابتاع

(١) انظر اسباب النزول للواحدي ٤٤٥ - ٤٤٦، فتح القدير ٥/ ١٩٧

عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك فجعله في مشربة له. وفي المشربة سلاح ودرع وسيف فعدى عليه من تحت البيت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا - ونحن نسأل في الدار - والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجلاً منا له صلاح وإسلام. فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا اسرق! والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة. قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك إنهم أصحابها. فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. قال قتادة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال النبي ﷺ: سآمر في ذلك.

فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له اسيد بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة فأتيت النبي ﷺ فكلمته فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة.

قال فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ. فقال: الله المستعان. فلم نلبث ان نزل القرآن (إنا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) يعني بني أبيرق (واستغفر الله) مما قلت لقتادة... (فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح إلى رفاعة...) الحديث[1].

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢٦٤، القرطبي ٥/ ٣٧٥، تفسير ابن كثير ١/ ٥٥١ - ٥٥٣، فتح القدير ١/ ٤٧٤

ومن ذلك ما جاء في تبرئة عائشة من الإفك وهو قوله تعالى (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم) (النور١١) .

بقيت الألسنة تلوك حادثة الافك شهرا والرسول لا يوحى إليه ـ كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم ـ وهو حائر متردد في أمر عائشة يسأل ويستشير، والمنافقون يشيعون الفاحشة ويتولون كبر الإثم حتى وقع فيها من وقع من المسلمين. ثم جاءها الرسول في بيت أهلها ثم قال لها : يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه .

وعائشة لم تجب رسول الله .

فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات . فلما سري عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها أن قال لي : يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله .

فقالت لي أمي قومي الى رسول الله (ﷺ) فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا احمد الا الله . فانزل الله تعالى : (إن الذين جاؤوا بالإفك) .

إنه من الواضح إنه لا يعلم ببراءة عائشة أحد من البشر الا اثنان هما عائشة وصفوان بن المعطل وهما وحدهما اللذان يملكان المعرفة الصحيحة ، فاقدام محمد على تبرئتها بقرآن يتلى أمر عجيب لا يمكن ان يقدم عليه محمد من نفسه ، إذ ما يدريه لعل الأمر على غير ذلك فيفتضح إدعاؤه ويتبين كذبه فترتاب عائشة ويرتد صفوان ؟

كان يكفيه السكوت أو أي موقف آخر حتى تهدأ الفتنة وتسكن القالة ، ولكن إقدامه على هذا الأمر وإعلانه براءة عائشة بقرآن يتلى يدل قطعا على ان الذي براها هو الله الذي يعلم الغيب .

ثم لنلحظ موقف الرسول من عائشة فبعد أن كان موقف التردد والحيرة تحول بها الوحي فجأة إلى موقف الثقة والإطمئنان وهذا التحول لا يمكنه أن يكون لو لم يكن واثقا ببراءتها باخبار من الله تعالى .

١٠ ـ الوعد بأمور قريبة :

من ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» .(المائدة ٩٤) .

هذا إخبار من الله بحادث قريب وهو أن الله سيختبرهم بصيد قريب منهم تناله رماحهم وأيديهم وهم محرمون ليعلم الله من يطيعه في عدم قتله لأنهم في حال إحرام وقد حصل ذلك فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا[1] .

فهو كما ترى اخبار عن شيء قبل حدوثه فهو غيب من الغيوب فدل ذلك على نبوته .

ونحو ذلك قوله تعالى : «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين» .

جاء في الكشاف : «وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم[2]» وجاء في الانتصاف من الكشاف) : «لأن هذا الابتلاء موعود به في المستقبل مذكور قبل وقوعه توطنا عليه عند الوقوع[3]» .

وقد حصل ذاك فقام دليلا على نبوته .

١١ ـ تحدي اليهود في تمني الموت :

تحدي القرآن اليهود في تمني الموت مرتين فقال: «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين» . (الجمعة ٦، ٧)

وقال: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٩٧، وانظر تفسير الرازي ١٢/ ٨٥
(٢) الكشاف ١/ ٢٤٧
(٣) الانتصاف من الكشاف ١/ ٢٤٧

الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (البقرة : ٩٤ ، ٩٥) .

ووجه الدليل في ذلك أن القرآن طلب من اليهود أن يتمنوا الموت أي ان يتقدم أي واحد منهم فيقول بلسانه : أنا أتمنى الموت ثم اخبر أنهم لن يتمنوه أبدا، فما تمناه أحد منهم مع حرصهم على تكذيب الرسول وكيدهم له فقام ذلك دليلاً صادقا على نبوته .

وهذا علم عظيم من أعلام نبوته إذ كيف يعلن الرسول تحديا عاما لليهود فيدعوهم لتمني الموت ويقول: إنه لا يتمناه أحد منهم الا مات ثم يخبر أنه لن يتمنى احد منهم الموت، وما يدريه فلعل أحداً ممن يعتقد كذب الرسول يتقدم فيتمنى الموت وهم جموع كثيرة فيفتضح ادعاؤه الكاذب؟ ثم ما الموجب لمثل هذا التحدي؟

فدل هذا أصدق دليل على أن هذا التحدي ليس من محمد وإنما هو ممن يعلم الغيب .

قال ابن تيمية: «فأخبر عن اليهود إنهم لن يتمنوا الموت أبدا وكان كما أخبر فلا يتمنى اليهود الموت أبدا. وهذا دليل من وجهين :

من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع أن ذلك مقدور لهم وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه باظهار تمني الموت[1] » .

وجاء في (الفصل في الملل) : «ومن ابهر ذلك واعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهم زيادة على الف بلا شك ولعلهم كانوا الوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو أهدل وبنو قينقاع أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في تكذيبهم نبوته . وأعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك اصلا فعجزوا عن ذلك أي عن تمني الموت»[2].

وجاء في (فتح القدير) : «والمراد بالتمني هنا هو التلفظ بما يدل عليه لا مجرد خطوره بالقلب وميل النفس إليه فان ذلك لا يراد في مقام المحاجة ومواطن الخصومة

(١) الجواب الصحيح ٤/ ١٣١
(٢) الفصل في الملل ١/ ٨٣

ومواقف التحدي . وفي تركهم للتمني أو صرفهم عنه معجزة لرسول الله ﷺ»[1].

وجاء في (تفسير ابن كثير) : «ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الارض يهودي إلا مات . . . قال ابن عباس : لو تمنى يهود الموت لماتوا . . . »[2].

«وقال الامام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو زيد حدثنا قرة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل . قبحه الله : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى اطأ على رقبته فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ رجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً . . .

وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم به . وقال الترمذي حسن صحيح[3] » .

وجاء في (التفسير الكبير) : «إنه لو حصل ذلك ـ أي لو تمنى اليهود الموت ـ لنقل نقلا متواترا لأنه امر عظيم فان بتقدير عدمه يثبت القول بصحة نبوة محمد ﷺ وبتقدير حصول هذا التمني يبطل القول بنبوته . . .

وهذا اخبار عن الغيب لأن مع توفر الدواعي على تكذيب محمد ﷺ وسهولة الإتيان بهذه الكلمة اخبر بأنهم لا يأتون بذلك فهذا اخبار جازم عن امر قامت الامارات على ضده فلا يمكن الوصول إليه الا بالوحي[4]» .

وجاء في (الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح) : «والمراد بالتمني القول ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام مع تقدمه في الرأي والحزم وحسن النظر في العاقبة . . . لا يجوز وهو غير واثق من ربه سبحانه بالوحي أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة لأن العاقل الذي لم يجرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك فكيف الحال في اعقل العقلاء فثبت أنه ما قدم على هذا التحدي إلا بعد الوحي واعتماده الكامل، وكذا لا شك أنهم كانوا من اشد

(١) فتح القدير ١/ ٩٧
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٢٧
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٦٩ وانظر تفسير الطبري ١/ ٤٢٥
(٤) التفسير الكبير ٣/ ١٩١ ـ ١٩٢

اعدائه وكانوا احرص الناس على تكذيبه وإنهم لا يزالون متفكرين فيما يتمحى به الإسلام او يحصل منه الذلة لاهله . . . وكان المطلوب منهم أمراً سهلاً لا صعوبة فيه فلو لم يكن رسول الله ﴿ﷺ﴾ صادقا في دعواه لبادر وا إلى القول به ليكذبوه ولصرحوا به ليوهنوه[1] » .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فما تمنوه مع هذا الاقتضاء والمطالبة التي تغيظ وتغضب ومع شدة عداوتهم لرسول الله﴿ﷺ﴾وحرصهم على تكذيبه وفضيحته وزلة تكون منه وقد بذلوا في ذلك دماءهم وأموالهم وأولادهم وحاربوه وأعانوا عدوه عليه وتكلفوا كل شدة وكل مشقة في ذلك وما أقدموا على تمني الموت مع سهولته وقربه[2] » .

١٢ ـ الوعد بحفظ القرآن :

قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر ٩)

لقد وعد الله بحفظ القرآن وتكفل به فكان كما وعد فتم جمع المصحف في زمن أبي بكر الصديق (رض) فقد أمر أبو بكر زيد بن ثابت كاتب الوحي بجمعه فتتبع القرآن يجمعه من العسُب (جريد النخل) واللخاف (حجارة عريضة رقاق) وصدور الرجال حتى جمعه . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم عند عمر حتى قبض ثم عند حفصة بنت عمر .

وفي خلافة عثمان أرسل إلى حفصة أن أرسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت جامعها الأول وعبد الله ابن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف .

حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل في

(١) الجواب الفسيح للألوسي ٢٧٥
(٢) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤١١ ـ ٤١٢

كل افق مصحفا مما نسخوا . فحفظ القرآن بذلك وتم وعد الله بذلك فكان كما أخبر فقام دليلا على صدق نبوته .

وهذا الاخبار إنمّا هو من الغيب اذ ما يدري محمداً بهذا الحفظ والأمان من الضياع أو التحريف ؟ فلعل شأن القرآن شأن بقية الكتب السماوية التي ضاعت او حرّفت وما المانع من ذلك ؟

المانع هو تكفل الله بحفظه فهيأ الأسباب لذلك لكنه اوكل حفظ الكتب السماوية الى اهلها فلم يتمكنوا ، قال تعالى : « إنَّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله » فوكل حفظ التوراة إليهم فلم يتمكنوا منه فلهذا دخلها التحريف والتبديل وكذلك شأن الكتب الاخرى .

١٣ ـ الوعد بعصمة الرسول من الناس :

قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (المائدة ٦٧) .

وعد الله محمداً بأن يعصمه من الناس جميعاً ويحفظه منهم فكان ذاك فلم يقدر أحد على قتله على كثرة المحاولات .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله كان يُحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله ﴿ﷺ﴾ رأسه وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل .

ومن المحاولات لقتل رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال غزونا مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ غزوة قبل نجد فأدركنا رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﴿ﷺ﴾ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ان رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت : الله . ثم قال في الثانية من يمنعك مني ؟ قال قلت : الله . قال : فشام السيف فها هوذا جالس ثم لم يعرض

له رسول الله ﴿ﷺ﴾ [1] .

وروى ابن أبي حاتم محاولة اخرى لقتله ﴿ﷺ﴾ .

ومن ذلك ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم والاستيعاب ومسند الإمام أحمد والبيهقي وغيرها أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﴿ﷺ﴾ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك . قال : ما كان الله ليسلطك على ذاك . قال أو قال عليّ . قال قالوا ألا نقتلها ؟ قال : لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

فاتضح أن الله كان قد عصمه كما أخبر وكما وعد فقام ذلك دليلاً على صدق نبوته .

جاء في (الكشاف) : « والله يعصمك : عدة من الله بالحفظ والكلاءة . والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم ؟ » [2] .

قال القرطبي : « قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) دليل على نبوته لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم » [3] .

وكان الله قد تحداهم قبل هذا مرتين في أن يكيدوا محمداً إن استطاعوا قال تعالى : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تُنظرون . إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » (الأعراف ١٩٥ ، ١٩٦) .

وقال : « فإن كان لكم كيد فكيدون » (المرسلات ٣٩) وهو تحدٍّ سافر بأن يكيدوه ولا يمهلوه إذا كان ذلك بوسعهم .

ومن ذلك قوله تعالى « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » (البقرة ١٣٧) وهذا وعد من الله بأنه سيكفيه من عانده وخالفه .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣١ ، ٧٨ - ٧٩ ، القرطبي ٦/ ٢٤٤ ، تفسير الطبري ٦/ ٣٠٧ - ٣٠٨ ، تفسير الرازي ١٢/ ٥٠ ، فتح القدير ٢/ ٥٧ ، اسباب النزول للواحدي ١٩٦ ، طبقات ابن سعد ١/ ١/ ١١٣

(٢) الكشاف ١/ ٤٧٣ - ٤٧٤

(٣) القرطبي ٦/ ٢٤٣ وانظر الجواب الفسيح ١٠٤ - ١٠٥

جاء في (الكشاف) : « ضمان من الله لاظهار رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين » [1] .

وجاء في (فتح القدير) : « وعد من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين وقد انجز له وعده بما أنزله من بأسه بقريظة والنضير وبني قينقاع » [2] .

وجاء في (التفسير الكبير) : « هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدقه وإنما قلنا أنه إخبار عن الغيب وذلك لأنا وجدنا مخبر هذا القول على ما اخبر به لأنه تعالى كفاه شر اليهود والنصارى ونصره عليهم حتى غلبهم المسلمون واخذوا ديارهم وأموالهم فصاروا أذلاء في أيديهم يؤدون إليهم الخراج والجزية . . . وإنما قلنا انه معجز لأن المتخرص لا يصيب في مثل ذلك على التفصيل » [3] .

ومن ذلك قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين » (الحجر ٩٤ ، ٩٥) .

والمستهزئون هم رجال بأعيانهم تمادوا في غيهم يستهزئون برسول الله ﴿ﷺ﴾ ويستهترون فأخبر الله محمداً بأنه كفاه هؤلاء . قال الحافظ ابن كثير : « قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت انساً يقول في هذه الآية (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) قال مر رسول الله ﴿ﷺ﴾ فغمزه بعضهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا .

وقال محمد بن اسحاق كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني اسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبو زمعة . . . ومن بني زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله

---

(١) الكشاف ١/ ١٤١ وانظر الطبري ١/ ٥٧٠ ، ابن كثير ١/ ١٨٧

(٢) فتح القدير ١/ ١٢٧

(٣) تفسير الرازي ٤/ ٩٥ وانظر تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٠١

ابن عمرو بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص ابن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة بن عمرو ابن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﴿ﷺ﴾ الاستهزاء أنزل الله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » .

قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلاً له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله . . .

وهكذا روي عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن اسحاق »[1] . ولا يهمنا ذكر الأسماء وعددهم وإنما المهم أن نعلم أن هناك مستهزئين كانوا يستهزئون برسول الله فأعلن الله انه كفاهم رسوله فكان كما أخبر وهو علم من أعلام النبوة .

ونحو ذلك ما جاء في الوليد بن المغيرة : « ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . . . سأصليه سقر » . (المدثر ١١ - ٢٦) .

وفي هذا علمان من أعلام النبوة .

١ - إخباره بأن الوليد سيموت على الكفر ويصليه سقر فكان ذاك .

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٩ - ٥٦٠ وانظر الطبري ١٤/ ٦٩ - ٧٢ ، تفسير الرازي ٢٠/ ٢١٥ ، القرطبي ١٠/ ٦٢ ، فتح القدير ٣/ ١٤٠ ، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥

٢ - أخباره بأن الله لن يزيده مالاً ولا ولداً بعد نزول الآية وذلك قوله تعالى « ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً » فلم يزده مالاً ولا ولداً حتى مات .

جاء في تفسير القرطبي : « كلا : أي ثم ان الوليد يطمع بعد هذا كله ان أزيده في المال والولد (كلا) أي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم . . . فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك »[1] .

وفي القرآن أخبار عن غيوب كثيرة أخرى لا نريد استقصاءها وحسبنا منها ما يقيم الدليل وينير السبيل ويثبت الحجة ونرى أن ما أوردناه كاف لهذا الأمر .

المباهلة :

قال تعالى : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» . . . (آل عمران ٦٠ ، ٦١) .

سبب نزول الآية هو أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجادلاه في أمر عيسى عليه السلام فأنزل الله تعالى آية المباهلة هذه ، والمباهلة دعاء الله والابتهال إليه أن ينزل لعنته على الكاذب فواعداه على أن يلاعناه الغداة فغدا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل اليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج [2] .

قال البخاري : حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنّاه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا : انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً . . . إلى آخر الحديث .

(١) القرطبي ١٩/ ٧٢ ، وانظر الطبري ٢٩/ ١٥٤ ، تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٤

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٠ ، الطبري ٣/ ٢٩٥ - ٢٩٨ ، فتح القدير ١/ ٣١٦ ، اسباب النزول للواحدي ٩٩

وقد روى البخاري والترمذي والنسائي لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً .

وهذا كما ترى فعل الواثق بربه في أنه سينزل لعنته عليهم ويهلكهم إن فعلوا ذلك وهو مما يدل على نبوته لأنهم لو باهلوه ولم ينزل عليهم العذاب لكان ساعياً في تكذيب نفسه . قال الفخر الرازي : « إنها دلت على صحة نبوته عليه السلام من وجهين :

أحدهما : وهو انه عليه السلام خوفهم بنزول العذاب عليهم ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعياً في إظهار كذب نفسه لأن بتقدير ان يرغبوا في مباهلته ثم لا ينزل العذاب فحينئذ كان يظهر كذبه فيما أخبر . ومعلوم أن محمداً ﷺ كان من أعقل الناس فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه فلما أصرّ على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقاً بنزول العذاب عليهم .

وثانيهما : أن القوم لما تركوا مباهلته فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته وإلا لما أحجموا عن مباهلته»[1] .

الإسراء :

قال تعالى : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (الإسراء ١) .

إدعى محمد أن الله أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ثم أرجعه في ليلة واحدة علماً بأن مدة السفر في ذلك مقدار شهرين ذهاباً وإياباً .

ولما عاد رسول الله ﷺ تحدث بذلك في أهله فقالت له أم هانيء بنت أبي طالب : لا تتحدث بهذا فوالله لا صدقك الناس وليكفرن بك من آمن بك وليكذبنك من صدقك . فقال ﷺ : إن ربي أمرني أن أخبر الناس بذلك »[2] .

(١) التفسير الكبير ٨/ ٨٧ ـ ٨٨ وانظر القرطبي ٤/ ١٠٤ ، تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٢٦

(٢) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٤٦

وهو توقع قريب إلى الصحة من أم هانيء إذ كيف يدرك الناس هذا الأمر ؟ وربما أصبح ذريعة إلى تكذيبه ﷺ ، ومع ذلك أصرّ على الإخبار بهذا الأمر الذي ليس في مصلحة دعوته لأن الله ـ على حد قوله ـ أمره بذلك .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن أقرب شيء يرد إلى الذهن هو أنهم سيسألونه عن بيت المقدس وصفته سؤالات دقيقة إن كان قد رآه كما ادعى ، علماً بأن الرسول لم يكن قد رآه في حياته ، وهذه عقدة كبيرة ، وفعلاً حدث هذا الأمر فقد سألوه عن صفة بيت المقدس فجلاه الله له فوصفه بدقة وأبو بكر يصدّقه حتى أسمعهم . جاء في صحيح البخاري : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

وأخرجه مسلم عن جابر والإمام أحمد عن ابن عباس وأخرجه النسائي والبيهقي وغيرهم[1] .

فكان ذلك دليلاً على صحة نبوته إذ كيف يمكن أن يصف بيت المقدس بدقة وهو لم يكن قد رآه ؟ وقد ذكر أنه وصف مدخله والمسجد وسقوفه وما فيه شيئاً شيئاً[2] .

الرمي بالشهب :

قال تعالى على لسان الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » (الجن ٨ ، ٩) .

وهذه ظاهرة طبيعية يذكرها القرآن وهي ظاهرة الرمي بالشهب التي صاحبت الدعوة المحمدية .

ولا شك أن هذا الخبر صحيح إذ لو لم يكن صحيحاً لكذبه قومه فقد كثر

(١) انظر ابن كثير ٣/ ١٥

(٢) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٤٧ ـ ٤٨

انقضاض الشهب عند مبعث محمد كثرة هائلة وامتلأت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه فناء العالم وأراد الناس أن يخرجوا من أموالهم . جاء في (الجواب الصحيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب وهذا أمر خارق للعادة حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك خراب العالم حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب علموا أنه لأمر حدث . . .

حتى لما بعث الله محمداً (ﷺ) رجموا ليلة من الليالي ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون ارقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر الطائف امسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمداً (ﷺ)) وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن اموالهم . . .

وقبل زمان البعث وبعده كان الرمي خفيفاً لم تمتلىء به السماء كما ملئت عند نزول القرآن »[1] .

وهذا من دلائل النبوة فان الرجم كان قبل المبعث خفيفاً لا يلفت النظر ثم كثر عند المبعث كثرة هائلة ملئت به السماء حتى خاف الناس وظنوا أنه انقراض الدنيا وفناء العالم .

والقرآن يقول ان هذا رجم للجن الذين كانوا يستمعون الأخبار من السماء قبل نزول القرآن فمنعوا بتنزول القرآن من السماع ورجموا .

انشقاق القمر :

قال تعالى: «اقتربت الساعة وانشقّ القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر

(1) الجواب الصحيح ٤/ ٣٨ - ٤٠ ، تثبيت دلائل النبوة / ٦٥ - ٦٩

مستمر» (القمر ١ ، ٢) .

تواترت حادثة انشقاق القمر على عهد رسول الله بالأسانيد الصحيحة وروى هذه الحادثة جمع كثير من الصحابة . فقد رويت هذه الحادثة بطرق متعددة صحيحة عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر مما يفيد العلم اليقيني إضافة إلى النص القرآني الذي له الدلالة التاريخية القاطعة .

جاء في (صحيح البخاري) باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية :

* حدثني عبدالله بن محمد حدثنا يونس حدثنا شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك .
* وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله (ﷺ) أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .
* وفيه هذا عن صدقة بن الفضل عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : وفيه : فقال النبي (ﷺ) : اشهدوا .
* وفيه عن خلف بن خالد القرشي عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عباس .
* وفيه عن عبدالله بن عبد الوهاب عن بشر بن المفضل عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك : وفيه : « حتى رأوا حراء بينهما » أي بين شقتي القمر .
* وفيه عن عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبدالله .
* وفيه : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله .
* وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه عن عثمان بن صالح عن بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عبدالله .

● وفيه عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه عن مسدد عن يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود .

● وفيه عن علي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه عن يحيى بن بكير عن بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود عن ابن عباس .

● ووردت هذه الحادثة في صحيح مسلم عن قتيبة بن سعيد عن جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .

● وفيه عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله .

● وفيه عن عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله .

● وفيه حدثنا أبو بكر بن أبي بكر شيبة وأبو كريب واسحاق بن ابراهيم جميعاً عن أبي معاوية ، وحدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه كلاهما عن الأعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه حدثنا ابن الحارث التميمي عن ابن مسهر عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه عن عبيدالله بن معاذ العنبري عن أبيه عن شعبة عن **الأعمش** عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبدالله بن مسعود .

● وفيه عن عبيد الله بن معاذ عن ابيه عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر

● عن بشر بن خالد عن محمد بن جعفر وحدثنا محمد بن بشار عن ابن أبي عدي كلاهما عن شعبة بإسناد ابن معاذ عن شعبة .

● عن زهير بن حرب وعبد بن حُميد قالا حدثنا يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس .

● عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر وأبي داود ، وحدثنا ابن بشار عن يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وأبي داود كلهم عن شعبة عن قتادة عن أنس .

● عن موسى بن قريش التميمي عن اسحاق بن بكر بن مضر عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عراك بن مالك عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس .

وأخرجها الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والترمذي والبيهقي بروايات متعددة .

وأوردنا هذه الأسانيد **لتعلم** مقدار ثبوت الحادثة وصحتها وأغفلنا أسانيد كثيرة أخرى صحيحة ولذا قال العلماء بتواتر الحادثة [1] .

هذا إضافة إلى النص القرآني الذي يفيد العلم اليقيني « ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق القمر لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلا عن أعدائه من الكفار والمنافقين » [2] .

جاء في (الكشاف) : «انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة . وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله : (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا . وفي قراءة حذيفة : وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول : اقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه » [3] .

---

(1) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٦١ ـ فتح القدير ٥/ ١١٧ ـ اظهار الحق ٢/ ١٨٧

(2) الجواب الصحيح ٤/ ١٦٢ ـ ١٦٤

(3) الكشاف ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢

وجاء في (فتح القدير) : «وانشق القمر أي وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة (قد) والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله ﷺ وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف . قال الواحدي : وجماعة المفسرين على هذا إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال : المعنى سينشق القمر والعلماء كلهم على خلافه .

قال الزجاج : زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر سينشق يوم القيامة والأمر بين في اللفظ وإجماع أهل العلم لأن قوله « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة » انتهى .

ولم يأت من خالف الجمهور وقال ان الإنشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد فقال : لأنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء . ويجاب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلاً ولا شرعاً ولا عادة ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر ، وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به في وجه قائله .

والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ولم يخبرنا بأنه سينشق وإن نظرنا إلى سنة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ واستبعاد من استبعد»[1].

وقال الفخر الرازي : «المفسرون بأسرهم على ان القمر انشق وحصل فيه الانشقاق . . . وقال بعض المفسرين : المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له »[2].

ومعلوم أن الذين قالوا أن معنى (انشق القمر) سينشق لا يستندون إلى شيء سوى الاستبعاد الذي ذكره بعضهم وهو أنه لو حدث لرآه الناس جميعاً . وهو مردود من

(١) فتح القدير ٥/ ١١٧ - وانظر اسباب النزول للواحدي ٤٢٤
(٢) تفسير الرازي ج ٢٩ من ٢٨، الطبري ٢٧/ ٨٤ - ٨٨، القرطبي ١٧/ ١٢٥ وما بعدها، تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٦ .

الناحية التاريخية ومن الناحية اللغوية ومن الناحية العقلية .

أما من الناحية التاريخية فقد ثبت وقوعها بالأسانيد الصحيحة المتواترة التي تفيد العلم اليقيني ، والحوادث التاريخية تثبت بأقل من هذا بكثير .

ومردود من الناحية اللغوية لأن الفعل (انشق) فعل ماض وصرفه إلى الاستقبال لا يصح إلا بقرينة صارفة ولا توجد هذه القرينة، ثم يرد هذا التقدير أمران :

الأول : قوله تعالى بعد هذه الآية : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فدل هذا على أنهم رأوا هذه الآية فأعرضوا وقالوا هذا سحر . ولا معنى لهذه الآية لو لم يكن الأمر كذلك أو لو كان الانشقاق يوم القيامة . فإنه في يوم القيامة يحدث ما هو أكثر من ذلك إذ قد تنشق السماء وتنتثر الكواكب وتكور الشمس وتتفجر البحار وتذوب الجبال فمن الساحر ثم ومن المسحور ؟!!

وهذا القول حكاه كفار قريش فإنهم حين رأوا انشقاق القمر قالوا هذا سحر . عن جبير بن مطعم قال : انشق القمر ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل .

فقال الناس : سحرنا محمد ﷺ .
فقال رجل : إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم . رواه الترمذي .

الثاني : قراءة حذيفة (وقد انشق القمر) لأن (قد) اذا دخلت على فعل ماض عين كونه للزمن الماضي ولا يصح صرفه للاستقبال .

وأما الشبهة التي ذكرها بعضهم وهي أنه لو كان حصل ذلك لرآه الناس جميعاً فهذا مردود أيضاً . وقد ردها الشيخ رحمة الله الهندي رداً وافياً نلخصه بما يأتي :

١ - إن انشقاق القمر كان في الليل وهو وقت الغفلة والنوم والسكون . . . فلا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من انتظره واعتنى به . ألا ترى إلى خسوف القمر فإنه يكون كثيراً وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم حتى يخبرهم أحد به .

٢ - ان هذه الحادثة ما كانت ممتدة إلى زمن كثير . . .

٣ ـ إنها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها . . . وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ (فرشته) إن أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضاً وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر . وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديماً مكتوباً عليه (بُني ليلة انشق القمر) .

٤ ـ انه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر سحاب غليظ أو جبل ويوجد التفاوت الفاحش في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيرا . . . وأهل البلاد الشمالية كالروم والفرنج في موسم نزول الثلج والمطر لا يرون الشمس إلى أيام فضلاً عن القمر .

٥ ـ إن القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض . . . ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض .

٦ ـ إنه قلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حد يفيد اليقين وأخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة »[١] .

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : « فأما قول النظّام : فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس فليس هذا بلازم لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد وإنما هو شيء حدث ليلاً وما كان عندهم خبر بأنه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه وإذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه . يزيدك بياناً أن القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد والنفر اليسير لنومهم فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد أن رآه أولئك القوم الذين طلبوه »[٢] .

وجاء في (الجواب الفسيح) للآلوسي : « فقد ورد في الروايات الصحيحة بل المتواترة إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ (أن ينشق القمر فكان ذلك) » .

---

(١) اظهار الحق ٢/ ١٩٤
(٢) تثبيت دلائل النبوة ١/ ٥٧

ثم يقول : إنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد لاختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعاً على قوم غائباً عن آخرين ، ومكسوفاً عند قوم وغير مكسوف عند آخرين . . . وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد »[١] .

وفي هذا ما يزيل الشبهة ويتضح به الأمر .

والعجيب أن كثيراً من القساوسة والرهبان يذكرون هذه الشبهة وفي كتبهم ما هو أبعد من ذلك ولا يثيرون حوله مثل هذه الشبهة .

فعندهم أن يوشع أوقف الشمس والقمر عن الحركة يوماً كاملاً وإن أشعيا أرجع الشمس عشر درجات . جاء في الباب العاشر من كتاب يوشع على وفق الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا :

« ١٢ حينئذ تكلم يشوع أمام الرب في اليوم الذي وقع الاموريّ في يدي بني اسرائيل وقال إمامهم : أيتها الشمس مقابل جبعون لا تتحركي والقمر مقابل قاع ايلون ١٣ فوقف الشمس والقمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم ، أليس هذا مكتوباً في سفر الأبرار فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تكن تعجل إلى الغروب يوماً تاماً » .

قال الشيخ رحمة الله الهندي : «وهذه الحادثة عظيمة وكانت على زعم المسيحيين قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة فلو وقعت لظهرت على الكل . . .

وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين وفارس »[٢] .

وجاء فيه : « في الآية الثامنة من الباب الثامن والثلاثين في بيان رجوع الشمس معجزة أشعيا هكذا : « فرجعت الشمس عشر درجات في المراقي التي كانت قد انحدرت » .

---

(١) الجواب الفسيح ٩٩ ـ ٢٠٠ ـ وانظر القرطبي ١٧/ ١٢٥
(٢) اظهار الحق ٢/ ٩٠

وهذه الحادثة عظيمة ولما كانت في النهار فلا بد أن تظهر لأكثر أهل العالم وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاثة عشرة سنة شمسية وهذه الحادثة ليست مكتوبة في تواريخ أهل الهند والصين والفرس [1] .

فالمفروض أن تسجل التواريخ القديمة هذه الحادثة العجيبة لأن الشمس مشاهدة وكل الناس يرونها بخلاف القمر الذي يطلع وقت الغفلة والنوم . . . فكان الأجدر بهم أن يثيروا هذه الشبهة حول حادثتهم التي لم تنقل بسند واحد صحيح أو ضعيف لا حول حادثة انشقاق القمر المنقولة نقلاً تاريخياً صحيحاً متواتراً ولكنهم كما قال السيد المسيح فيهم : « يرون القشة في عين صاحبهم ولا يرون الخشبة في أعينهم » .

---

(١) اظهار الحق ٢/١٩٢

الأدلة الحديثية

مقـــدمة

هذه مقدمة قصيرة ضرورية ـ فيما نرى ـ للتعريف بالحديث النبوي وتدوينه وجمعه لنعرف مقدار الجهود التي بذلها العلماء للوصول الى الاحاديث الصحيحة . فانه ظهرت في العصر الحديث حملة مسعورة تستهدف الحديث والمحدثين حمل لواءها المستشرقون باسم العلم وحذا تلاميذهم ممن ينتسبون الى الاسلام حذوهم .

وهذه الحملة للنيل من رجال الحديث وبالتالي من الحديث مقصودة ، وذلك لأنه إذا ضاع الحديث ضاعت كثير من احكام العبادات والمعاملات فاحكام الطهارة والوضوء لا تثبت إلا عن طريق الاحاديث ، والصلاة ومواقيتها وركعاتها وهيئاتها ، والصيام ومفطراته واحكامه ، والزكاة وأنصبتها والاموال التي تؤخذ منها ، والحج واحكامه وأركانه كل ذلك لا يعرف إلا عن طريق الحديث . وكثير من المعاملات لا نُعلم احكامها إلا عن طريق الحديث . فإذا حصل الشك في الحديث فقد بطلت العبادات والمعاملات وانحل الالتزام .

فالحملة التي تنادي بالاكتفاء بالقرآن حملة مقصودة للمروق عن الاسلام والخروج عن احكامه وتعطيلها ، لأن القرآن فيه احكام عامة وليس فيه التفصيلات . والتفصيلات انما تكفلت ببيانها السنة النبوية . ولذا قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال: (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال: (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ان الحديث تثبت به كثير من المعجزات المحمدية المروية بالطرق الصحيحة التي لا يرقى اليها الشك كتكثير الماء والطعام والاخبار ببعض الغيب وغيرها والتي تثبت نبوة محمد بصورة قاطعة ، فإذا نالوا من رجال الحديث فقد حصل الشك بمروياتهم فيسهل المروق من الدين . ولذلك ضربوا على هذه المسألة ضرباً عنيفاً متوالياً وحاولوا الوصول الى ذلك بكل طريق غير علمي ولا

صحيح ولا شريف باسم العلم والبحث العلمي لتكمل الخطة ولتتوافق مع بقية المخططات الرهيبة لتحطيم الاسلام.

فمن ذلك انك ترى النقل المبتور عن كتب الحديث، أو ذكر مسألة ليس لها أصل مع احالة القارىء الى كتب الحديث المعتمدة لايهامه بصحة ادعائه. أو تحريف في النص يؤدي إلى تغيير المعنى تماماً.

وقد قام الباحثون في العصر الحديث ـ جزاهم الله خيراً ـ بسعي مشكور فردوهم ردوداً افحمتهم واخجلتهم لو كان عندهم شيء من الحياء! ولست الآن بصدد شرح هذا الامر وتبيينه فان له مجالاً غير هذا المجال واكتفي بذكر مثل واحد ذكره المرحوم الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) لترى التحريف المقصود من مستشرق كبير ورجل (عليم) !! هو المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) الذي صار استاذاً لكثير من رجالنا المسلمين.

قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «وفي جامعة (ليدن) بهولندا اجتمعت بالمستشرق اليهودي (شاخت) وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة (جولد تسيهر) في الدس على الاسلام والكيد له وتشويه حقائقه وباحثته طويلاً في أخطاء (جولد تسيهر) وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا فانكر ذلك أول الامر. فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ (السنة) ـ وهو ما نقلناه عنه في هذا الكتاب ـ وكيف حرّف قول الزهري: «ان هؤلاء الامراء اكرهونا على كتابة (الاحاديث)» الى لفظ «على كتابة أحاديث» فاستغرب ذلك، ثم راجع كتاب جولد تسيهر ـ وكنا نجلس في مكتبته الخاصة ـ فقال: معك الحق ان جولد تسيهر أخطأ هنا».

قلت له: «هل هو مجرد خطأ؟ فاحتد وقال: لماذا تسيئون به الظن؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر ـ وقد ذكرت ذلك في هذا الكتاب ـ وبعد مناقشة الموضوع قال: وهذا خطأ أيضاً من جولد تسيهر ألا يخطىء العلماء؟ قلت له: ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الاسلامي

على وقائع التاريخ نفسه فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الاقصى إرضاءً لعبد الملك ضد ابن الزبير، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل ابن الزبير؟

وهنا اصفر وجه (شاخت) وأخذ يفرك يداً بيد وبدا عليه الغيظ والاضطراب فانهيت الحديث معه بان قلت له: لقد كانت مثل هذه «الاخطاء» كما تسميها انت تشتهر في القرن الماضي، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على انها حقائق علمية قبل ان نقرأ ـ نحن المسلمين ـ تلك المؤلفات الا بعد موت مؤلفيها. أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظاتنا على (اخطائكم) لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية!!»[1].

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ٢٤ ـ ٢٥

تـدويـن الحَدِيث

من الثابت أن الرسول ﷺ نهى عن كتابة الحديث في باديء الامر لئلا يختلط بالقرآن الكريم حتى إذا ذهب المحذور أباح الكتابة لمن أراد أن يكتب وقد تمت كتابة قسم من الاحاديث في زمن الرسول من ذلك :

١ ـ صحيفة سعد بن عبادة الانصاري
٢ ـ صحيفة عبدالله بن أبي أوفى
٣ ـ نسخة سمره بن جندب
٤ ـ كتاب أبي رافع مولى النبي
٥ ـ كتب أبي هريرة.
٦ ـ صحيفة جابر بن عبدالله الانصاري
٧ ـ الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو
٨ ـ الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه[1] .

فهذه صحف كتبها الصحابة لانفسهم أو استكتبوها بعد إباحة الرسول تدوين الحديث ومن ذلك كتب النبي الى الملوك والرؤساء مثل : ـ

١ ـ كتابه الىٰ هرقل
٢ ـ كتابه الىٰ المقوقس ملك مصر
٣ ـ كتابه الىٰ المنذر بن ساوى.
٤ ـ كتابه الىٰ ملك عمان وقد كان بعثه مع عمرو بن العاص
٥ ـ كتابه الىٰ صاحب اليمامة هوذة بن علي مع سليط بن عمرو.
٦ ـ كتابه الىٰ الحرث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهيب[2] .

(١) انظر بحوث في تاريخ السنّة المشرفة ١٤٧ ـ ١٤٨
(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٦١ ـ ٦٣

ومن ذلك :

١ ـ كتابه الىٰ همدان.
٢ ـ كتابه الىٰ نجران[1] .

ومن ذلك كتابة قسم من الاحكام بأمر منه ﷺ نحو :

١ ـ كتابة أحكام الزكاة ومقاديرها بأمر الرسول بالمدينة في صفحتين.
٢ ـ صحيفة الامام علي في الأحكام.
٣ ـ هدنة الحديبية.
٤ ـ كتاب الرسول الىٰ اليمن مع عمرو بن حزم في الفرائض والصدقات [والد]يات.
٥ ـ كتاب عبدالله بن حكيم من رسول الله فيه احكام الحيوانات .
٦ ـ كتاب رسول الله الىٰ وائل بن حجر حين أراد الرجوع الىٰ بلاده حضرموت [فيه] أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر .
٧ ـ كتاب الضحاك بن سفيان من رسول الله في بيان نصيب المرأة من دية [زو]جها .
٨ ـ كتاب لابي شاه بأمر رسول الله بعد الفتح[2] .

هذه بداية كتابة الحديث في العهد النبوي ثم اتسعت وتمت في عهد الصحابة [والتابعين].

إن الحديث تم وجمع في عهد الصحابة ودوّن اكثره في عهدهم ايضاً وذلك أن [التابع]ين اتسعوا بتدوينه والتابعون أخذوا علمهم عن الصحابة ، « فقد كان سعيد [بن ج]بير يكتب روايات عبدالله بن عباس (الدارمي ٦٩) . وبقيت صحيفة [عبد]الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيده عمرو بن شعيب (سنن الترمذي [١] ١١٣) . . . وجمع وهب التابعي روايات جابر بن عبدالله وكانت عند [اسماع]يل بن عبد الكريم . . . (تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ٣١٦) . . . وجمع

[(١) زا]د المعاد ٣/ ٣٦ ـ ٤٠
[(٢) انـ]ظر الرسالة المحمدية لسليمان الندوي ٥٤ ـ ٥٥، بحوث في تاريخ السنة ١٤٤

همام بن منبه روايات أبي هريرة وهو اكثر الصحابة رواية وأوعاهم حفظاً لأحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام وقد أوردها الامام احمد بن حنبل في الجزء الثاني من مسنده...

وروي عن سلمىٰ قالت : رأيت عبدالله بن عباس يستملي أبا رافع خادم رسول الله (ﷺ) ما كان (ﷺ) يفعل أو يقول (طبقات ابن سعد ٢/٢/١٢٣) والواقدي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبدالله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله (ﷺ) الىٰ المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى (زاد الميعاد ٢/٥٧) ...

ويقول سعيد بن جبير التابعي كنت اكتب علىٰ الاقتاب ما أسمعه في الليل من عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبته واضحاً (الدارمي ص ٦٩) وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته (الدارمي ص ٦٩) وكان نافع ـ وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة ـ يملي علىٰ الناس (الدارمي ٦٩) . وعبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود اخرج كتاباً وقال : وأيم الله هذا ما كتبه يد ابي مسعود (جامع بيان العلم لابن عبد البر ص ١٧) »[1] .

قال الشيخ سليمان الندوي « ولا أعدو الحقيقة إذا قلت : إن التابعين رضي الله عنهم جمعوا جميع المرويات في عهد الصحابة وكتبوا في حياتهم ما وصل الىٰ علمهم من الاخبار والشؤون ...

ومن أعظم الخطأ في تاريخ تدوين الحديث دعوى بعض الناس أنه بدأ بعد المائة وذلك تبعاً لخطئهم في تحديد زمن التابعين وهم يعلمون أن بعض الصحابة امتد بهم العمر الىٰ أواخر المائة الاولى للهجرة ظنوا ان عهد التابعين يبدأ بعد انقضاء زمن الصحابة فذهبوا الىٰ ان التدوين بدأ بعد المائة . وهذا كله خطأ . والحق ان عنوان (التابعين) يطلق علىٰ الذين لم يدركوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم أو ولدوا في أواخر عهده فلم يروه وإنما رأوا أصحابه وأخذوا عنهم . وعلىٰ أقل تقدير يعد تابعياً من ولد بعد وفاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم (ربيع الاول سنة ١١) وأعمال التابعين

(١) الرسالة المحمدية ٥٦ ـ ٥٧

التي تنسب اليهم يبدأ عهدها من سنة ١١ وليس من المحتم ان لا ينسب الىٰ التابعين إلا ما صدر عنهم بعد وفاة آخر الصحابة بقاء علىٰ قيد الحياة ، فآخر الصحابة بقاء علىٰ قيد الحياة امتد زمنه الىٰ أواخر المائة الاولىٰ للهجرة ، وأعمال التابعين ـ ومنها البدء بتدوين الحديث ـ ينبغي ان تنسب الىٰ زمنهم الذي يبدأ من بعد سنة ١١ التي انتقل فيها النبي صلىٰ الله عليه وسلم الىٰ الرفيق الاعلىٰ »[1] .

وبهذا يتضح أن تدوين الحديث وجمعه كان في عهد مبكر جداً وهو عصر الصحابة من أفواههم ومما كتبت أيديهم .

ان التابعين الذين هم تلاميذ الصحابة يبدأ « تاريخ طبقتهم من السنة الاولىٰ للهجرة ومنهم من ولد في عهد النبي (ﷺ) لكنه لم يتشرف برؤيته أو كان في العهد النبوي صغير السن فلم يحظ بالصحبة ولم يقدّر له أن ينال قبساً من مشكاة النبوة كعبد الرحمن بن الحارث المولود سنة ٣ وقيس بن أبي حازم المولود سنة ٤ وسعيد بن المسيب المولود سنة ١٤ وهؤلاء التابعون الذين ينزلون المنزلة الثانية بعد الصحابة في نشر الاسلام وتبليغ دعوته ..

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات ١٣٩ من التابعين أهل الطبقة الاولى الذين كانوا في المدينة وأدركوا كبار الصحابة وسمعوا منهم أحاديث النبي (ﷺ) ورووها عنهم . وذكر ١٢٩ من الطبقة الثانية الذين لقوا عامة الصحابة ورووا عنهم . أما الطبقة الثالثة من التابعين فهم الذين حظي الواحد منهم برؤية صحابي واحد أو اثنين من الصحابة وعدد هؤلاء ٨٧ فمجموع عدد التابعين ٣٥٥ في مدينة واحدة وهي مدينة الرسول (ﷺ) فقيسوا علىٰ ذلك عدد الذين أخذوا عن الصحابة في بقية المدن الاسلامية »[2] .

ان جمع السنة النبوية بصورة واسعة بدأ في عهد عمر بن عبد العزيز اذ أرسل عمر الى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه في المدينة أن يجمع الحديث وكذلك كتب الى أهل الآفاق فبدىء بالجمع .

(١) الرسالة المحمدية ٥٨ ـ ٥٩

(٢) الرسالة المحمدية ٤٩

أما تدوين السنة بصورته الواسعة فقد تم على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ - ١٢٤) الذي عاصر جماعة من الصحابة وأخذ عنهم.

فقد اخذ عن أنس بن مالك المتوفى سنة ٩٣ وابن عمر المتوفى سنة ٧٣ وجابر بن عبد الله المتوفى سنة ٧٨ وسهل بن سعد وغيرهم ودوّن من أفواههم ، ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري فكان أول من جمع الحديث بمكة ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هجرية . وابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ . وبالمدينة سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ والربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ والامام مالك (٩٣ - ١٧٩ هـ) وقد ترك كتاب (الموطأ) الذي لا يزال متداولاً حتى الآن وقد طبع اكثر من مرة وغير هؤلاء وغيرهم[1] .

فأنت ترى ان تدوين الحديث النبوي بدأ في عهد مبكر جداً فقد بدىء به بالعهد النبوي ثم كثر في عهد الصحابة ثم اتسع في عهد التابعين حتى اوشك ان يتم تدوينه لا كما يتصور كثير من الناس انه كتبه البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ . فهذان الامامان سُبقا بجهود كثيرة لكن هذين الامامين هما أول من أفرد كتاباً في الاحاديث الصحيحة وكانت المؤلفات قبل الصحيحين تحوي أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة مبيناً سندها[*] .

وقد بذل المحدثون جهوداً عظيمة للوصول الى الحديث الصحيح متبعين أدق الطرق العلمية مما لم تقم بمثل ذلك أمة من الامم قبلهم فلم يمحص البشر أقوال رجل في التاريخ كما محص المسلمون أحاديث هذا النبي الكريم وراقبوا أعماله ، وأخذ يتناول التحقيق الانساني صدق رواة الاخبار أو كذبهم وأهليتهم لحمل هذه الأمانة أو عدم أهليتهم لذلك كما حقق ذلك اعلام السنة المحمدية [2] .

وكان المحدثون يرحلون في طلب الحديث فتراهم يقضون الليالي والأيام

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع ١٢١ - ١٢٥ ، بحوث في تاريخ السنة - ١٤٤

* كانت كتب الحديث قبل هذين الامامين مخلوطة بآثار وآراء كثيرة للصحابة . والتابعين فهي ... كتب حديث خالصة غير ان هذين الامامين جودا الصحيحين من ذلك الا في القليل .

(٢) انظر مقدمة مختصر التحفة الاثني عشرية لمحب الدين الخطيب (يب)

رحلة شاقة طويلة لمقابلة شخص يروي حديثاً واحداً وهذه الرحلة لطلب العلم بدأت في جيل الصحابة فقد رحل جابر بن عبدالله الى عبدالله بن أنيس في الشام واستغرق سفره شهراً ليستمع منه حديثاً واحداً لم يكن جابر قد سمعه عن النبي ﷺ ورحل جابر الى مصر للقاء مسلمة بن مخلد وسؤاله عن حديث بلغه عنه فلما اخبره به رجع .

ورحل أبو أيوب الانصاري إلى عقبة بن عامر بمصر فلما لقيه قال : حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم لم يبق احد سمعه غيري وغيرك . فلما حدثه ركب ابو أيوب راحلته وانصرف عائداً الى المدينة وما حل راحلته .

وقد استمرت الرحلة في جيل التابعين ، فقد تفرق الصحابة في الامصار يحملون معهم العلم فما كان للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله ﷺ دون رحلة في الامصار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها .

يقول سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ) أحد كبار التابعين : ان كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام . . .

وعن أبي العالية الرياحي قال : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم . .

واستمرت الرحلة في طلب العلم في أجيال المحدثين بعدهم حتى ارسيت دعائم العلم وثبتت قواعده واحكمت اصوله وفصوله .

ومما انفرد به المسلمون - وهم في سبيل الوصول الى معرفة الحديث الصحيح - بناء علم الجرح والتعديل الذي لم تسبقهم به أمة من الامم وهو علم يقوم على نقد الرجال ومعرفة أحوالهم . قال الدكتور عبد الكريم زيدان : «وقد قام علماء الحديث بعمل مبرور إذ أنشأوا علم الجرح والتعديل أو علم الرجال. وهذا العلم مما انفرد به المسلمون ولا نظير له عند غيرهم ، والغرض منه الكشف عن احوال رواة السنة وتمييز الصادق من الكاذب والضابط من الواهم والموثوق بروايته من المطعون فيها» .

ويقوم هذا العلم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقهم ونشأتهم وعقائدهم ، وقد بذل علماء هذا الفن جهداً عظيماً وتحملوا في سبيل ذلك التعب والسفر الطويل والرحلات المتعددة للتحري والتنقيب عن أحوال الرواة ودراسة حياتهم والسؤال عنهم . وقد كان علماء الجرح والتعديل في دراستهم لأحوال الرواة في غاية التجرد عن الهوى والموضوعية في البحث ولم تؤثر فيهم روابط الصداقة أو القرابة أو الاشتراك بالموطن والمذهب لأن سنة رسول الله ﷺ أعلى وأغلى في نظرهم من كل اعتبار آخر . فكانوا لهذا كله يفحصون احوال رواة السنة النبوية فحصاً مجرداً موضوعياً لا تهمهم النتيجة التي يصلون اليها ، وإنما يهمهم شيء واحد هو الوصول الى حقيقة وصفات من يدرسونه ومدى الوثوق بروايته . فكانوا في دراستهم هذه كالكيمياوي في مصنعه وهو يفحص مادة من المواد ليعرف خصائصها ولا تهمه النتيجة التي يصل اليها ولا نوع الصفات التي ستظهر عليها المادة التي يفحصها . . فإذا ما أنهى العالم دراسته حول رواة الحديث اعطى لكل منهم رمزاً يشير الى خلاصة ما توصل إليه فيقول : هذا ثقة ، وهذا عدل ، أو هذا لين الحديث ، أو هذا لا بأس بحديثه ، أو هذا كذاب ، أو هذا سيء الحفظ ، أو هذا أصابه ضعف في ذاكرته في شيخوخته .

وبهذه الدراسة المضنية الخالصة المجردة من الهوى والمقرونة بتقوى الله والاخلاص له والحرص الشديد على تجريد السنة الصحيحة مما علق بها ، استطاع علماء الجرح والتعديل بعون الله أن يميزوا صحيح السنة من مكذوبها وان يردوا كيد اعداء الاسلام الذين أرادوا هدمه بهدم السنة والتشكيك بها وصرف المسلمين عنها»[1] .

وقال الدكتور مصطفى السباعي : «ومن ثمار هذه الجهود المباركة علم الجرح والتعديل أو علم ميزان الرجال وهو علم يبحث فيه عن احوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان . . . »

ثم يقول ان هذا العلم الذي نشأ عن تلك الحركة المباركة «لا تعرف له مثيلاً أبداً

(١) مقدمة كتابه (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) ٨م - ٩م

في تاريخ الامم الاخرى وقد ادى الى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على أحوال الرواة حتى يميزوا بين الصحيح وغيره فكانوا يختبرون بانفسهم من يعاصرونهم من الرواة ويسألون السابقين عمن لم يعاصروهم . . . »[1] .

وقال الاستاذ المحقق احمد محمد شاكر : «اجتهد علماء الحديث في رواية كل ما رواه عنه الرواة وإن لم يكن صحيحاً عندهم ثم اجتهدوا في التوثق من صحة كل حديث وكل (حرف) رواه الرواة ونقدوا احوالهم ورواياتهم واحتاطوا أشد الاحتياط في النقل فكانوا يحكمون بضعف الحديث ، لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية مما يخل في العدالة عند أهل العلم.

اما إذا اشتبهوا في صدقه وعلموا انه كذب في شيء من كلامه فقد رفضوا روايته وسموا حديثه موضوعاً أو مكذوباً وان لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث مع علمهم بانه قد يصدق الكذوب .

وكذلك توثقوا من حفظ كل راوٍ وقارنوا رواياته بعضها ببعض وبروايات غيره فان وجدوا منه خطأ كثيراً وحفظاً غير جيد ضعفوا روايته وإن كان لا مطعن عليه في شخصه ولا في صدقه خشية أن تكون روايته مما خانه فيه الحفظ. . . »[2] .

ولقد ألف علماء الجرح والتعديل كتباً في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم فلست ترى حديثاً من الاحاديث الصحيحة أو الضعيفة إلا ترى ترجمة رواته كلهم في كتب الجرح والتعديل . وليس ثمة شخص جاء ذكره في حديث الا تعرض له المحدثون بالجرح أو التعديل . فهناك كتب انفردت بتناول الثقات وكتب انفردت بتناول الضعفاء وكتب تناولت الضعفاء والثقات . وكتب ألفت في معرفة الصحابة وكتب في الطبقات وكتب في معرفة الاسماء وتمييز المؤتلف والمختلف ، والمتفق والمفترق وكتب في الاسماء والكنى والالقاب وكتب في الوفيات الى غير ذلك من المؤلفات ومن الجهود التي لا تترك مجالاً لمستزيد .

ونشأ عن ذلك أيضاً علم مصطلح الحديث «الذي يضع القواعد العلمية

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ١٢٧ - ١٢٨
(٢) مقدمة الباعث الحثيث ص [illegible]

لتصحيح الاخبار ، وهي أصح ما عرف في التاريخ من قواعدعلميةللرواية والاخبار بل كان علماؤنا رحمهم الله هم أول من وضعوا هذه القواعد على اساس علمي لا مجال بعده للحيطة والتثبت»[١] .

فكان المحدثون يضعون مصطلحاً واضحاً أمام كل حديث يبين درجته فيقولون هو : متواتر ، صحيح ، حسن ، ضعيف ، موضوع إلى غير ذلك من المصطلحات الدقيقة الواضحة .

فالحديث الصحيح هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله الى رسول الله (ﷺ) غير معلل ولا شاذ[٢] .

فلا يحكم لحديث بالصحة حتى يكون جميع رواته عدولاً ضابطين ثم لا يكون الحديث شاذاً أي رواه ثقة خالف من هو أوثق منه ، ولا معللاً اي فيه علة خفية في السند أو في المتن يعرفها جهابذة أهل العلم .

واما المتواتر فهو أعلى درجات الحديث الصحيح لأنه ينبغي أن تكون سلاسل رواته عدداً كثيراً بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب وممن توفرت فيهم شروط الصحيح . وتوضيح ذلك أن تروي سلسلة كل رجالها معروفون بالعدل والضبط حديثاً الى رسول الله . ثم تروي سلسلة أخرى معروفون بالعدل والضبط الحديث نفسه الى رسول الله . ثم تروي سلسلة اخرى كالسلسلة السابقة ، الحديث نفسه ، ثم تروي سلسلة اخرى كالسلاسل الاخرى الحديث نفسه ، ثم تروي سلسلة اخرى كالسلاسل الاخرى الحديث نفسه .

قالوا وأقل هذه السلاسل خمسة وقسم ضبطه باثنتي عشرة سلسلة وبعشرين وبأربعين وبسبعين وبغير ذلك .

فهذا الحديث اي الحديث المتواتر يفيد العلم القطعي .

والاحاديث كلها مدونة مسجلة برواتها وألفاظها ودرجاتها فلا يمكن احداً أن

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ١٢٥
(٢) مصطلح الحديث للشيخ عبد الغني محمود ١٤، الباعث الحثيث ٢١

يقول حديثاً واحداً من نفسه لأن الاحاديث كلها بلا استثناء مدونة في كتب الحديث ومدوّن معها رواتها ومدوّن لفظ كل راوٍ بحيث لا يمكن التصرف بـ (حرف) واحد . ومدون معها درجة الحديث . فأي ضبط هذا؟!

وأصح كتب الحديث باجماع المسلمين هو صحيح البخاري ثم صحيح مسلم . وصحيح البخاري يشمل اربعة آلاف حديث وهو ـ كما ذكر البخاري ـ أخرجه من زهاء ستمائة الف حديث وما وضع فيه حديثاً إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين[١] .

والبخاري اكبر امام في الحديث في عصره بلا منازع أذعن له شيوخ العلم وأقروا له بالفضل وفضلوه على انفسهم في سائر الامصار وكانوا لا يقدمون عليه أحداً . قال البخاري : كتبت الحديث عن الف شيخ واكثر ، ما عندي حديث لا اذكر اسناده[٢] .

نظر في الحديث من صغره وورد على بعض الشيوخ منذ كان عمره احدى عشرة سنة[٣] . وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسونه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف اكثرهم ممن يكتب عنه[٤] .

ذكر أبو حامد احمد بن حمدون القصار قال : سمعت مسلم بن الحجاج ـ صاحب الصحيح المشهور ـ جاء الى محمد بن اسماعيل البخاري فقبل بين عينيه ـ وقال دعني أقبل حتى رجليك يا استاذ الاستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله[٥] .

عرض البخاري كتاب الصحيح على شيوخ عصره كالامام احمد بن حنبل ويحيى ابن معين وابن المديني فأقروا له بالصحة . وفحصه المسلمون فحصاً دقيقاً في عصره والعصور التي بعده ونظروا في رجاله فاجمع المسلمون على تقديمه وتوثيقه .

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٩،٨
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٠
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٦
(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥
(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٢

قال الحافظ الذهبي : «واما جامع البخاري الصحيح فأجلّ كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله تعالىٰ . فلو رحل الشخص لسماعه من الف فرسخ لما ضاعت رحلته».

وقال الامام النسائي : ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل البخاري[1] .

قال البخاري : «صنفت كتاب الصحاح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة الف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله»[2] .

ولم يذكر البخاري فيه كل ما صح عنده وانما كتب فيه أربعة آلاف حديث صحيح قال البخاري : «ما أدخلت في كتابي الجامع الصحيح إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطوال»[3] .

وكذلك الامام مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١ فقد أخذ عن البخاري وعن شيوخ عصره وطاف البلاد وألف كتابه الصحيح من ثلثمائة الف حديث مسموعة وفيه زهاء أربعة آلاف حديث . وفحصه المسلمون فحصاً دقيقاً وأقروا له بالتقدم والثقة فهذان الكتابان أصح كتب الحديث باجماع المسلمين.

قال الحافظ ابن كثير : «أول من اعتنىٰ بجمع الصحيح أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فهما أصح كتب الحديث والبخاري أرجح . . .

ثم إن البخاري ومسلماً لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الاحاديث فانهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما»[4] .

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٩
(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٤
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٩
(٤) الباعث الحثيث ٢٥

والخلاصة ان كل ما في الصحيحين صحيح وليس فيهما كل الصحيح.

ثم تأتي بعد هذين الكتابين في الصحة الصحاح الاربعة وهي : جامع الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه رحمهم الله اجمعين .

وبعد هذه المقدمة القصيرة نعود إلىٰ بحثنا .

أدلة الحديث

ان الادلة التي تثبت نبوة محمد من الحديث الصحيح كثيرة غاية الكثرة ونحن لا نريد أن نستقصي جميع الاحاديث الدالة علىٰ ذلك وانما حسبنا منها ما يقيم الدليل .

وقد التزمنا ان لا نذكر إلا حديثاً صحيحاً فمن ذلك :

١ ـ اخباره بالنصر وكثرة الفتوح وهلاك كسرى وقيصر :

جاء في (صحيح البخاري) بطرق متعددة عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر أن النبي ﴿ﷺ﴾ خرج يوماً فصلىٰ علىٰ أهل احد صلاته علىٰ الميت ثم انصرف الىٰ المنبر فقال : «اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لأنظر الى حوضي الآن واني أعطيت مفاتيح خزائن الارض أومفاتيح الأرض . واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن اخاف عليكم أن تنافسوا فيها» .

وجاء فيه ايضا عن أبي سعيد الخدري ان النبي ﴿ﷺ﴾ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : اني مما اخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . . . الحديث .

وجاء فيه نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن ذلك ما جاء فيه عن خباب بن الارتّ قال : شكونا الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال . . . الحديث وفيه .

«والله ليتمّنّ الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الىٰ حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب علىٰ غنمه ولكنكم تستعجلون» .

ومن ذلك ما جاء فيه عن عمرو بن عوف الانصاري ان رسول الله قال حديثاً وفيه « فابشروا وأمّلوا ما يسركم فوالله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم أن

تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم» .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن ثوبان قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ « إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض . . . الحديث » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي هريرة وجابر بن سمرة رضي الله عنهما عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : « هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله »

وفي (صحيح البخاري) ان المغيرة قال لعامل كسرى : وأخبرنا نبينا ﴿ﷺ﴾ عن رسالة ربنا انه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقي منا ملك رقابكم .

وفي (صحيح البخاري) بأكثر من طريق عن مُحِلّ بن خليفة عن عدي بن حاتم قال : « بينا أنا عند النبي ﴿ﷺ﴾ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل ، فقال يا عدي : هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعّار طيء الذين قد سعروا البلاد ؟ ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه . وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلىٰ . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرىٰ إلا جهنم قال عدي : سمعت النبي ﴿ﷺ﴾ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة . قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله . وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي

أبو القاسم يخرج ملء كفه ».

أقول حدث هذا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد كان عماله يطوفون على من يقبل الصدقة فلا يقبلها أحد فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري ومحمد بن يحيى بن حبان واسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الاسرّة أو مثل الملوك على الأسرّة ـ شك اسحاق ـ قالت : فقلت يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقالت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله ـ كما قال في الأول ـ قالت فقلت : يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : أنت من الأولين. فركبت في البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت . وأخرجه النسائي والبيهقي .

وجاء نحو هذا الحديث في (صحيح البخاري) عن عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : قلت يا رسول الله أنا فيهم ؟ قال أنت فيهم . ثم قال النبي ﷺ : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . فقلت أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال لا » .

فأنت ترى أن هذا المعنى قد تواتر بطرق كثيرة صحيحة عن عقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وخباب بن الارتّ وعمرو بن عوف الأنصاري وثوبان وجابر بن سمرة والمغيرة بن شعبة وعدي بن حاتم وأم حرام فأفاد العلم القطعي ودل ذلك دلالة ظاهرة على صحة نبوته ﷺ .

٧ ـ الإخبار بما يفتح المسلمون من البلاد :

أخبر الرسول ﷺ بفتح خيبر واليمن والعراق والشام وبيت المقدس ومصر والروم وفارس وغيرها من البلاد قبل فتحها وأكثر هذه البلاد فتح بعد موته (ص) فقام ذلك دليلاً على صحة نبوته ﷺ .

فمن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن حميد وعبد العزيز بن صهيب وثابت البناني ومحمد بن سيرين وقتادة كلهم عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال : وفيه : « فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي ﷺ قال : فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي ﷺ قالوا : محمد والله محمد والخميس[1] قال فلما رآهم رسول الله ﷺ قال : الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » وأخرجه البيهقي .

ونحوه ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن سهل بن سعد وسلمة بن الاكوع وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين قالوا ـ واللفظ هنا لسهل بن سعد ـ : قال النبي ﷺ يوم خيبر لاعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . فبات الناس ليلتهم أيهم يُعطى فغدوا كلهم يرجوه . فقال : أين علي ؟ فقيل يشتكي عينيه . فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه . فقال : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » وأخرجه البيهقي وابن الأثير في أسد الغابة .

فقتح الله على يديه فدل ذلك على صحة نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه انه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : تفتح اليمن فيأتي قوم يُبسّون

(١) الخميس: الجيش

فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتُفتح الشام فيأتي قوم يُبسّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . وتفتح العراق فيأتي قوم يُبسّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

ونحوه ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال قالوا وفي نجدنا . قال قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » .

وفي هذ اخبار بفتح الشام قبل أن تفتح .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عوف بن مالك قال : أتيت النبي ﷺ وهو في قبة من أدم فقال : أعدد ستاً بين يدي الساعة : « موتي ثم فتح بيت المقدس . . . الحديث »

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال : ذمة وصهراً . فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها .

قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حَسَنَة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مُدْيها ودينارها ، ومنعت مصر اردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم شهد علىٰ ذلك لحم أبي هريرة ودمه » .

وهذا إخبار بفتح هذه البلاد وما تؤول إليه . وقد وقع ما ذكره ﷺ وعاد الناس من حيث بدأوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن نافع بن عتبة قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة . . . الحديث وفيه :

قال : تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله . . . الخ » .

وهذه الاحاديث متواترة في المعنى ـ كما ترى ـ فقد رويت هذه الأحاديث في فتح البلاد عن طريق أنس بن مالك وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وسفيان بن أبي زهير وابن عمر وعوف بن مالك وأبي ذر ونافع بن عتبة بطرق صحيحة متعددة فأفادت العلم اليقيني القطعي ودلت بصورة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

٣ ـ الإخبار بوفاة النجاشي وآخرين :

اخبر النبي (ص) بوفاة النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه وإن ما بين الحبشة والمدينة مسيرة الأيام والليالي فجمع الصحابة فصفهم صفوفاً وصلى عليه وهذا إخبار بالغيب .

روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عبد الرحمن عن أبي هريرة وأخرجاه عن سعيد بن ميناء وعطاء وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله وأخرجاه عن عمران بن حصين وأخرجاه بطرق متعددة عن الشعبي عن ابن عباس ـ وهذا اللفظ لأبي هريرة ـ « أن رسول الله ﷺ نعىٰ النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، خرج إلىٰ المصلى فصفّ بهم وكبر أربعاً » .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه كان في الصف الثاني أو الثالث .

وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب والنسائي والبيهقي .

فأنت ترىٰ أن هذا الحديث روي بسلاسل متعددة كلها صحيحة ، بل هو في أصل الصحيح فدلّ علىٰ نبوته ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في البخاري بطرق كثيرة عن حميدُ بن هلال عن انس ابن مالك

رضي الله عنه قال : قال النبي (ﷺ) : « أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وان عيني رسول الله (ﷺ) لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له » . وأخرجه البيهقي وابن الأثير في أسد الغابة . وأخرج البخاري نحوه أيضاً عن عبد الله بن عمر .

وهذا الحديث قيل في معركة مؤته والرسول في المدينة . وهو من معجزاته (ﷺ) .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة (رض) قال : « بعث رسول الله (ﷺ) عشرة رهط سرية عيناً وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري [ثم ذكر الحديث أن فيهم مَن قتل وفيهم من أسر وبيع ومعهم خبيب] وفيه : فأخبر النبي (ﷺ) أصحابه خبرهم وما أصيبوا » .

فأنت ترى أن هذا المعنىٰ متواتر ورد عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وعمران ابن حصين وابن عباس وانس بن مالك وعبد الله بن عمر بأسانيد متعددة كلها صحيحة فدل على صحة نبوته (ﷺ) .

٤ ـ الإخبار بخاتمة طائفة من الناس :

أخبر الرسول بخاتمة بعض الأشخاص فقال : هو من أهل النار أو هو من أهل الجنة فختم له كما قال . ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ـ واللفظ لسهل ـ « أن رسول الله (ﷺ) التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله (ﷺ) الى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله (ﷺ) رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتّبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان . فقال رسول الله (ﷺ) : أما انه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنا صاحبه . قال فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فخرج الرجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟

قال الرجل الذي ذكرت آنفاً إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابهُ بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله (ﷺ) عند ذلك : إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة »(١) .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبي هريرة ، وفيه عن عبيد الله بن كعب عمن شهد خيبر مع النبي (ﷺ) ـ واللفظ لأبي هريرة ـ قال : « شهدنا خيبر فقال رسول الله (ﷺ) لرجل ممن معه يدعي الإسلام هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فأذّنْ إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وأخرجه الإمام أحمد في المسند والبيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان [ثم ذكر حديث ملاحاة سعد لأبي جهل] ثم جاء فيه :

قال : فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه .

فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمداً (ﷺ) يزعم أنه قاتلك . قال إياي ؟ قال : نعم

قال والله ما يكذب محمد إذا حدّث . فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال أخي اليثربي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي . قالت فوالله ما يكذب محمد . قال فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له

(١) قتل النفس حرام في الاسلام وجرم كبير ومن اسباب دخول النار

امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال فأراد ألا يخرج . فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك قال « كنا مع عمر وذكر الحديث وفيه ـ فقال ـ أي عمر ـ ان رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله قال فقال عمر : فوالذي بعثه بالحق ما اخطأوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته . وقدمها في بشر كثير من قومه . فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت . فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما ، فأوحي إليّ في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا . فأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن أبي بكرة قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وقد وقع ما ذكره رسول الله ﷺ فأصلح الله بالحسن بين فئتين مسلمتين عظيمتين وهما أهل الشام وأهل العراق .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) بأكثر من طريق عن أبي سعيد الخدري وام سلمة ـ واللفظ هنا لأبي سعيد ـ قال : « كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين ـ يعني في بناء المسجد ـ فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه

ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار . قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن » .

وقال ابن عبد البر في (الاستيعاب) : « وتواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : يقتل عماراً الفئة الباغية . وهو من أصح الأحاديث » . فقتل عمار رضي الله عنه في جيش علي وقتلته الفئة الباغية على علي وهي فئة معاوية . فكان كما أخبر رسول الله ﷺ .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن سعيد بن المسيب وأبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري . . . وساق الحديث وفيه : « فجاء إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك . فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أنس بن مالك وأبي موسى الأشعري ـ واللفظ هنا لأنس بن مالك ـ قال : ان النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : اثبت أحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان » .

وجاء نحو هذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن يزيد بن أبي عبيد وعبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك وإياس بن سلمة بن الأكوع كلهم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم . . . الحديث

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق ؟ قالوا عامر بن الأكوع . قال : يرحمه الله

ثم يسوق الحديث وفيه أن عامراً مات مساء فتح خيبر » . وأخرجه البيهقي والطيالسي وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن عروة ومسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دعا النبي ﴿ﷺ﴾ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه فسارّها بشيء فبكت ثم دعاها فسارّها فضحكت . قالت فسألتها عن ذلك فقالت : سارّني النبي ﴿ﷺ﴾ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارّني فأخبرني أني أول أهل بيته اتبعه فضحكت » .

وكان كما قال ﴿ﷺ﴾ انها أول أهل بيته لحوقاً به .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

وهذا المعنىٰ متواتر فقد جاء بأسانيد كثيرة كلها صحيحة عن أبي هريرة وسهل الساعدي وابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وأبي بكرة وأبي سعيد الخدري وأم سلمة وأبي موسى الأشعري وسلمة بن الأكوع وعائشة وبطرق متعددة فدل هذا علىٰ صحة نبوة محمد .

٥ ـ الإخبار عن الفرقة المارقة :

كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ كثيراً ما يخبر أصحابه عما يحدث فيهم ولهم وكان الصحابة يسألونه أحياناً فيجيب ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) ـ في هذا الباب ـ عن أبي موسى وأنس بن مالك «أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ خرج حين زاغت الشمس فصلىٰ الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظاماً ثم قال : من احب ان يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول : سلوني . فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال : من أبي ؟ قال أبوك حذافة . ثم أكثر أن يقول : سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً . . . الحديث » .

ومن ذلك ما أخبره بخروج المبير والكذاب في ثقيف . جاء في (صحيح مسلم) « أن أسماء بنت أبي بكر قالت للحجاج : أما ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ حدثنا ان في ثقيف كذاباً ومبيراً[1] . فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه » .

(١) المبير: السفّاك، المبيد، المهلك

ومن عظيم الأخبار ما اخبر به عن خروج الفرقة المارقة وانهم تقتلهم اولى الطائفتين بالحق فقتلهم علي كرم الله وجهه .

جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر ،واللفظ هنا لابي سعيد رضي الله عنه ـ وفيه : «فاقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبين كثّ اللحية محلوق فقال : اتق الله يا محمد . فقال : من يطع الله اذا عصيت ، أيأمنني الله على اهل الارض فلا تأمنوني ؟ فسأله رجل قتله احسبه خالد بن الوليد فمنعه ، فلما ولى قال : ان من ضئضىء هذا أو في عقب هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أنا أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد » .

وأخرج البخاري ومسلم ايضاً عن ابي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك الهمداني وابو نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «بينا نحن عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل . فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فاضرب عنقه . فقال دعه فإن له أصحاباً يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . الى أن يقول : آيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أومثل البضعة تَدَرْدر و يخرجون على حين فرقة من الناس .

قال أبو سعيد فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﴿ﷺ﴾ واشهد ان علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه . فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأتي به حتىٰ نظرت إليه على نعت النبي ﴿ﷺ﴾ الذي نعته » .

وجاء في (صحيح مسلم) «حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان حدثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا الى الخوارج فقال علي رضي الله عنه : ايها الناس اني سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : يخرج قوم من امتي

يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم (ﷺ) لا تكلوا عن العمل .

وآية ذلك ان فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض ؛ فتذهبون الى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم واموالكم والله اني لارجو أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس . فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم : القوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فاني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء . فرجعوا فوحّشوا برماحهم وسلّوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم . قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان . فقال علي رضي الله عنه التمسوا فيهم المخدج . فالتمسوه فلم يجدوه . فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى اناساً قد قتل بعضهم على بعض قال : اخروهم فوجدوه مما يلي الارض فكبّر ثم قال : صدق الله وبلّغ رسوله .

قال فقام اليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) ؟

فقال: «اي والله الذي لا إله إلا هو ، حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له .» وفيه هذا عن عبيدة عن علي وعن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله . وهو آية عظيمة من آيات الله تعالى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «وفي رواية في الصحيحين : تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما افترق المسلمون . وكانت الفئة بين عسكر علي وعسكر معاوية وقتلهم علي بن ابي طالب

وهم أدنى الطائفتين الى الحق . والطائفة الاخرى قتلوا عمار بن ياسر وهي الطائفة الباغية .

وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم وطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه حتى قام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولاً فسجد شكراً لله »(1) .

٦ ـ الإخبار بهبوب الريح الشديدة :

جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أبي حميد الساعدي قال : «غزونا مع النبي (ﷺ) غزوة تبوك . . . الحديث وفيه ، فلما أتينا تبوك قال : اما انها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن احد ومن كان معه بعير فليعقله ، فعقلناها وهبت ريح شديدة فقام رجل فألقته بجبل طيء . . . الحديث » .

٧ ـ زيادة الماء :

تواترت الاخبار الصحيحة بزيادة الماء ببركة رسول الله (ﷺ) فمن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم وسنن البيهقي) واللفظ للبخاري قال : «حدثنا مسدد قال حدثني يحيى بن سعيد قال حدثنا عوف قال حدثنا أبو رجاء عن عمران قال : كنا في سفر مع النبي (ﷺ) . . . الى أن قال : ثم سار النبي (ﷺ) فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبو رجاء نسيه عوف ودعا علياً فقال : اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها . فقالا لها اين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء امس هذه الساعة ونفرنا خلوفا . قالا لها : انطلقي اذن . قالت : الى اين ؟ قالا : الى رسول الله (ﷺ) . قالت : الذي يقال له الصابىء ؟ قالا : هو الذي تعنين فانطلقي فجاءا بها الى النبي (ﷺ) وحدثاه الحديث قال فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي (ﷺ) باناء ففرّغ فيه من أفواه المزادتين أو سطيحتين وأوكأ أفواههما واطلق العزالى ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من شاء واستقى من شاء وكان آخر ذاك أن اعطى الذي أصابته الجنابة اناء من ماء قال : اذهب فافرغه عليك وهي قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع

(1) الجواب الصحيح ٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤

عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملأة منها حين ابتدأ فيها .

فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها .

قال لها : تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي أسقانا . فاتت اهلها وقد احتبست عنهم قالوا ما حبسك يا فلانة؟ قالت العجب لقيني رجلان فذهبا الى هذا الذي يقال له الصابىء ، ففعل كذا وكذا فوالله انه لأسحر من بين هذه وهذه وقالت باصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السماء تعني السماء والارض او انه لرسول الله حقاً . . . الحديث »

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن أنس بن مالك انه قال : «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضأوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن ثابت عن انس وفيه : «فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : «اتي النبي ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة لانس كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الحسن وحميد عن انس قال : «حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى اهله وبقي قوم فأتي رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم . قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة» واخرجه ابن سعد في الطبقات باسانيد عديدة عن أنس .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري)عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

«كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك وذكر قريباً من هذه الحادثة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : «عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة الف لكفانا . كنا خمس عشرة مائة » .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث وفيه :

«وقال - اي رسول الله ﷺ - : خذ يا جابر فصبّ عليّ وقل : باسم الله فصببت عليه وقلت : باسم الله فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال : يا جابر نادِ من كان له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا . قال فقلت : هل بقي احد له حاجة ؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى.» واخرجه البيهقي والنسائي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن علقمة عن عبد الله قال : «كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفاً . كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ثم قال : حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل » .

فانت ترى ان هذا المعنى متواتر مروي بسلاسل متعددة كلها صحيحة عن عمران

وأنس والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وجابر بن عبدالله وعبدالله بأسانيد متعددة فدل ذلك على صدق نبوته ﷺ .

٨ ـ تكثير الطعام :

لقد تواتر تكثيره ﷺ الطعام كما تواتر ذلك في الماء .

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن الشعبي وكعب بن مالك ووهب ابن كيسان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : «توفي عبدالله بن عمرو بن حرام وعليه دين فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي إليهم فلم يفعلوا . فقال لي النبي ﷺ : اذهب فصنف تمرك أصنافاً : العجوة على حدة وعذق زيد على حدة ثم أرسل إليّ ففعلت ثم أرسلت الى النبي ﷺ فجلس على أعلاه أو في وسطه ثم قال : كل ، للقوم فكلتهم حتىٰ أوفيتهم الذي لهم وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء» .

وفي رواية للبخاري قال جابر : «فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء» .

وفي رواية للبخاري أيضاً قال جابر : «فأتيت النبي ﷺ فقلت : ان أبي ترك عليه ديناً وليس عندي الا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه .» وساق الحديث . اخرجه النسائي وابن سعد في الطبقات .

ومن ذلك ماجاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما ـ واللفظ لسلمة ـ قال : «خفّت أزواد القوم وأملقوا فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم فأذن لهم . فلقيهم عمر فأخبروه فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فدخل على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما بقاؤهم بعد ابلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم فبسط لذلك نطع وجعلوه على النطع فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرّك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا . ثم قال رسول الله ﷺ ، اشهد ان لا إله إلا الله واني رسول الله» .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ هل مع أحد منكم طعام ؟ فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعانّ طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ : بيعاً أم عطية أو قال : ام هبة ؟

قال : لا بل بيع . فاشترى منه شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى . وايم الله ما في الثلاثين والمائة إلا قد حز النبي ﷺ له حزة من سواد بطنها ان كان شاهداً أعطاها إياه وإن كان غائباً خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال» ، رواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وسعد بن سعيد وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وعن أبي يحيى وعبدالله بن عبدالله وعمرو بن عبدالله كلهم عن انس بن مالك قال : «قال أبو طلحة لأم سُليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم أرسلتني الى رسول الله ﷺ قال فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتىٰ جئت أبا طلحة فاخبرته . فقال أبو طلحة : يا ام سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتىٰ لقي رسول الله ﷺ فاقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ هلمي يا ام سليم ما عندك . فاتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففُتّ وعصرت ام سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء الله ان يقول ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتىٰ شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتىٰ شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً» .

وهذا الحديث متواتر عن أنس فقد ورد من ستة طرق صحيحة : ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن سعيد بن ميناء وعن أيمن عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ﴿ﷺ﴾ خَمَصاً شديداً فانكفأت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء فاني رأيت برسول الله ﴿ﷺ﴾ خَمَصاً شديداً فأخرجت اليّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بُهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت الى فراغي وقطّعتها في برمتها ثم ولّيت الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﴿ﷺ﴾ وبمن معه فجئته فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحنا بُهيمة لنا وطحنّا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال انت ونفرٌ معك فصاح النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سُوراً فحيّ هلاً بكم فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لا تنزلُنّ برمتكم ولا تخبزُنّ عجينكم حتى اجيء فجئت وجاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقدم الناس حتىٰ جئت امرأتي فقالت : بك وبك . فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألفٌ فاقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو . » ورواه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن الجعد عن أنس بن مالك قال : «مر بنا في مسجد بني رفاعه فسمعته يقول كان النبي ﴿ﷺ﴾ اذا مر بجنبات أم سليم دخل عليها فسلم عليها ثم قال : كان النبي ﴿ﷺ﴾ عروساً بزينب فقالت لي أم سليم لو أهدينا لرسول الله ﴿ﷺ﴾ هدية فقلت لها افعلي ؛ فعمدتْ الى تمر وسمن واقط فاتخذت حيسة في برمة فارسلت بها معي إليه فانطلقت بها اليه فقال لي ضعها ثم امرني فقال ادعُ لي رجالاً سماهم وادع لي من لقيت قال ففعلت الذي امرني فرجعت فإذا البيت غاصٌ بأهله فرأيت النبي ﴿ﷺ﴾ وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال حتى تصدعوا كلهم عنها . . . الحديث . » ورواه النسائي .

فقد ثبت هذا بطريق التواتر ودل ذلك على نبوته ﴿ﷺ﴾ .

٩ ـ الدعوة المستجابة :

وهي دعوات كثيرة استجابها الله تعالى لنبيه فمن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن اسحاق بن عبدالله بن ابي طلحة وشريك بن عبدالله بن ابي نمر وثابت وقتادة ويحيىٰ بن سعيد وعبيدالله بن أنس كلهم عن أنس بن مالك قال : «أصابت الناس سنة على عهد النبي ﴿ﷺ﴾ فبينا النبي ﴿ﷺ﴾ يخطب في يوم جمعة قام اعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادعُ الله لنا . فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتىٰ ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر على لحيته ﴿ﷺ﴾ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتىٰ الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي أو قال غيره فقال : يا رسول الله تهدّم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوْبه وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء احد من ناحية الا حدّث بالجود . » واخرجه النسائي والبيهقي .

وهذا وارد بطريق متواتر عن أنس كما ترى .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عباد بن تميم عن عمه وكان صحابياً ان النبي ﴿ﷺ﴾ خرج بالناس يستسقي لهم فقام فدعا الله قائماً ثم توجه قِبل القبلة . وحول رداءه فاسقوا .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن مسروق في استشفاع قريش بالرسول قال : «فدعا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعاً وشكا الناس كثرة المطر قال : اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم » .

ومن ذلك ما جاء فيه عن سالم عن أبيه : «ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الىٰ وجه النبي ﴿ﷺ﴾ يستسقي فما ينزل حتىٰ يجيش كل ميزاب يعني قوله :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل»

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله بن مسعود حدثه (حين وضع سلى الجزور على ظهر الرسول ﷺ وهو ساجد) : «فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم إذ دعا عليهم وكانوا يرون ان الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمّى اللهم عليك بابي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي مُعيط وعد السابع فلم يحفظه . قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر ».

وفي حديث احمد بن اسحاق السورماري هذا ذكر السابع وهو عمارة بن الوليد .
ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) بطرق متعددة عن مسروق قال : «كنا عند عبدالله [ابن مسعود] فقال : ان النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال : اللهم سبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصّت كل شيء حتىٰ أكلوا الجلود والميتة والجيف وينظر أحدهم الى السماء فيرى الدخان من الجوع فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد انك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم .

قال تعالى : «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » الى قوله « يوم نبطش البطشة الكبرى فالبطشة يوم بدر . وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم.»

ومن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول : « دعا رسول الله ﷺ يوم الاحزاب على المشركين فقال : اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اللهم اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم ».

فكان كما دعا .

ومن ذلك دعاؤه لثعلبة الذي قال الله فيه : «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الىٰ يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا

يكذبون . » (التوبة ٧٥ ـ ٧٧) :

قال ابن كثير : «عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري انه قال لرسول الله ﷺ . ادع الله أن يرزقني مالا ، قال فقال رسول الله ﷺ : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . » قال ثم قال مرة أخرى . فقال : اما ترضى ان تكون مثل نبي الله ؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت .

قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لاعطين كل ذي حق حقه . فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا . قال فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحىٰ عنها فنزل وادياً من أوديتها حتىٰ جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما . ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتىٰ ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الاخبار . فقال رسول الله ﷺ : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بامره فقال : يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ، وانزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما :

مرّا بثعلبة وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ فخذا صدقاتهما.

فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه إلا جزية . ما هذه إلا اخت الجزية ما ادري ما هذا ؟ انطلقا حتىٰ تفرغا ثم عودا الي . فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك . فقال بلى فخذوها فان نفسي بذلك طيبة وانما هي له .

فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال : أروني كتابكما فقرأه فقال : ما هذه الا جزية ما هذه إلا اخت الجزية انطلقا حتىٰ أرى رأيي

فانطلقا حتىٰ أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ، قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي .

فانزل الله عز وجل : «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ... الآية الى آخر الحديث . . .

وقوله تعالى (بما اخلفوا الله ما وعدوه) . . الآية أي اعقبهم النفاق في قلوبهم ... اخلافهم الوعد »[1] .

اخرجها ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الامثال والطبراني وابن منده والباوردي وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن ابي امامة الباهلي .

ولا يهمنا ان تكون هذه الآيات نزلت في ثعلبة هذا أو غيره ولكن ينبغي ان نعلم ان حادثة كهذه وقعت كما اخبر القرآن .

ومن ذلك ما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن البراء بن عازب ... ابن مالك وعبيدالله بن عتبة عن أبي بكر وفيه [حديث الهجرة] :

«واتبعنا سراقة بن مالك فقلت : أُتينا يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا ... عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه الى بطنها أرى في جلد من الارض ... فقال : اني أراكما قد دعوتما عليّ فادعو الي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب ... النبي ﷺ فنجا فجعل لا يلقىٰ احداً إلا قال كفيتكم ما ههنا فلا يلقى احداً ... رده» .

وجاء في البخاري نحوه عن سراقة بن جعشم .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أياس بن سلمة بن الاكوع ... حدثه «ان رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك .

قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ما منعه إلا الكبر .

قال فما رفعها الىٰ فيه .» وهي أحاديث كما نرى متواترة في المعنى .

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٧٣، الطبري ١٠/ ١٨٩، الرازي ١٦/ ١٣٨، القرطبي ٨/ ٢٠٩ ... ٢/ ٣٦٧، اسد الغابة ١/ ٢٣٧

١٠ ـ حنين الجذع :

جاء في (صحيح البخاري) عن أيمن وعبيد الله بن أنس بن مالك عن جابر بن عبدالله وباسانيد متعددة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «ان امرأة من الانصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فان لي غلاماً نجاراً ؟ قال : إن شئت . قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتىٰ كادت أن تنشق فنزل النبي ﷺ حتىٰ أخذها فضمها إليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكّت حتىٰ استقرت . قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر . » واخرجه النسائي والبيهقي والامام احمد وابن الاثير في اسد الغابة .

١١ ـ معجزات مختلفة :

فمن ذلك ما جاء في (صحيح البخاري) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : «قلت يا رسول الله اني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه . قال ابسط رداءك فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال ضمّه ، فضممته فما نسيت حديثاً بعد . »

ومنه ما جاء في (صحيح البخاري) عن البراء قال بعث رسول الله ﷺ الى ابي رافع اليهودي رجالاً من الانصار فأمّر عليهم عبدالله بن عتيك . . . (وساق الحديث) وفيه :

«فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة . . . فانتهيت الى النبي ﷺ فحدثته فقال : ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط » . وأخرجه البيهقي .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن عبدالله وعبيد الله ابني كعب بن مالك عن أبيهما وساق الحديث وفيه :

«فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيِّضاً يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الانصاري» . واخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة وابن حجر في الاصابة .

فانت ترى ان هذه المعجزات من الكثرة بحيث تقطع القول في صدق نبوته (ﷺ) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « وهذه الاخبار [المعجزات] منها ما هو في القرآن ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف فما من طبقة من طبقات الامة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها ينقلها اكثر ممن ينقل كثيراً من القرآن وقد نقلها وسمعها من الامة اكثر ممن سمع ونقل كثيراً من آيات القرآن واكثر ممن سمع ونقل انه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو وممن سمع ونقل نصب الزكاة وفرائضها . . . وذلك ان آيات الرسول كان كثير منها يكون بمشهد من الخلق عظيم فيشهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم الف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه . . . وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت وملأ منها جميع العسكر . . . وكما شاهد أهل خيبر وهم ألف وخمسمائة الطعام الذي كان كربضة الشاة فأشبع الجيش كلهم . . . وكما شاهد أهل الخندق وهم اكثر من الف كثرة الطعام في بيت جابر بعد ان كان صاعاً من شعير وعناقاً فأكلوا كلهم من الجوع حتى شبعوا وفضلت فضلة »[1] . . .

ثم قال : « والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة في الاحاديث اعظم من امور كثيرة هي متواترة عند الامة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث وهذا من الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن »[2] .

١٢ ـ ظهور النار في أرض الحجاز :

وهذه آية عظيمة من آيات النبوة ودلالة قاطعة على نبوة محمد (ﷺ) . جاء في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) انه قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى . »

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٢٤٩

وقد ظهرت هذه النار في أرض الحجاز سنة ٦٥٤ هـ بالحرة قرب المدينة المنورة وقد ذكرها المؤرخون المعاصرون لها في كتبهم كأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) وذكرها ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ وذكرها القطب القسطلاني وهو من المعاصرين لها وذكرها القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ في كتابه (التذكرة) وذكرها ابن تيمية وقد ولد بعدها ببضع سنين (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) وذكرها اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ في ذيل مرآة الزمان وذكرها ابن كثير وغيرهم من المؤرخين .

قال ابو شامة المعاصر لخروج هذه النار في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) في حوادث سنة ٦٥٤ هـ « وجاء الى دمشق كتب من المدينة على ساكنها السلام بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة وكتبت الكتب في خامس رجب والنار بحالها ووصلت الكتب الينا في عاشر شعبان . . . بسم الله الرحمن الرحيم ورد الى مدينة دمشق حرسها الله تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله (ﷺ) فيها شرح أمر عظيم حدث بها ، فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله (ﷺ) : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى » . فاخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها بالمدينة بلغه انه كتب بتيماء على ضوئها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي وكأن في دار كل واحد منا سراجاً ولم يكن لها ضوء بقدر عظمها وانما كانت آية من آيات الله تعالى وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها . . . (في احد الكتب)

. . . ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة نبصرها من دورنا بداخل المدينة كأنها عندنا وهي نار عظيمة أشعلها اكثر من ثلاث منائر وقد سالت أودية منها بالنار الى وادي شظا سيل الماء . وقد سدت سبيل شظا وما عاد بسبيل ، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال ، تسير نيراناً وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي . . .

وفي كتاب آخر : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الارض وسال

منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ثم وقفت وعادت الى الساعة ولا ندري ماذا تفعل . ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة الى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين الى ربهم وهذه دلائل القيامة .

وفي كتاب آخر . . . وقد حصل بطريق هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب الى الله بالطاعات وخرج امير المدينة عن مظالم كثيرة الى أهلها .

ومن كتاب شمس الدين بن عبد الوهاب بن تميلة الحسيني قاضي المدينة الى بعض اصحابه . . . ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وما بانت لنا إلا ليلة السبت واشفقنا منها وخفنا خوفاً عظيماً وطلعت الى الامير وكلمته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ارجع الى الله فاعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم فلما فعل هذا قلت له : اهبط الساعة معنا الى النبي ﷺ فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ولا بقي احد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ واشفقنا منها وظهر ضوؤها الى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها . . . وبالله يا أخي ان عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب . وتمت النار تسير الى ان سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج وجاء في الوادي منها الينا شيء وخفنا انها تجيئنا واجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وباتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة . وأما قتيرها الذي مما يلينا فقد طفيء بقدرة الله سبحانه وتعالى وانها الى الساعة ما نقصت الا ترمي مثل الجبال حجارة من نار ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الاهوال .

وفي كتاب آخر . . . وأيقن الناس بالهلاك منها أو العذاب وبات الناس تلك الليلة بين مصل وتالٍ للقرآن وراكع وساجد وداع الى الله ومتنصل من ذنبه ومستغفر وتائب . . . (وقد نظمت فيها أبيات وقصائد ذكر منها أبو شامة) »[1] .

وقال ابن الساعي (٥٩٣هـ-٦٧٤هـ) في تاريخ سنة أربع وخمسين وستمائة : «في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحبة قاصد يعرف بقيماز العلوي

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٠ وما بعدها .

الحسني المدني فناوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن ان مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى ارتج القبر الشريف النبوي وسمع صرير الحديد وتحركت السلاسل وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة وكانت ترمي بزبد كأنها رؤوس الجبال . . .

وقال ابن الساعي وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يقول : ان هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة »[1] .

وقال القرطبي في كتابه التذكرة : «وذكر لي بعض اصحابي أنه رأى تلك النار صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة أيام من المدينة المشرفة وذلك من اعلام النبوة» .

وقال : « وسمعت انها رئيت من مكة ومن جبال بصرى» [2] .

وقال ابن تيمية : «ورأى أهل بصرى اعناق الجمال من ضوء تلك النار» [3] .

وقال ابن كثير: «وقد اخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن ابي القاسم التميمي الحنفي الحاكم بدمشق في بعض الايام في المذاكرة وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الاعراب يخبر والدي ببصرى في تلك الليالي انهم رأوا اعناق الابل في ضوء هذه النار التي ظهرت في الحجاز»[4] .

فانت ترى ان هذه دلالة عظيمة على نبوة محمد ﷺ فقد خرجت هذه النار بعد وفاة البخاري ومسلم بأربعمائة سنة فأي دلالة هذه؟!

١٠- مقاتلة الترك :

جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) متواتراً عن أبي هريرة وجاء فيهما أيضاً عن

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٩٢
(٢) مختصر التذكرة للقرطبي ١٢٣، وانظر كتاب وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى للسمهودي ١/ ١٠٠
(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية، ٢/ ٨١، ٤/ ١٣٦
(٤) البداية والنهاية ١٣/ ١٩١. وانظر ذيل مرآة الزمان ج ١/ ٤ - ١٠

عمرو بن تغلب ـ واللفظ ههنا لابي هريرة ـ قال : «قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المُطرقة ولا تقوم الساعة حتىٰ تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر» وأخرجه النسائي .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «قلت : وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما اخبر ﷺ وأمر هذه الطوائف معروف . فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور وحديثه في اكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين . قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة»[1] .

وقال : «فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكيز خان ملكهم الاكبر وأولاده وأولاد أولاده مثل هلاكو وغيره من الترك الكفار الذين قاتلهم المسلمون لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة» [2] .

وقال النووي : «هذه الاحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ وقاتلهم المسلمون مرات» [3]

ومما اخبر به ﷺ وشاهدناه في عصرنا هذا ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» .

فهذان الصنفان لم يكونا في عهد رسول الله ولكنا شاهدناهما في عصرنا هذا [illegible] شاهدنا الذين بايديهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس وشاهدنا النساء الكاسيات العاريات اللاتي رؤوسهن كأسنمة البخت وهو ما يسمىٰ بـ (التسريحة) التي تشبه سنام الجمل وهو ما لم يكن في عصر مسلم . وهذا الحديث تحقق بشطريه

(1) الجواب الصحيح ٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦

(2) الجواب الصحيح ٢/ ٨١

(3) انظر الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لمحمد صديق حسن خان ٨٢

وقد اكثر من الف عام من موت مسلم الذي رواه في صحيحه . وهو آية من آيات النبوة .

ومن ذلك ما جاء في (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : «بادروا بالاعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا» .

ومن ذلك ما رواه ابو داود والبيهقي في الدلائل عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : «توشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها ، فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : الوهن حب الدنيا وكراهة الموت» .

وهذا أيضاً مما شاهدنا في عصرنا الحالي فإن المسلمين ذوو عدد كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل نزع الله من قلوب اعدائهم المهابة منهم وقذف في قلوبهم الوهن . وقد [illegible] هذا الحديث في يوم عز الاسلام والمسلمين .

وهل دليل أوضح من هذا علىٰ نبوته ﷺ ؟

ولا نزال ننتظر فتناً وأموراً تقع بين يدي الساعة أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ كمحاربة اليهود حتىٰ يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله كما جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) وكهدم الكعبة وظهور الدجال وغيرها من الآيات .

فهذه الاحاديث التي ذكرناها تدل دلالة قاطعة على صحة نبوة محمد ﷺ . وهي منقولة نقلاً صحيحاً بل في أعلى درجات الصحة واكثرها ـ كما رأيت ـ مروي بالاصل متعددة كلها صحيحة . فثبت ما قلنا والحمد لله .

موافقات!!

نحب قبل أن ننتقل الى البحث التالي أن نذكر طرفاً من الموافقات التي كانت بجانب الرسول واجتماعها في خدمته .

١ ـ في وقعة بدر أرسل الله المطر كما اخبر القرآن ليثبت به اقدام المؤمنين . وكان انزاله على حالة كانت نعمة للمؤمنين نقمة على جيش قريش قال تعالى :

«اذ يغشّيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام»

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما انعم عليهم من إلقائه النعاس عليهم أماناً امنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وكذلك فعل تعالى بهم يوم احد كما قال تعالى : «ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهَمّتهُمْ انفسهم» الآية . . قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم احد ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وآخذه ويسقط وآخذه ولقد نظرت اليهم يميدون وهم تحت الجحف. . . عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله (ﷺ) يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح . . .

عن عروة بن الزبير قال: «بعث الله السماء وكان الوادي دهساً فأصاب رسول الله (ﷺ) واصحابه ما لبد لهم الارض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشاً ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه»(١)

فلماذا كان الجو مع محمد في المعركة ؟ أهو من قبيل الموافقات أم هو تدبير رباني ؟!

٢ ـ في وقعة الاحزاب أرسل الله ريحاً قوية على الاحزاب المجتمعة لمحاربة

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢

الرسول زلزلتهم حتى اضطروا الى الرحيل وهم خائبون قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً»

قال ابن كثير : «ثم أرسل الله عز وجل على الاحزاب ريحاً شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين»(١)

وجاء في (تثبيت دلائل النبوة) : «فلو كانت هذه الريح وغيرها من الامور التي جرت العادة مثلها لما امتن الله به ولا احتج والعدو والولي يسمعه» .(٢)

فلماذا كان الجو هنا في خدمة محمد ايضاً كما كان في بدر ؟ افهذا من قبيل الموافقات ايضاً أم هو تدبير رباني ؟ .

٣ ـ رمى محمد في وقعة بدر قبضة من حصباء الوادي في وجوه المشركين فاصابت كل واحد منهم ودخلت في عينيه . قال تعالى «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» .

جاء في (أسباب نزول القرآن) للواحدي : «واكثر اهل التفسير على ان الآية نزلت في رمي النبي عليه السلام القبضة من حصباء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين : شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة فلم تبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء»(٣)

وجاء في (فتح القدير) : والصحيح كما قال ابن اسحاق وغيره ان المراد بالرمي المذكور في هذه الآية ما كان منه (ﷺ) في يوم بدر فانه اخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فأصابت كل واحد منهم ودخلت في عينيه ومنخريه وانفه .

وقيل : «المعنى ان تلك القبضة من التراب التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها ما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم» .(٤)

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٠
(٢) تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٤٥١
(٣) اسباب النزول القرآن ٢٣٠
(٤) فتح القدير ٢/ ٢٨١، وانظر تفسير القرطبي ٧/ ٣٨٤، ابن كثير ٢/ ٢٩٥

وعلى أي حال فهي رمية خاصة بلغت مبلغاً خارقاً ولولا ذاك ما ذكرها القرآن .

فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟ .

٤ ـ عند خروج محمد مهاجراً كانت مجموعة من فتيان قريش يتربصون به ليقتلوه فخرج من بينهم ولم يروه. ثم اختفى في غار وصل إليه القافة ووقفوا عليه وقفة لو نظر احدهم اسفل قدميه لرآه وكان أبو بكر مضطرباً فقال له رسول الله : لا تحزن ان الله معنا . قال تعالى : «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها» .

فما الذي صرفهم عن النظر في الغار وقد وصلوا اليه ؟ ولماذا لم يدركهم الطلب ؟

فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٥ ـ عند البعثة المحمدية كثر الرمي بالشهب ـ كما ذكرنا ـ كثرة هائلة امتلأت بها السماء وادعى محمد ان هذا بسبب الرسالة التي جاء بها لئلا يتسمع الجن قال تعالى على لسان الجن : «وانا كنا نقعُد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» .

فلماذا كانت الشهب في خدمة محمد ، أفهذا من قبيل الموافقات ؟

٦ ـ ذكرنا ان محمداً تحدى اليهود في تمني الموت وقال إنهم لن يتمنوه فما تمناه احد منهم .

لماذا لم يتمنه احد منهم ؟ لماذا لم يتقدم واحد منهم متحدياً محمداً كما تحداهم ؟

أفهذا أيضاً من قبيل الموافقات ؟

٧ ـ ذكرنا أن قسماً من نصارى نجران جاؤوا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فدعاهم الى المباهلة وهي الدعاء على الكاذب فوافقوا ثم احجموا وامتنعوا وأدوا الخراج كما ذكر القرآن .

فلماذا احجموا واستسهلوا الخراج على انفسهم يدفعونه كل عام أهم يرون انه نبي أم يرون انه كاذب ؟ أم هو من قبيل الموافقات العجيبة التي تكون دائماً في خدمة محمد ؟

٨ ـ في معركة حنين اعجبت المسلمين كثرتهم ثم انهزموا وثبت الرسول ونادى في اصحابه فجمعهم ثم انتصر المسلمون . قال تعالى : «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها» .

أفهذا ايضاً من قبيل الموافقات ؟

٩ ـ قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» .

قال القرطبي : . . وهذا من اعجاز القرآن والنبي ﴿ﷺ﴾ إذ اخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيباً فكان على ما اخبر بعد مدة وأهل الردة كانوا بعد موته ﴿ﷺ﴾»[1] .

وقال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام ابي بكر[2]

وهذا أمر عجيب اذ كيف يخبر عن الارتداد قبل حصوله ؟ أفهذا من وحي السماء ام من قبيل الموافقات الغريبة ؟ !

١٠ ـ وردت تعبيرات قرآنية في غاية الدقة مثل تسمية (العزيز) في قصة يوسف وهو أدق ترجمة للاسم المصري القديم . قال الاستاذ مالك بن نبي : «ولقد تعرضت الثروة اللفظية التي جاء بها القرآن في جميع تفاصيلها تمثل هذا التكييف الرائع كما حدث لذلك الاسم الخاص «Putiphare» وهو اسم الشخصية الكتابية التي اطلقت عليها رواية القرآن لقب «العزيز» في قصة يوسف. ولنا ان نتساءل عما إذا كانت هناك صلة في المعنى بين الاسم الاسرائيلي واللقب القرآني . فالتفسير العبري يبدو أنه يقصد بكلمة Putiphare اشتقاقاً مصرياً يبدأ من الاصل Puti' Favori «عزيز». والاصل Phave مستشار أو ناصح .

ونقلاً عن بحث القسيس فيجور و Vigoureux نعرف ان هذه الكلمة مصرية

(١) تفسير القرطبي ٦/ ٢١٩

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٧٠

مركبة معناها «عزيز الاله شمس».

وعلى أي من الرأيين نرى ان التكييف الاشتقاقي القرآني قد حذف اللفظ المكمل - الاضافي أو **الوصفي** - ليتمثله في صورة أكثر تطابقاً مع روح التوحيد الاسلامية فإذا به يكتفي بلفظ «العزيز»[1].

فهل هذا أيضاً من قبيل الموافقات؟!

ولا نريد أن نستطرد في ذكر الموافقات فهي في غاية الكثرة ولكننا أردنا ان نضع طرفاً منها أمام اي مرتاب لعلها تدعوه الى التأمل والخروج بنتيجة تطمئن اليها نفسه في ان هذا الرجل لا يمكن أن يكون مدعياً ولا كاذباً وإنما هو نبي مؤيد منصور.

---

(1) الظاهرة القرآنية ١٨٠

جَولة في الكتب القديمة

أعلن محمد في القرآن أن اسمه وصفته مكتوبان عند أهل الكتاب بحيث يعرفه علماؤهم معرفة تامة كاملة كمعرفتهم أبناءهم . وهذا التشبيه يقتضي أن يكون هو موضحاً توضيحاً كاملاً لا شبهة فيه ولذا قال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » (البقرة١٤٦ ، ١٤٧).

وتكرر هذا القول في مكان آخر من القرآن الكريم . قال في (سورة الأنعام ٢٠) « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » .

وقال في (سورة الأعراف ١٥٧) : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

وكان يقول إن أهل الكتاب يعلمون أن هذا الدين وهذا الكتاب حق وإنه مدون في زُبُرهم قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين . أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١٩٢ - ١٩٧) ، وقال : «وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » (العنكبوت ٤٧) .

وقال : «والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » (الأنعام ١١٤)«وقال : «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق» .

وأعلن أن عيسى ذكر اسمه صراحة فقال : «وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (الصف ٦) .

تدوم إلى قيام الساعة) [1] .

وجاء في (دلائل النبوة) لأبي نعيم : (عن صفية بنت حيي إنها قالت كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي ابو ياسر بن اخطب مغلسين ، قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت اليّ واحد منهما مع ما بهما من الهمّ قالت فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو؟ قال : نعم والله . قال اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت أبداً » [2] .

وقد آمن به وصدقه كثير من علماء أهل الكتاب وأحبارهم ورهبانهم وأثبتوا صدقه وأيدوا قوله كعبدالله بن سلام وعدي بن حاتم والنجاشي وغيرهم .

قال ابن اسحاق : « وقدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وقبالتهم رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة . فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتبهم من امره » [3] .

وأخبر القرآن بأن من أهل الكتاب من آمن به تصديقاً لما جاء في كتبهم قال تعالى : (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (الاحقاف ١٠) .

وقال : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا

(١) الاجوبة الفاخرة ٢٣٥
(٢) دلائل النبوة ١/ ١٧ وانظر هداية الحيارى ٢٩٧ - ٢٩٨
(٣) هداية الحيارى ٣١٠

آمنا به إنه الحق من ربنا إنّا كنا من قبله مسلمين » (القصص ٥٢ ، ٥٣) .

ومن الثابت تاريخياً أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون به على أعدائهم أي يستنصرون به وقد ذكر القرآن عنهم ذلك . قال تعالى : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (البقرة ٨٩) .

والاستفتاح الاستنصار أي كانوا من قبل يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي يجدون صفته عندهم في التوراة) [1] .

وقال ابن كثير : (اي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين اذا قاتلوهم) [2] .

وقال ابن عباس : « كانوا يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء وقالت : اللهم إنّا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان . فلما بعث النبي ﷺ كفروا به » [3] .

وكان هذا سبباً من أسباب إيمان الأنصار قال ابن اسحاق « وكان مما صنع الله لهم (الأنصار) به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم في بلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » .

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم

(١) فتح القدير ١/ ٩٥ وانظر تفسير الطبري ١/ ٤١٠ - ٤١١، تفسير الرازي ٣/ ١٨٠
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٢٤
(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٥-٢٦، وانظر هداية الحيارى ٢٩٥ - ٢٩٦

إليه)[1] .

فهذا أمر ثابت تاريخياً ذكره القرآن ولو لم يكن ذلك ما كان لذكره معنى ولأنكره أهل الكتاب وكذبوه .

فأهل الكتاب كانوا ينتظرون نبياً يجيء وكانوا يستفتحون به في الحرب وأن هذا النبي عندهم صفته ونعته واسمه وأن محمداً ادعى أنه هو المقصود وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك فآمن من علمائهم من آمن وجحد من جحد .

ونحن بدورنا سنحاول استخراج ما بقي من البشارات التي تنادي بظهور هذا النبي في كتبهم وسنرى إن كانت تنطبق على محمد مع كل التحريفات التي أصابت كتبهم .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن محمداً لم يكن ذكره مقصوراً على كتب بني اسرائيل وإنما ورد ذكره وصفته في الأسفار الدينية العالمية الأخرى ككتب البراهمة والزرادشتية وغيرها من الكتب.

« ونحن نورد هنا بعض الأمثلة التي يستدعيها المقام . . . من هذه الكتب كتاب باللغة الانجليزية الفه (مولانا عبد الحق فديارتي) وسماه (محمد في الأسفار العالمية) واستفاد في مقارناته ومناقضاته بمعرفته للفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الاوروبية ، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والانجيل بل عمم البحث في كتب فارس والهند وبابل القديمة ، وكانت له في بعض أقواله توفيقات لعلها اقوى ما ورد من نظائرها في شواهد المتدينين كافة . . .

يقول الاستاذ عبد الحق أن اسم الرسول العربي (أحمد) مكتوب بلفظه العربي في السامافيدا Samavida من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها ان (أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس) . . . وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمداً مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والمحمود ... البعيدة ومن أسمائه الوصفية اسم مشترافا Sushrava الذي ورد في كتاب الأثارفافيدا

(1) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٢

Atharphavida . كذلك صنع بكتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية فاستخرج من كتاب زند افستا Zend Avesta نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين «سوشيانت Soeshyant» ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة أبا لهب Angra Mainyu ويدعو إلى إله واحد لم يكن له كفواً أحد (هيچ جيز بأو نمار) وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة « جز آخاز وانباز ودشمن ومانند ويار وبدر ومادر وزن وفرزند وجاي سوي وتن آسا وتناني وزلك وبوي است » .

وهذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام : أحد صمد ليس كمثله شيء . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

ويشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبيء عن دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود وفيها اشارة الى البادية العربية ويترجم نبذة منها إلى اللغة الانجليزية معناها بغير تصرف « ان امة زردشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التي تطهرت من الأصنام ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم وان نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات »[1] .

ونحن سنقتصر استخراج البشارات التي تدل على نبوة محمد على أسفار بني اسرائيل من العهدين القديم والجديد ، أما الأسفار الدينية الأخرى فليست بين أيدينا وحسبنا ما نقلناه آنفاً .

(1) ص ٤٧ من كتاب Mohammed in World Scriptures نقلاً من كتاب (مطلع النور) للأستاذ عباس محمود العقاد ١٤ ـ ١٧

تحريف التوراة والإنجيل

إن التوراة وأسفار العهد القديم هي كتب يجب الإيمان بها والعمل بموجبها عند اليهود والنصارى لأن عيسى عليه السلام - كما جاء في الإنجيل - لم يجيء ناقضاً للناموس - أي التوراة - وإنما جاء مكملاً له وإنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف من الناموس أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (متى - الإصحاح الخامس ١٧ ، ١٨) .

ولذا فإن كل ما في العهد القديم معمول به عند اليهود والنصارى . وأما العهد الجديد أي الأناجيل والرسائل الأخرى فهي واجبة التسليم والعمل بها عند النصارى وأما اليهود فهم ينكرونها ويرون أن عيسى عليه السلام كذاب دعيّ ولو لم يكن كذلك - في اعتقادهم - لآمنوا به وصدقوه .

ويرى النصارى ان كتب العهدين (القديم والجديد) سالمة من التحريف والتغيير والتبديل وكل ما فيها ملزم لهم . وأما اليهود فهم يرون أن كتب العهد القديم هي الصحيحة السالمة من التحريف ولا شأن لهم بالعهد الجديد .

والحق أن الناظر في التوراة والإنجيل وأسفار العهد القديم نظرة أولية يقطع بالتحريف والتغيير فيها كما أقر بذلك كثير من مجتهديهم ومتحرريهم وسنضرب الأمثلة التي تثبت ذلك وتقطع القول به وتظهر صدق ادعاء القرآن الذي أعلن منذ أكثر من ألف واربعمائة عام أن أهل الكتاب حرفوا كتبهم (يحرفون الكلم عن مواضعه) . وربما كان قول من قال ان عملية التحريف مستمرة ولم تقتصر على زمن دون زمن صحيحاً . جاء في (الجواب الفسيح) : (وأنت تعلم إذا نظرت أيضاً إلى التوراة التي طبعها الكاثوليك تراها أيضاً متخالفة متغايرة وكل نسخة لا توافق الأخرى وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها وهذا الحال مستمر في جميع فرقهم وسائر الأزمان وظاهر ظهور الشمس للعيان)(١)

(١) الجواب الفسيح ص ٥

تحريف التوراة وأسفار العهد القديم :

إن التوراة - كما هو معلوم - ثلاث نسخ رئيسة :

١ - التوراة العبرانية .

٢ - التوراة اليونانية .

٣ - التوراة السامرية .

وهذه النسخ الثلاث يخالف بعضها بعضاً في كثير من الأمور وكلها موجودة الآن وأظن أن هذا الأمر وحده يثبت تحريف التوراة . فالتوراة كتاب أنزل على موسى فما الذي جعله ثلاث نسخ متغايرة ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها - من امر استقبال الطور - ما ليس في نسخة اليهود والنصارى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب . . . وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة يخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام .

أما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة »(١) .

وقال : «بل وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً في الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها . وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط وما يشهد بأنها مبدلة مغيرة لا يوثق بها . ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من أهل الكتاب »(٢) .

وقال أيضاً : «وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في

(١) الجواب الصحيح ١/ ٣٨٠

(٢) الجواب الصحيح ١/ ٢٠٦ .

بعض النسخ من صفات النبي (ﷺ) ما ليس في أخرى » [1] .

وضرب الشيخ رحمة الله الهندي أمثلة من هذه الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث، فمن ذلك :

« (الاختلاف الأول) : ان الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة (١٦٥٦) وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢) وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين (١٣٠٧) .

(الاختلاف الثاني) : ان الزمان من الطوفان إلى ولادة ابراهيم عليه السلام باعتبار العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢) وباعتبار اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة (١٠٧٢) وباعتبار السامرية تسعمائة واثنتان واربعون سنة (٩٤٢) . . .

(الاختلاف الرابع) : ان موضع بناء الهيكل أعني المسجد باعتبار العبرانية جبل عيبال وباعتبار السامرية جبل جرزيم . . .

(الاختلاف الخامس) : إن الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية (٤٠٠٤) وباعتبار اليونانية (٥٨٧٢) وباعتبار السامرية (٤٧٠٠)» [2] .

«وقال هارسلي المفسر في الصفحة ٨٣ من المجلد الأول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الباب الرابع والأربعين من سفر التكوين : تزاد في أول هذه الآية في الترجمة اليونانية هذه الجملة : « لم سرقتم صواعي » فهذه على اعترافه ساقطة من العبرانية » [3] .

وقال أيضاً : (سقط من آخر الآية الثالثة عشرة وأول الآية الرابعة عشرة من الباب السادس عشر من كتاب القضاة شيء فيؤخذ من الترجمة اليونانية وتزاد هذه العبارة « فقال لها لو أخذت سبع قنزعات من رأسي ونسجتها مع سدى وربطتها

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٢٧
(٢) إظهار الحق ٢/ ٧٩ - ٨٠
(٣) اظهار الحق ١/ ٢٧٢

بالمسمار في الجدار فأصير خفيفا كسائر الناس فنومته وأخذت سبع قنزعات ونسجت مع السدى وربطته) [1] .

« ووقع في الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة **والخامس في العبرانية** (هم ما عصوا قوله) وفي اليونانية (هم عصوا قوله) ففي الأولى نفي والثانية إثبات فأحدهما غلط يقينا » [2] .

والجدير بالذكر ان اليهود والنصارى يعترفون بصحة النسختين العبرانية واليونانية ويقرون بما جاء فيهما وأنت ترى أن بينهما من الاختلاف ما يقطع بتحريف احدهما فأصبح الشك في كلتا النسختين لأنه لا يقطع بصحة احدهما .

وقد جاء في أسفارهم ما يدينهم ويثبت تحريفهم لكتاب الله .

جاء في (أرميا) الإصحاح ٢٣ :

« ٣٦ أما وحي الرب فلا تذكروه بعد الآن لأن كلمة كل انسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا » .

وجاء في (ارميا) الإصحاح الثامن :

« ٨ كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب» .

وفي نسخة أخرى بدل (وشريعة الرب معنا) (وتوراة الله معنا) [3] .

فهذا وحده يقطع بتحريفهم لكلام الله وأن التوراة حوّلها قلم الكتبة الكاذب إلى الكذب . وهم - أي اليهود والنصارى - إما أن يؤمنوا بهذا القول أو يكذبوه ، فإن آمنوا به لزمهم الإعتراف بالتحريف ، وإن **كذبوه** لزمهم الإعتراف بالتحريف أيضاً من الذي أدخل هذه (الآية) في كتابهم ؟! وكلا الأمرين لا يحمد عقباه .

(١) اظهار الحق ١/ ٢٧٣
(٢) اظهار الحق ١/ ٢٢٥
(٣) انظر الرحلة المدرسية ١٢٣

وبما يدل على تحريف العهد القديم :

١ - نسبتهم إلى الله سبحانه ما لا يليق به : فقد نسبوا إليه الكذب - سبحانه - وجعلوا الحية أصدق منه - كما أسلفنا في قصة آدم (سفر التكوين الإصحاح ٢ ، ٣) وإنه جسم تراه العين رآه ابراهيم (سفر التكوين الإصحاح ١٨) ورآه موسى وسبعون شيخاً من بني اسرائيل (سفر الخروج الإصحاح ٢٤) وإنه صارع يعقوب الى طلوع الفجر فلم يقدر على صرعه وتعلق به يعقوب فلم يطلقه ولم يتمكن الرب من الخلاص منه حتى باركه (سفر التكوين الإصحاح ٣٢) وإنه تعب من خلق السماوات والأرض فاحتاج إلى الراحة والتنفس ، جاء في (سفر التكوين الإصحاح الثاني) :

« ٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله . ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » .

وجاء في (سفر الخروج ٣١) : (١٧ لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس) .

فانظر إلى هذه الصورة وما قاله الله في القرآن الكريم « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » (ق ٣٨) .

ونسبوا إليه القصور عن الإدراك والندم والحزن - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - جاء في (سفر التكوين ٦) : « ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . ٦ فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الارض وتأسف في قلبه» .

وجاء في (يونان ٣) : (١٠ فلما رأى الله أعمالهم أنهم [يعني أهل نينوى] رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه) .

إلى غير ذلك من الأمور التي لا تليق بذات الله وجلاله مما يقطع القول بتحريفها .

٢ - نسبتهم إلى الأنبياء ما لا يليق بهم فقد نسبوا إليهم الإنحدار في حمأة الرذائل والسقوط في الزنى والكذب والضلال وغيرها من الأعمال التي لا تليق بآحاد الناس فضلاً عن الأنبياء .

فقد نسبوا إلى داود - كما أسلفنا - أنه زنى بامرأة اوريا وأنه أرسل زوجها إلى الحرب الشديدة ليموت ليستأثر بزوجته (صموئيل الثاني ١١) ، وإنه احتقر كلام الرب وعمل الشر في عينيه (صموئيل الثاني ١٢) وعطل الحدود فلم يقم الحد على ابنه (امنون) الذي زنى بأخته ثامار (صموئيل الثاني ١٣) ولا على ابنه (أبشالوم) الذي زنى بسراري أبيه على السطح أمام جميع اسرائيل (صموئيل الثاني ١٦) .

وهذا كذب فاضح على نبي الله داود إضافة إلى أنه يناقض ما جاء في أسفارهم ، فقد جاء في (صموئيل الثاني ٢٢) من كلام داود :

« ٢١ يكافئني الرب حسب بري ، حسب طهارة يدي يرد علي . ٢٢ لأني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي ، ٢٣ لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أحيد عنها . ٢٤ وأكون كاملاً لديه وأتحفظ من إثمي . ٢٥ فيرد الرب عليّ كبرّي وكطهارتي أمام عينيه » .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : « وهذا السفر يقرّون إنه كتب بإلهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم . ومحال أن يكون الزنى من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته » [١] .

وجاء في (سفر الملوك الأول ٣) :

« ٦ فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك . فحفظت له هذه الرحمة العظيمة واعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم » .

وجاء في (سفر الملوك الأول ١١) :

« ٣٤ لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي» .

(١) قصص الأنبياء ٣١٣

فأنت ترى أن هذين الامرين متناقضان ، فأيهما هو الصحيح ؟ أعصى داود ربه واحتقر كلامه وحاد عن فرائضه ام حفظ طرق الرب ولم يعص إلهه وسار أمامه بأمانة وبر ولم يحد عن فريضة من فرائضه ؟

ما الصورة الصحيحة لنبي الله داود أهي الأولى أم الثانية ؟ ولا شك أن القول بأحدهما يكذب الأخرى .

ونسبوا إلى يعقوب الخداع والكذب (سفر التكوين ٢٧) .

وأن بنتي لوط أسكرتا أباهما واضطجعتا معه فأولدهما (التكوين ١٩) .

وأن نبي الله هرون صنع عجل الذهب ودعا بني اسرائيل إلى عبادته (سفر الخروج ٣٢) .

وأن سليمان عليه السلام عصى كلام الله وأصبح زير نساء يركض وراءهن فأملن قلبه وراء آلهة أخرى وأصبح مشركاً ضالاً حتى عبد عشتورت وملكوم وعمل الشر في عيني الرب . (الملوك الأول ١١) .

فهل هذه صورة الأنبياء ؟

حقاً ، إنه حولها قلم الكتبة الكاذب إلى الكذب .

أين هذا مما جاء في القرآن الكريم من تنزيه الأنبياء عليهم السلام وتكريمهم ورسم الصورة المشرقة الصحيحة ، لهم ؟ كيف لا وهم خير البشر واتقاهم لله اصطنعهم لنفسه واصطفاهم على العالمين ؟!

٣ ـ التناقض الموجود في كتبهم :

وهذه الظاهرة بارزة في كتبهم وهو مما يقطع بالتحريف والتبديل :

من ذلك ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٤) :

« ١٣ وأتى جاد إلى داود وأخبره قائلا : إما أن يكون سبع سنين جوعاً لك في أرضك . . . » وفي (أخبار الأيام الأول ٢١) : (١٢ أما ثلاث سنين جوعاً) الخ .

« ففي الأول (سبع سنين) وفي الثاني (ثلاث سنين) وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط[1] .

وجاء في (سفر العدد ٣٣) : (٣٨ فصعد هرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر ٣٩ وكان هرون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور » .

وفي (سفر التثنية ١٠) : (٦ وبنو اسرائيل ، ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير . هناك مات هرون وهناك دفن) .

فمرة تذكر التوراة أنه مات في جبل هور ومرة في موسير وهو تناقض فان « جبل هور بعد موسير بمنازل كما ترى في التوراة « العدد ٣٣ » »[2] .

وجاء في (أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٣٦) : « ٩ وكان يهوياكين ابن ثماني سنين حين صار سلطانا » « ولفظ (ثماني سنين) غلط ومخالف لما وقع في الآية الثامنة من الباب الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني : « وكان يهوياكين حين جلس على سرير السلطنة ابن ثماني عشرة سنة » .

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك : « وقع في الآية التاسعة من الباب السادس والثلاثين من السفر الثاني من أخبار الأيام لفظ ثمانية ، وهو غلط البتة »[3] .

وجاء في (سفر الملوك الثاني ٨) : « ٢٦ كان اخزْيا ابن اثنتين وعشرين سنة ، حين ملك ، وملك سنة واحدة في أورشليم واسم امه عثليا بنت عمْري ملك اسرائيل » .

وفي (أخبار الأيام الثاني ٢٢) : « ٢ كان اخزيا ابن اثنتين واربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في اورشليم واسم امه عثليا بنت عمري » .

(١) اظهار الحق ١/ ٨٨

(٢) الرحلة المدرسية ٧٤.

(٣) اظهار الحق ١/ ٢٣٢

« والثاني غلط يقينا كما أقر به مفسروهم وكيف لا يكون غلطاً وإن أباه (يهورام) حين موته كان ابن اربعين سنة وجلس هو على سرير السلطنة بعد موت ابيه متصلاً . . . فلو لم يكن غلطاً يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين . . . » (1) .

وجاء في (يشوع ١٣) : « ٢٤ واعطى موسى سبط جاد وبنيه لقبائلهم ميراثاً هذا تقسيمه ، ٢٥ حد يعزير وجميع قرى جلعاد ونصف أراضي بني عمون إلى عرواعير التي هي حيال ربة» .

« في (الباب الثاني من سفر الاستثناء) هكذا ١٧ ـ ١٩ : قال لي الرب إنك تدنو إلى قرب بني عمون احذر تقاتلهم ومحاربتهم فإني لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمون لأني اعطيتها بني لوط ميراثاً » . انتهى ملخصاً . ثم في هذا الباب « اسلم الرب إلهنا الجميع سوى أرض بني عمون التي لم ندن منها » .

فبين الكتابين تخالف وتناقض فلو كان هذه التوراة المشهورة تصنيف موسى عليه السلام كما هو مزعومهم فلا يتصور أن يخالفها يوشع ويغلط في المعاملة التي كانت في حضوره »(2) .

وجاء في (سفر التثنية ٢٣) : (٢ لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) .

« وهذا غلط ويلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا آباؤه إلى فارض بن يهودا في جماعة الرب لأن فارض ولد الزنى كما هو مصرح في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السلام البطن العاشر منه كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا ، مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله على وفق الزبور ومثل ما وقع في الآية الأربعين من الباب الثاني عشر من سفر الخروج) (3) .

(1) إظهار الحق ١/ ٨٨
(2) إظهار الحق ١/ ٦٧ ـ ٦٨
(3) إظهار الحق ١/ ٦٣

ومن ذلك ما جاء في (سفر التثنية ٣٣) في الطبعة العربية للكتاب المقدس في بريطانيا بمطبعة كامبردج سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ :

«٢ جاء الرب من سينا ، وأشرق (لهم) من ساعير وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم » .

وفي طبعة الموصل ـ مطبعة الآباء الدومنيكيين سنة ١٨٧٥ :

«جاء الرب من سينا واشرق (لنا) من ساعير واستعلن من جبال فاران » .

ففي النص الاول (لهم) وفي النص الثاني (لنا) ولا شك أن أحدهما هو الصحيح .

وفي طبعة رجارد واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

«جاء الرب من سينا وأشرق (لنا) من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة نار » .

فأنت ترى ان في هذا النص (لنا) مكان (لهم) و(جبل) بدل (جبال) وفيه زيادة (ومعه ألوف الأطهار) التي لم ترد في الطبعات الأخرى . فأي النصوص هذه هو الصحيح ؟ فإنه ليس من الممكن أن تكون جميعها صحيحة لأن التوراة واحدة .

فدل ذلك دلالة ظاهرة على التحريف والتبديل وأن التحريف ـ كما رأيت ـ لا يزال مستمراً .

٤ ـ فساد الترجمة وتصرف المترجمين حسب أهوائهم : جاء في (إظهار الحق) :

«إن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها ، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد وانهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم ولا يشيرون إلى الامتياز . . . وأنا أورد أيضاً بطريق الانموذج بعضاً منها . . .

٢ ـ وفي الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « سمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرحم الله

زائره » . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (دعا اسم ذلك : الرب يرى) فترجم المترجم الأول الاسم العبراني بمكان (يرحم الله زائره) والمترجم الثاني بـ (الرب يرى) .

٣ ـ وفي الآية العشرين من الباب الحادي والثلاثين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فكتم يعقوب أمره عن حميه) وفي ترجمة اردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ (لابان) موضع حميه فوضع مترجمو العربية لفظ الحمي موضع الاسم . . .

٦ ـ وفي الآية الحادية عشرة من الباب الثامن من سفر الخروج في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٨٤٤ هكذا : (تبقى في النهر فقط) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : (تبقى في النيل فقط) [1] .

وسترى هذا الشيء بعينه في العهد الجديد .

فأنت ترى أن المترجمين يتصرفون كما يشاؤون فمرة يذكرون اسم العلم ومرة معناه ومرة قريبا منه وهكذا .

فاذا كان التحريف في الترجمة حصل في هذه الأمور كابدال (لابان) بـ (حميه) و (النيل) بالنهر وغير ذلك أفلا ترى أن التحريف يحصل في اسم سيدنا محمد ونعته من باب أولى وأنهم يبدلون اسمه إلى معناه أو إلى قريب منه فيبدلون (محمداً) بـ (رجل) كما أبدلوا النيل بالنهر ؟

وهذا أحد أسباب ما ذكره شيخ الإسلام الذي نقلناه آنفاً « وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة بالزبور فلم أر ذلك » .

٥ ـ جاء في (سفر التثنية ٣٤) : « ٥ فمات هناك موسى عبد الرب في ارض موآب حسب قول الرب ، ٦ ودفنه في الجواء في ارض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف

(١) اظهار الحق ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠

انسان قبره الى هذا اليوم . ٧ وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته . ٨ فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً » .

هذا سفر من التوراة أنزل على موسى فكيف يقول « فمات هناك موسى . . . » أفترى أنه نزل عليه بعد موته واندراس قبره ام ان هذه العبارة مزيده في التوراة ، وأرى بعد كم من السنين دونت هذه التوراة ؟

ونحوه ما جاء في الآية الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر الخليقة هكذا : « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني اسرائيل » (ولا يمكن ان تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل . وأول ملوكهم شاول وكان بعد موسى عليه السلام بثلثمائة وست وخمسين سنة) .

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية : (غالب ظني أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها الى الآية التاسعة والثلاثين) [1] وأظن أن ما ذهب إليه الدكتور اسكندر كيدس من أن التوراة الفت بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى [2] محتمل . ونحوه ما جاء في (يشوع ٢٤) : « ٢٧ ثم قال يشوع لجميع هذا الشعب أن هذا الحجر يكون شاهداً علينا . . . ٢٩ وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح التي في جبل افرايم شماليّ جبل جاعش » وهذا السفر نزل على يشوع فكيف يذكر موته ودفنه ؟

ونحوه ما جاء في (صموئيل الثاني ٢٥) : « ١ ومات صموئيل فاجتمع جميع اسرائيل وندبوه ودفنوه في بيته بالرامة » .

ونحوه ما جاء في (سفر أيوب ٤٢) : « ١٥ ولم توجد نساء جميلات كبنات ايوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين اخوتهن . ١٦ وعاش أيوب بعد هذا مائة

(١) اظهار الحق ١/ ٢٣٩
(٢) انظر اظهار الحق ١/ ٦١

واربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال .١٧ ثم مات ايوب شيخاً وشبعان الأيام » .

ويقال فيه ما قيل في سابقه .

افهناك أوضح من هذه الأدلة على التحريف والتغيير ؟

تحريف الإنجيل :

الأناجيل المعترف بها عند المسيحيين اربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا وقد تم اختيار هذه الأناجيل في القرن الرابع الميلادي في مؤتمر (نيقيه) ، أما قبل هذا التاريخ فلم تكن هناك أناجيل بعينها معتمدة يقرها العالم المسيحي وينكر ما عداها وإنما كانت أناجيل كثيرة « فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة وهو الصحيح في زعمهم وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنصارى ينكرونه وهناك إنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة (إنجيل ... تهس»(١) إلى غير ذلك من الأناجيل . ولم تعتمد هذه الأناجيل إلا في القرن الرابع المسيحي . قال الأب عبد الأحد داود : « إن هذه السبعة والعشرين سفراً أو رسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع عشر بإقرار مجمع نيقيه العام وحكمه لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور . ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على الف مبعوث روحاني يشكلون المجمع العام عناية ... الأناجيل والرسائل المختلفة كل منهم يحمل نسخة إنجيل أو رسالة على الوجه الذي هو لديها الى (نيقيه) لأجل التدقيق وهناك تم انتخاب الأربعة الأناجيل مما يزيد عدده على الأربعين أو الخمسين من الأناجيل المختلفة والمتضادة مع احدى وعشرين رسالة من رسائل لا تعد ولا تحصى . فصودق عليها . وهكذا ثبت العهد الجديد

(١) محاضرات في النصرانية ٣٩

قبل هيئة عددها ٣١٨ شخصاً من القائلين بألوهية المسيح وهم زهاء ثلث أعضاء المجمع المذكور . وهكذا كان العالم المسيحي محروماً من العهد الجديد مدة ٣٢٥ سنة أي أنه كان بغير كتاب »(١) .

وقال : «يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته الى ٣٢٥ عاماً بغير كتاب كم تأثر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية وكيف يختل نظامه ويكدر صفاؤه الأصلي بالخرافات والروايات الكاذبة ؟ »(٢) .

وقال «سير آرثر فندلاي» في كتابه «صخرة الحق» ٥٩ :

« إن الأناجيل الحالية لم تستقر إلا في القرن الرابع الميلادي عقب مجمع قرطاجنة عندما تقرر أي الكتابات يحتفظ بها ، وأيها يرفض ويستبعد . وقبل ذلك التاريخ سنة ٣٩٧ م لم يكن هناك شيء اسمه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم »(٣) .

ومما يؤكد هذا الرأي ما ذكره القسيس ابراهيم خليل فيلبس الذي اعلن اسلامه قال : « والنساخ المسيحيون الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول لا ينقلون شيئاً قط من العهد الجديد بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م »(٤) .

وجاء في كتاب (الإنجيل والصليب) : « يتحقق لدى من أنعم النظر في مطالعة رسائل السبع والعشرين إن كاتبي الثلاث والعشرين منها لم يكونوا على علم بوجود الأناجيل الأربعة وإن كل ما تحكيه الأناجيل من الأمثال والنصوص والوقائع والحكايات والمعجزات تكاد تكون كلها مجهولة لدى كاتبي الثلاث والعشرين رسالة . إذن فالأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأنها لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً . . .

(١) الانجيل والصليب ١٤
(٢) الانجيل والصليب ١٩
(٣) انظر كتاب محمد في التوراة والانجيل والقرآن ٨٠
(٤) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٣٧

ولكن لا نجد في رسائل بولص العبارة الواجب ذكرها كقوله « على الوجه الذي كتب في الإنجيل الفلاني أو إنجيل فلان » ، فلو وجد كتاب إنجيل في زمن كتابة بولص وبطرس رسائلهما لكان من البديهي أن يبحثا عنه أو يقتبسا منه .

إذن فلا شبهة في أن الزمن الذين كتب فيه حضرات بولص وبطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا رسائلهم لم يكن يوجد فيه الأربعة الأناجيل المعزوة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا التي في أيدينا»[1].

بل الظاهر أن أصحاب الأناجيل لا يعلم بعضهم بما كتب الآخر ولذلك حصل كثير من التناقض بينهم . جاء في كتاب (الإنجيل والصليب) : « لا علم لأصحاب بعض هذه الرسائل بما كتبه البعض الآخر :

من الظاهر أنه لم يكن لكتاب الرسائل الإنجيلية علم بوجود الأناجيل الأربعة كما أنه لم يكن بعضهم على علم من كتابات البعض الآخر . فإن في هذه الرسائل بعض العقائد والبيانات الغريبة التي يتفرد بها كاتب تلك الرسالة ومن هذا القبيل قول بطرس : إن المسيح قضى عقب موته ثلاثة أيام في جهنم بين الأرواح المحبوسة في السجن . ولكن هذه المسألة العجيبة لم تذكرها بقية الرسائل الست والعشرين الأخرى التي تألف منها كتاب العهد الجديد . فكيف يمكن أن يكون الحواريون غير واقف أحد منهم على ما كتبه الآخرون مع القول بأنهم كتبوا رسائلهم بتلقي الوحي ملهمين من الروح القدس ؟ كيف لا يكون لبطرس الذي كشف الغطاء عن دخول المسيح الجحيم ثلاثة أيام خبر ولا علم له برسالة يعقوب الذي يدعي أن دعاء الكاهن للمريض المحتضر مع دلكه بالزيت يشفيه وكذلك يغفر ذنوبه [illegible] المداواة ! . . .
هل من عالم يستطيع ان يبين اية حكمة وعدالة استندت إليها هذه الإلهامات في الروح القدس أعني كتمان حقيقة عظيمة عند النصارى الساكنين في بعض الأقطار وإظهارها والافضاء بها إلى سكنة ديار أخرى ثم كشفها وإلقائها إلى ٣١٨ راهباً في ٣٢٥ سنة ؟ [2] .

(١) الانجيل والصليب ١٤ ـ ١٥
(٢) الانجيل والصليب ١٧ ـ ١٨

وجاء في (إظهار الحق) : « إنجيل متى هذا لم يكن مشهوراً معتبراً في عهد لوقا وإلا فكيف يتصور أن يكتب لوقا نسب المسيح بحيث يخالف تحرير متى في بادىء الرأي مخالفة تحيّر فيها المحققون من القدماء والمتأخرين سلفاً وخلفاً؟»[1] .

« وفي عام ١٧٩٦ أشار هردر Herder إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا والمسيح في إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

وفي انجلترا أدلى و.ب. سميث W. B. Smith و ج.م. روبرتسن J. M. ROBERTSON بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح»[2].

وقال القسيس ابراهيم خليل في إنجيل يوحنا : « وهو يناقض الأناجيل الأخرى Synoptic Gospels في مئات من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها عن المسيح . . .

وخلاصة القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل وبعضها الآخر وأن فيها أنباءً تاريخية مشكوكاً في صحتها ، وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة أمثال مماثلة واضحة ما يروى عن آلهة الوثنيين » [3] .

أما اختيار الكتب المقدسة فقد تمّ عن طريق المجامع الدينية وأول مجمع عقد هو مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ وسبب انعقاد هذا المجمع انه « حدث خلاف جوهري بين اثنين من رجال الكنيسة بالاسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الأب .

قال آريوس - وهو أسقف اسكندري - أن المنطق يحتم وجود الآب قبل الإبن ولما كان المسيح الإبن مخلوقاً للإله الآب فهو إذن دونه ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال

(١) إظهار الحق ١/ ١٠٠
(٢) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ٦١ ـ ٦٢
(٣) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٣٩ ـ ١٤٠

ان يعادل الابن الإله الآب في المستوى والقدرة وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله . . .

وقال أثناسيوس ـ وهو شماس اسكندري ـ . . . إن فكرة الثالوث المقدس تعني أن يكون الابن مساوياً للإله الآب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه وإن كانا شخصين متميزين . . .

وحسماً للموقف دعا الأمبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م وقد صدر قرار بإدانة أريوس أسقف الاسكندرية وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد مجامع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شؤون الكنيسة وما يرتبط بها من نظام كهنوتي وعقيدة ولاهوت»(١) .

والغريب في هذا المجمع أن المجتمعين كانوا أكثر من ألف مبعوث من علماء النصارى اتفق على التثليث ٣١٨ أسقفاً منهم فقط وناصر أريوس الموحد أكثر من سبعمائة ومع ذلك أخذ بمبدأ التثليث تلبية لرغبة الأمبراطور قسطنطين الذي كان مشركاً آنذاك ولم يتنصر إلا قبيل وفاته . جاء في كتاب (الإنجيل والصليب) : «إن الجهة المستغربة الماثلة للعينين فوق جميع مقررات المجمع الكبير وأعماله هي أن ننظر كيف انتحل الأمبراطور قسطنطينيوس لنفسه قبل الاعتماد بالنصرانية ـ أي في كونه مشركاً ـ ذلك المقام الأعلى الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه وتصرفه في انعقاد مجمع رسمي له الصلاحية التامة لحل مشكلات العقائد الدينية والفصل فيها .

إن (أبوسيبوس) بسقبوس قيصرية الذي تقدسه الكنيسة وتمنحه لقب (سلطان المؤرخين) كان صديق الامبراطور فلا يمكن أن يكتب في حقه ما يغاير الحقيقة أو هو عبارة عن مفتريات . وهذا المؤرخ يقول إن قسطنطين اعتمد حين كان طريح

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٥

الفراش قبيل وفاته وأن الذي عمده (أي نصّره) صديقه الحميم (ابوسيبوس) بسقبوس نيقوميدياء»(١) .

وقد تمّ في هذا المجمع وعدة مجامع أخرى اختيار الكتب المقدسة بحسب رغبة المجتمعين .

جاء في (إظهار الحق) : «وينقسم كل من العهدين إلى قسمين : قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين وقسم اختلفوا فيه . . .

(القسم المختلف فيه على صحته من العهد العتيق) تسعة كتب :

١ ـ كتاب استير ٢ ـ كتاب باروخ ٣ ـ جزء من كتاب دانيال ٤ ـ كتاب طوبيا ٥ ـ كتاب يهوديت ٦ ـ كتاب وزدم ٧ ـ كتاب ايكليزياستيكس ٨ ـ كتاب المقابيين الأول ٩ ـ كتاب المقابيين الثاني .

(القسم المختلف على صحته من العهد الجديد) :

١ ـ رسالة بولس الى العبرانيين ٢ ـ الرسالة الثانية لبطرس ٣ ـ الرسالة الثانية ليوحنا ٤ ـ الرسالة الثالثة ليوحنا ٥ ـ رسالة يعقوب ٦ ـ رسالة يهوذا ٧ ـ مشاهدات يوحنا .

انعقد مجلس العلماء المسيحيين ، بحكم السلطان قسطنطين في بلدة نائس في سنة ٣٢٥ ثلثمائة وخمسة وعشرين من ميلاد المسيح ليشاوروا في باب هذه الكتب المشكوكة ويحققوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد المشاورة والتحقيق في هذه الكتب أن كتاب يهوديت واجب التسليم وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكة ، كما كانت . . . ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمىٰ بمجلس لوديسيا في سنة ثلثمائة وأربع وستين فأبقىٰ علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب

(١) الانجيل والصليب ٢١ ـ ٢٢

يهوديت على حاله وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى وجعلوها واجبة التسليم وهي هذه :

١ ـ كتاب استير ٢ ـ رسالة يعقوب ٣ ـ الرسالة الثانية لبطرس ٤ ، ٥ ـ الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ٦ ـ رسالة يهوذا ٧ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين .

وأكدوا ذلك الحكم بالرسالة العامة وبقي كتاب مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً كما كان . ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في سنة ثلثمائة وسبع وتسعين . وتسمى هذا المجلس مجلس (كارتهيج) [١] وكان أهل هذا المجلس الفاضل المشتهر عندهم (اكستائن) ومائة وستة وعشرين شخصاً غيره من العلماء المشهورين فأهل هذا المجلس أبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله وزادوا على حكمها هذه الكتب :

١ ـ كتاب وزدم ٢ ـ كتاب طوبيا ٣ ـ كتاب باروخ ٤ ـ كتاب ايكليزياستيكس ٥ ، ٦ ـ كتابا المقابيين ٧ ـ كتاب مشاهدات يوحنا .

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب أرميا فلذلك لم يكتبوا اسم كتاب باروخ في فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذه المجالس صارت هذه الكتب المشكوكة مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين إلى أن ظهرت فرقة البروتستنت فردوا حكمَ هؤلاء الأسلاف في باب كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب ايكليزياستيكس وكتابي المقابيين وقالوا ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة وردوا حكمهم في بعض أبواب كتاب استير وسلموا في البعض لأن هذا الكتاب كان ستة عشر باباً فقالوا إن الأبواب التسعة من الأول وثلاثة آيات من الباب العاشر واجبة التسليم وستة أبواب باقية واجبة الرد»[٢] .

(١) في ص ٢٣٦ من هذا الكتاب : «وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالماً من العلماء المشهورين ومنهم الفاضل المشهور المقبول عندهم اكستائن فهؤلاء العلماء سلموا احكام المجلسين الاولين .

(٢) اظهار الحق ١ / ٥١ وما بعدها

إن العالم المسيحي يولي المجامع سلطة دينية واسعة في التحريم والتحليل والتشريع ولما كانت العقول مختلفة والرغبات متناقضة تناقضت كثير من الأحكام التي أصدرتها المجامع فكان يلغي مجمع متأخر أحكام مجمع سابق وهكذا ، ومن ذلك على سبيل المثال :

« ١ ـ مجمع صور سنة ٣٣٤ م :

في هذا المجمع الذي عقده الأمبراطور قسطنطين صدر قرار بالغاء قرارات مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م وصدر قرار بالعفو عن آريوس وأتباعه وبقبول تعاليمه . . .

٢ ـ مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١ م :

أصبح رابع مجمع مسكوني ديني باغفال مجمع صور سنة ٣٣٤ م وفيه اتخذ قرار بأن للمسيح طبيعتين : طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية متحدتين اتحاداً وثيقاً . . .

٣ ـ مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م :

في هذا المجمع استصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة وساند هذا التأييد الأمبراطور جستنيان إرضاء لزوجته تيودورا وتنكيلاً للبابا فجيلوس .

٤ ـ مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م :

وقد اتخذ هذا المجمع قراراً بإدانة مذهب الطبيعة الواحدة فكان هذا نقضاً لقرار سنة ٥٥٣ م . . . الخ »[١] .

« وقد جاء مجمع غير عام بإقرار الجميع انعقد بأمر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ م وفيه جمهور من الأساقفة وفدوا إليه من جهات مختلفة وقد قرر تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في أماكن العبادة وحرم طلب الشفاعة من العذراء ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بأمر الملكة ايريني بمدينة نيقيه ويسمى المجمع النيقاوي الثاني سنة ٧٨٧ وكان اعضاؤه ٣٧٧ أسقف واصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين لا

(١) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٥٥ وما بعدها

بعباداتها وجاء في هذا القرار : « اننا نحكم أن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط بل في البيوت وعلى الجدران والطرقات . . . »[1] .

ومن ذلك المجمع الثاني عشر في روما سنة ١٢١٥ م وأهم ما جاء في قراراته أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[2] .

« وختام هذه المجامع هو المجمع المتمم للعشرين المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ وفيه أثبتوا العصمة للبابا »[3] .

أما هذه الأناجيل الأربعة التي تمّ اختيارها في مجمع نيقيه والتي لا يعرف مصنف كل واحد منها ما كتب الآخر فهي مشكوكة الصحة في نسبتها إلى أصحابها ، ثم إن النسخ التي كتبت باللغة التي ألفت فيها مفقودة فأول ما ظهرت النسخ مترجمة ولا يعلم مترجموها .

جاء في (إظهار الحق) : «ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن الى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة»[4] .

فمتى مثلاً « اتفق جمهورهم على أنه كتب انجيله بالعبرية أو السريانية كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية ، ولكن موضع الخلاف تاريخ تدوينه ومن الذي ترجمه إلى اليونانية . . .

يقول هورن : ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ أو

(١) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ١٤٣
(٢) اضواء على المسيحية ١١٥
(٣) محاضرات في النصرانية ١٤٦
(٤) اظهار الحق ١/ ٥٧ وانظر الفارق بين المخلوق والخالق٩

سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد »[1] .

وقال استادلن : « إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما اسند إلى يوحنا » .

ولقد جاءت في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور) . . . ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً فالدكتور بوست يرجح انه كتب سنة ٩٥، أو سنة ٩٨ وقبل سنة ٩٦ ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد»[2] .

وكذلك شأن بقية الأناجيل ولذلك قال بعض علماء النصارى إن هذه الأناجيل من تأليف بولس قال القسيس ابراهيم خليل فيلبس: « ولعل في سيطرة تعاليم بولس في الكنائس وسيطرة شخصيته على التلاميذ ما دفع بعض علماء الغرب إلى القول بأن إنجيل يوحنا وإنجيل مرقص من تأليف بولس كما تحققه دائرة المعارف الفرنسية وكما يحققه قاموس الكتاب المقدس»[3] .

فأنت ترى أن رسائل أهل الكتاب كافة لا ترقى إلى درجة أي حديث ضعيف معلوم السند عند المسلمين بله الأحاديث الصحيحة .

تحول عقيدة النصارى عن التوحيد :

بعد انتصار الثلث على الثلثين في مجمع نيقيه الأول بدأت عقيدة التثليث تستأصل

(١) محاضرات في النصرانية ٤١ ـ ٤٣
(٢) محاضرات في النصرانية ٤٩ ـ ٥٢
(٣) محمد في التوراة والانجيل والقرآن ١٤٤

شيئاً فشيئاً عقيدة التوحيد حتى تمكنت بمرور الزمن من ذاك ، وتتلخص هذه العقيدة في أن الله ثلاثة أقانيم الآب والإبن وروح القدس وهي كلها إله واحد وطبيعة واحدة فطبيعة الإبن هي طبيعة الإله الآب فالمسيح ابن الله وهو الله الذي خلق الخلق ودبر الأمر وهو أزلي غير أنه اتحد بالناسوت لينقذ العالم عن طريق الصلب من الخطيئة التي ارتكبها أبونا آدم . فإن الصلب إنما كان لانقاذ البشر من الخطيئة الأولى ولم تكن هناك وسيلة أخرى لانقاذ البشر . ولست أدري لماذا يتمكن البشر من العفو والمغفرة ولا يتمكن الله من ذلك إلا أن يصلب ابنه أو نفسه ؟!

ونحن لا نريد وليس من موضوعنا ان نناقش هذه العقيدة وإنما نريد أن نمسها مساً خفيفاً .

إن الناظر في الأناجيل يجد فيها ما يدفع هذا الاعتقاد ويبطله ، أما النصوص القليلة التي تشير إلى ربوبية المسيح فهي مقحمة إقحاماً ونحن إزاء هذه النصوص المتضاربة مضطرون إلى أن نأخذ بأحد النصين أو أن نتركهما جميعاً وكلا الأمرين لا يرضي النصارى لأنه يؤدي إلى القول بتحريف النصوص لا محالة .

جاء في (إنجيل متى) ١٩ : قول المسيح عندما قالوا له (أيها المعلم الصالح) . « ١٦ لماذا تدعونني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » فاعتراضه عليهم بأنه ليس صالحاً إلا الله فلماذا تدعونني صالحاً يدل على أنه غير الله .

وجاء في (يوحنا : ٧) : (٢٨ فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً تعرفونني وتعرفون من أين أنا ؟ ومن نفسي لم آت بل الذي ارسلني هو حق الذي انتم لستم تعرفونه ».

فإذا كان هو إلهاً فكيف يقول إنه لم يأت من نفسه وإنما جاء بمشيئة الذي ارسله ؟ فهو إذن مرسل من غيره .

ونحوه ما جاء في (يوحنا ٤) : «٣٤ قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » .

فهو إذن يعمل مشيئة الذي أرسله وليس إلهاً .

وجاء في (مرقس ١٣) : (٣٢ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب) .

وهذا كلام حول يوم القيامة : فهنا يذكر عيسى ان علم الآب غير علم الابن وان الآب يعلم ما لا يعلمه الابن فدل على تغايرهما وان المسيح يجهل بعض الأمور فدلّ ذلك على أنه ليس هو الله .

وأما تسمية الله بالآب - إن لم تكن من تحريفات أهل الإنجيل - فلا تدل على الأبوة الحقيقية وإنما هي أبوة مجازية بمعنى أن الله سبحانه هو يهديهم ويربّهم ويعلمهم ويقوم بأمرهم كما يقوم الأب بأمر ولده . وهي هكذا في الإنجيل ، فالإنجيل يسمي الله أباً للبشر ويسمي الصالحين أبناء الله فهل معنى ذلك أن البشر أبناء الله حقيقة وهو أبوهم ؟ فإن كان كذلك فلا فضل لعيسى عليهم فهو ابوهم جميعاً وهم أبناؤه .

جاء في (إنجيل متى) الاصحاح ٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون .

وجاء فيه ٥ : ١٦ فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٥ : ٤٨ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل .

وجاء فيه ٦ : ١ احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات .

وجاء فيه ٦ : ٩ فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك .

وجاء فيه ٦ : ١٤ فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي .

وجاء فيه ٢٣ : ٩ ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات .

وهذا الأمر واضح ، كما ترى .

وجاء في (يوحنا : ١) : (٢٩ وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا حَمَل [١] الله الذي يرفع خطية العالم) .

فهو إذن حَمَل الله وليس هو الله فكيف يكون حَمَلُ الله هو الله ؟ أليس هذا تناقضاً ؟

وجاء في (يوحنا : ٨) : « ٤٠ ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله » .

فهو قد صرح بأنه إنسان كلمهم بالحق الذي سمعه من الله أفهناك أصرح من هذا النص على بطلان ألوهيته ؟!

وجاء في (متى ٥ : ٢٧) عن صلبه : (٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ايلي ايلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟) فهو ينادي ويستغيث إلهه فكيف يكون هو إلهاً ؟

وفي (لوقا : ٢٣) « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه في يديك أستودع روحي » فهو إذن يستودع روحه عند الله فكيف يكون هو الله ، وعند من يستودع روحه إذن ؟! ثم إن الأناجيل وصفت المسيح بأنه يتعب ويجوع وينام ويضطرب فكيف يصح أن يكون هذا وصفاً لله ؟

جاء في (يوحنا : ٤) : (٦ فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر) .

وجاء في (متى : ٢١) : (١٨ وفي الصبح إذ كان راجعاً جاع) .

وجاء في (مرقس : ٤) (٢٨ وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً فأيقظوه)

وجاء في (يوحنا: ١٢) (٢٧ الآن نفسي قد اضطربت . وماذا اقول ؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة) .

---

(١) الحمل : الخروف الصغير

فدل ذلك أوضح دلالة على أن المسيح الانسان ـ كما قال هو نفسه ـ يجوع ويتعب وينام ويضطرب ويجهل وأنه مرسل من الله .

فهو إذن بشر رسول كسائر الرسل .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أليس في وسع الله أن يغفر الخطايا فلماذا يكون الصلب ؟

إن الإنجيل يقول بلى في وسعه ذلك ، جاء في (لوقا : ١١) : (٢ فقال لهم متى صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . . . . ٤ واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا) .

فنحن نطلب من الله مغفرة الخطايا كما يغفر الناس لمن يذنب إليهم .

وجاء في (لوقا ١٧) : (٣ وان أخطأ أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر له) .

فإذا كان في وسعنا أن نغفر لإخواننا أفلا يكون ذلك في وسع رب السماوات والارض ؟

والقول بالمغفرة يفضي قطعاً إلى إبطال عقيدة الصلب .

بل في الإنجيل نفسه ما ينفي الصلب . جاء في (متى ٢٣) : (٣٩ لاني أقول لكم أنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب . . . ٢٤ : ١ « ثم خرج يسوع ومضى في الهيكل » . وهذا يدل على أنه فارقهم منذ أن كلمهم» وذلك أنه في عبارته هذه يشير إلى وداعهم حين قال : إنكم لا ترونني من الآن أي من تلك الساعة . فإن صح هذا فهو دليل قطعي على أن اليهود لما أرادوا أخذه لم يروا ذاته بل رأوا من يشبهه فأخذوه وعملوا به ما عملوا وأما هو فقد ارتفع من بينهم في تلك الساعة ليقضي الله أمراً كان مفعولا » [١] .

---

(١) الفارق ١٧٧

شواهد التحريف :

من المعلوم أن المسيح هو الذي جاء بالإنجيل فأين هذا الإنجيل ، إنجيل المسيح ؟

نحن نعلم أن النصارى يؤمنون بإنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا فأين إنجيل المسيح ؟

جاء في إنجيل مرقس ١ : ١٤« وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز[1] ببشارة ملكوت الله ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

وجاء فيه في الإصحاح ١٣ : من وصايا يسوع (١٠ وينبغي أن تكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم) .

وجاء فيه ١٦ : (١٥ وقال لهم إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) .

وجاء فيه أيضاً ١٤ : (٩ الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته تذكاراً لها) .

أين هذا الإنجيل الذي دعا به المسيح وطلب التبشير به ؟ إنه قال ـ كما أسلفنا ـ :(الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم . . .) واسم الاشارة يقتضي مشاراً إليه فأين الإنجيل الذي أشار إليه عيسى ؟

إن هذا وحده يدل على فقدان إنجيل عيسى ، وإضافة إلى ذلك سنقيم الدليل على تحريف الأناجيل بصورة قاطعة . ومما يدل على ذلك :

١ ـ التناقض بين الأناجيل بل ومناقضة الإنجيل الواحد لنفسه وللعهد القديم فمن ذلك على سبيل المثال اختلاف إنجيل متى وإنجيل لوقا في نسب المسيح إختلافاً

(١) يكرز: يبشر

أعيا علماء النصارى وحيرهم وعجزوا عن تفسيره ولا تفسير له سوى أن أحدهما لا يعلم بما يكتب الآخر . وتصحيح أحدهما يفضي إلى تكذيب الآخر .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الأول من ١-٧ أن المسيح ابن يوسف(*) بن يعقوب بن متّان بن اليعازر بن اليود بن أخيم . . . بن سليمان بن داود.

وجاء في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث من ٢٣-٣٨ أنه ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا . . . بن ناثان بن داود .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية أن الأجيال ما بين المسيح وداود ثمانية وعشرون جيلاً على ما ذكر متى ـ الإصحاح الأول ، وعلى ما ذكر لوقا في الإصحاح الثالث واحد وأربعون جيلاً .

وإن (شألتئيل) هو ابن (يكنيا) على ما جاء في إنجيل متى ـ الإصحاح الأول ١١، وفي إنجيل لوقا ـ الإصحاح الثالث الفقرة ٢٧ هو ابن (نيري) .

وفي إنجيل متى ـ الإصحاح الأول الفقرة ١١ ان (يكنيا) الذي هو من أجداد المسيح هو ابن (يوشيّا) .

وفي (أخبار الأيام الأول ٣) ـ الفقرة ١٥ ، ١٦ و (أرميا) الإصحاح ٣٤ الفقرة الأولى أن (يكنيا) إنما هو ابن (يهوياقيم) و (يهويا قيم) هو ابن يوشيّا فيكون يوشيّا جد (يكنيا) لا أباه . وهذا الحذف له سبب سنذكره إن شاء الله . فهنا تناقض إنجيل متى ولوقا وتناقض إنجيل متى والعهد القديم وهو مما يقطع بالتحريف . ومن التناقضات ما جاء في إنجيل مرقس ١ : ٦ أن يحيى كان يأكل جراداً وعسلاً برياً » .

وفي إنجيل متى ١١ : « ١٨ انه كان لا يأكل ولا يشرب »[1] .

وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى ١٤ : « ٥ ولما أراد ان يقتله (يوحنا المعمدان)

(١) انظر اظهار الحق ١/ ١٠٦

(*) العجيب أن الأناجيل تذكر في نسب المسيح أن المسيح ابن يوسف وهي مع ذلك تزعم أنه ابن الله ولا أب له على الأرض.

خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي » .

وفي إنجيل لوقا ٢٠ : ٦« فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي » وهو تناقض .

ومن ذلك ما جاء في مرقس ٩ : « ٤٠ لأن من ليس علينا فهو معنا » .

وفي لوقا ١٩ : ٤٩« لأن من ليس علينا فهو معنا » .

بينما جاء في متى ١٢ : « ٣٠ من ليس معي فهو علي » .

وهو يناقض ما جاء في مرقس ولوقا .

ومن ذلك ما جاء في يوحنا ٥ : « ٣١ إن كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً » .

وجاء فيه في مكان آخر ٨ : « ١٤ وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » وكلاهما قول المسيح وهذا تناقض في الإنجيل الواحد .

ومن ذلك ما جاء في متى : ١٧ « ١ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب يوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين » .

وفي مرقس ٩ : « ٢ وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا ،

وفي لوقا ٩ : « ٢٨ وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الى جبل ليصلي » .

وهذا تناقض في حادثة واحدة فمتى ومرقس يقولان بعد ستة أيام ولوقا يقول ثمانية أيام .

ومن ذلك ما جاء في متى ٥ : ٩« طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون ابناء الله

وفي الباب العاشر من إنجيل متى : « ٣٤ ولا تظنوا إني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » .

« فبين الكلامين اختلاف ويلزم أن لا يكون عيسى عليه السلام من الذين قيل في حقهم (طوبى) ولا يدعى ابن الله »[1] .

ويناقضه قوله في متى ٣ : ١٧ «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » .

وانظر الى خطبة واحدة ألقاها المسيح كيف يرويها كل من متى ولوقا :

متى ـ الإصحاح الخامس

١ ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه

٢ ففتح فاه وعلمهم قائلاً .

٣ طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات .

٤ طوبى للحزانى لأنهم يتعزون .

٥ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .

٦ طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون

٧ طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون

٨ طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .

٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون .

إنجيل لوقا ـ الإصحاح السادس

٢٠ ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال : طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله .

٢١ طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تُشبعون .
طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون .

٢٢ طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم واخرجوا اسمكم كشرير من اجل ابن الانسان .

٢٣ إفرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهوذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا يفعلون بالأنبياء .

٢٤ ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم .

---

[1] إظهار الحق ١/ ١١٥

١٠ طوبىٰ للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات .
١١ طوبىٰ لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين .
١٢ إفرحوا وتهللوا ، لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم .
١٣ أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح بعد لشيء إلا أن يُطرح خارجاً ويداس من الناس .

٢٥ ويل لكم أيها الشباعىٰ لأنكم ستجوعون .
ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون .
٢٦ ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة .

فأنت ترىٰ أن ثمة فروقاً غير قليلة بين النصين ففي (متى) الكلام على الغائبين وفي (لوقا) الكلام للمخاطبين وفي كلا النصين زيادة من جهة ونقص من جهة واختلاف من جهة أخرىٰ مما يقطع بالتحريف .

وانظر إلى طائفة من الفروق بين النصين :

متى	لوقا
١ ـ الكلام في متى على الغائبين	الكلام للمخاطبين
٢ ـ	رفع عينيه
٣ ـ للمساكين (بالروح) .	عدم وجود (بالروح)
٤ ـ ملكوت السماوات	ملكوت الله
٥ ـ طوبىٰ للحزانى لأنهم يتعزون	طوباكم أيها الباكون (الآن) لأنكم ستضحكون .
٦ ـ طوبىٰ للودعاء	ـ
٧ ـ طوبىٰ للجياع والعطاش إلى البر	طوباكم أيها الجياع (عدم وجود والعطاش إلى البر)
٨ ـ طوبى للرحماء . . . الفقرة	ـ
٩ ـ طوبىٰ للأنقياء القلب . . . الفقرة	ـ
١٠ ـ طوبىٰ لصانعي السلام . . . الفقره	ـ
١١ ـ طوبىٰ للمطرودين . . . الفقرة	ـ
١٢ ـ ـــ	ويل لكم أيها الأغنياء . . . الفقرة
١٣ ـ ـــ	ويل لكم أيها الشباعىٰ . . . الفقرة
١٤ ـ ـــ	ويل لكم أيها الضاحكون . . . الفقرة
١٥ ـ ـــ	ويل لكم إذا قال فيكم . . . الفقرة
١٦ ـ من أجلي	من أجل ابن الإنسان
١٧ ـ أنتم ملح الأرض . . . الفقرة	ـ
. . .	. . .
(وردت كلمة طوبىٰ ٩ مرات)	(وردت أربع مرات)
(لم ترد كلمة ويل)	(وردت أربع مرات)

جاء في (الفارق) : «وهكذا جميع الخطبة لا توافق فيها بين الكلامين والمترجم ذكر لفظ طوبىٰ عشر مرات ولوقا ذكرها أربع مرات فقال (طوبىٰ لكم) وزاد على المترجم قوله : ويل لكم ذكرها أربع مرات أيضاً والمترجم لم يذكر الويل مطلقاً» . وقال المترجم خطاباً للتلاميذ ١٥ (أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس) .

وخالفه لوقا فذكر ذلك في (الإصحاح ١٤ ف ٣٤) بقوله : (الملح جيد ولكن إذا فسد الملح فبماذا يصلح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً من له أذنان

للسمع فليسمع) [1] .

ومن تناقض الأناجيل ما جاء في متى ٢١ : (١ ولما قربوا من أورشليم وجاء إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما إذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاها واتياني بهما وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : (قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان » فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » .

قال الأستاذ عبد الوهاب النجار : (وأنا لا أدري ولا مؤلف الإنجيل المذكور يدري ولا المنجم يدري كيف يركب المسيح الأتان والجحش معاً وينتظمهما في جلسة واحدة ؟) [2] .

وعلى أي حال فهو مخالف لما جاء في إنجيلي مرقس ولوقا .

جاء في إنجيل مرقس ١١ : (١ ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين ٢ وقال لهما إذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد فحلاه وأتيا به) .

فهو هنا أخبر أنهما يجدان جحشاً فقط وليس جحشاً وأتاناً .

ونحوه جاء في إنجيل لوقا الإصحاح التاسع عشر الفقرة ٢٨ وما بعدها .

أما يوحنا فقد خالفهم أجمعين فلم يذكر ان يسوع ارسل أحداً وإنما هو وجد جحشاً فجلس عليه .

جاء في (يوحنا ١٢) : « ١٢ وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم ١٣ فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون

(١) الفارق ٤٣ - ٤٤
(٢) قصص الانبياء ٤٦٤ وانظر الفارق ١٥٢

اوصنا مباركٌ الآتي باسم الرب ملك اسرائيل . ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان» .

فيا ترى أي هذه النصوص هو الصحيح ؟

أما النص الذي أشار إليه مصنفو الأناجيل : لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : قولوا لابنة صهيون . . . فهو في سفر زكريا الإصحاح التاسع ونصه :

« ٩ابتهجي يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » .

وهذا لا ينطبق على المسيح لأنه قال هو ملك ومنصور والمسيح لم يكن ملكاً في يوم من الأيام ولا انتصر على أعدائه وإنما هو بالعكس كما تذكر الأناجيل أخذ وأهين ووضع عليه إكليل من الشوك وسحب وبصق عليه فكيف ينطبق عليه هذا النص ؟

جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرين :

« ٢٧ فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، ٢٨ فعرّوه وألبسوه رداء قرمزياً ، ٢٩ وضفروا إكليلاً من الشوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود . ٣٠ وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . ٣١ وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب» .

وانظر إنجيل مرقس ١٥ : ١٦-٢٠

« وبعد ذلك كله فمن هو الملك الذي جاء إلى أورشليم ودخلها منصوراً وكان عادلاً ومتواضعاً وراكباً على جحش ابن أتان ؟ وهل بدخول المسيح أورشليم على الوجه الذي ذكرته الأناجيل تكون النبوة قد تحققت ؟

والجواب ان النبوة لا تتحقق إلا بوجود رجل له صفة الامرة قد قهر اعداءه ودانوا بالطاعة . وعلى اثر ذلك أتى الى اورشليم بهيئة المتواضع راكباً حماراً لا كالملوك الجبارين .

والمسيح لم يدخل أورشليم على هذا الوجه . . .

وأما الشخص الذي تحققت به هذه النبوءة بالفعل فهو« عمر بن الخطاب » رضي الله عنه إذ خرج من المدينة راكباً على حمار حتىٰ وصل إلى معسكر الإسلام بالجابية فخرج إليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحاً وبعد تمام الصلح دخل إلى أورشليم راكباً حماره الذي أتىٰ عليه من المدينة وهو صاحب الأمر والنهي في صهيون واورشليم . . . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهومضرب المثل إلى اليوم وبدخوله تحققت نبوة زكريا عليه السلام .

جاء في الطبري في أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء السابع ما نصه : « وجميع ما خرج عمر إلى الشام اربع مرات فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية ، فعلى بعير وأما الثالثة فقصرعنها أن الطاعون مستعر . وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج .

ومعلوم أن عمر لم يكن يدري ما قاله زكرياء ولا علم له به »[1] .

ومما يشهد بالتناقض والتحريف ما جاء في الأناجيل عن قيام المسيح من القبر فإنها تختلف في رواية ذلك اختلافاً كبيراً .

جاء في إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين :

« ١ وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر ٢ وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه » .

وجاء في مرقس ١٦ :

« وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومه حنوطاً ليأتين ويدهنه ٢ وباكراً جداً في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ٣ وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ٤ فتطلعن ورأين أن

(١) قصص الانبياء ٤٦٥

الحجر قد دُحرج لأنه كان عظيماً جداً . ٥ ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين . . .) .

وجاء في لوقا ٢٣ :

« ٥٥ وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده . ٥٦ فرجعن واعددن حنوطاً وأطياباً . وفي السبت استرحن حسب الوصية . الإصحاح الرابع والعشرين .

١ ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس ٢ فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ٣ فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع ٤ وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة . . . ١٠ وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل» .

وجاء في يوحنا ٢٠ :

« ١ وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر ٢ فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه . . . ١١ أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي . وفيما هي تبكي إنحنت إلى القبر ١٢ فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً . . . ١٧ قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي . ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

فأنت ترى كم من الفروق بين هذه النصوص، ومن تلك الفروق :

- في إنجيل متى : امرأتان ذهبتا الى القبر هما مريم المجدلية والأخرى. وفي (مرقس) ثلاث نسوة معلومات. وفي (لوقا) نساء غير معلومات العدد ولا الاسماء أتين معه من الجليل مع مريم المجدلية ويونا وأم يعقوب، وفي (يوحنا) مريم المجدلية وحدها.

٢ - في (متى) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الاسبوع . وفي (لوقا) اول الفجر وفي (مرقس) ان زمن الذهاب الى القبر كان فجر اول الأسبوع . وفي (لوقا) اول الفجر وفي (مرقس) عند طلوع الشمس ، وفي (يوحنا) ان الظلام باق .

٣ - في (متى) ان الحجر لم يكن مدحرجاً وبحضورهما تمت الزلزلة وجاء ملاك الرب ودحرج الحجر، وفي (مرقس) و(لوقا) و(يوحنا) ان الحجر كان مدحرجاً .

٤ - في (متى) ان ملاك الرب نزل ودحرج الحجر وجلس عليه ولم يذكر ان أحداً دخل الى القبر وفي (لوقا) و(يوحنا) انهما رأتا ملاكين لا واحداً .

٥ - في (لوقا) انهن دخلن ولم يجدن جسد يسوع وفي (يوحنا) ان مريم دخلت ووجدت جسد يسوع وكلمها .

الى غير ذلك من الفروق .

وهذا مما يقطع بالتحريف .

ومما يقطع بالتحريف ما جاء في الأناجيل ان المسيح اخبر بأنه سيبقى في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موته مع ان الأناجيل الأربعة مجمعة أنه دفن قرب مغيب الشمس يوم الجمعة وقام أول الأحد فلم يبق إلا ليلة السبت ويوم السبت وليلة الأحد .

ومعنى هذا إما أن يكون المسيح كاذباً أو يكون الرواة كاذبين ولا مفر من أحدهما .

جاء في إنجيل (متى) ١٢ (٤٠ لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) .

وانظر مرقس ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٤ ، لوقا ٩ : ٢٢ ، ١٨ : ٣٢ ، ٣٣

قال الإمام ابن حزم :«وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها لأنهم مجمعون في

أناجيلهم إنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ويوماً يسيراً من يوم ثان فقط وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل وهم أهل الكذب » (١) .

ومما يدل على التحريف والكذب ما جاء في لوقا ١ :

« ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . ٣٢ وهذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » .

وهذا قول الملاك لمريم :

« أما قول لوقا («وابن العلي يدعى» وكذا قوله (المولود منك يدعى ابن الله) (إصحاح ١ ف ٣٥) وقوله (يعطيه الآله كرسي داود أبيه) فان هذه العبارات تفرد بها لوقا ولم يذكرها أحد من كتاب الأناجيل سواه » (٢) .

ثم متى تم هذا ؟ متى ملك يسوع بيت يعقوب إنه أهين وبصق عليه وصلب كما تقول الأناجيل فكيف يتفق مع هذا القول ؟ ثم يقول النص إنه ليس لملكه نهاية على بيت يعقوب بل يملكه إلى الأبد وهذا منقوض بفتح المسلمين لبيت المقدس منذ زهاء ألف واربعمائة عام فكيف يتفق هذا مع هذه البشارة ؟

إضافة إلى هذا أن المسيح هو ابن يهويا قيم بن يوشيا بحسب النسب المتدرج في إنجيل (متى) - الإصحاح الأول ومن كان من أولاد يهويا قيم لا يصلح أن يجلس على كرسي داود كما جاء في (ارميا) الإصحاح السادس والثلاثين .

وذلك أن يهويا قيم بن يوشيا ملك يهوذا لما أحرق الصحيفة التي كتبها باروخ من فم أرميا نزل الوحي إلى أرميا هكذا :

(١) الفصل في الملل ٢/ ٤٣ - ٤٤ وانظر ٢/ ٤٨ - ٤٩، الفارق ٢٦١ - ٢٦٢، اظهار الحق ٢/ ١٥٣، الرحلة المدرسية ٧٦

(٢) قصص الانبياء ٣٧٧

«٣٠ لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا : لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً واعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم» .

وفي نسخة أخرى : «إنه لا يكون منه جالس على كرسي داود»[1] .

وعلى هذا فالمسيح لا تنطبق عليه بشارات الجلوس على كرسي داود كما أنه لم يحصل ذاك فتبين كذب هذا النص .

وأظنك الآن عرفت سبب حذف (يهويا قيم) من نسب المسيح في إنجيل (متى) الذي ذكرناه في أول هذا البحث وذلك لإيهام القارىء أن نص أرميا لا ينطبق عليه .

جاء في (اظهار الحق) : «ظني أن بعض القسيسين المسيحية من أهل الدين والديانة ، أسقط لفظ (يوا قيم) قصداً لئلا يراد ان المسيح إذا كان من أولاد (يوا قيم) لا يكون قابلاً لأن يجلس على كرسي داود فلا يكون مسيحاً»[2] .

ومما يدل على الكذب ما جاء في (متى ٢) : «٢٣ أتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً» .

وهذا كذب فإن الأناجيل الثلاثة لم تنقل مثل هذا النص ولم يوجد لهذا النص أساس في سائر كتب الأنبياء لا صراحة ولا إشارة واليهود ينكرون ذلك أشد الأنكار[3] . وهو إما أن يكون مزيداً في الإنجيل أو محذوفاً من العهد القديم وكلاهما يدل على التحريف بالزيادة أو بالنقص فليختاروا أهون الشرين .

مما مضى تبين بما لا يشك فيه تحريف الأناجيل .

٢ ـ تصرف المترجمين حسب أهوائهم : وهذا مما زاد الطين بلة فانهم لم يكتفوا

(١) اظهار الحق ١/١٠٢ ، الفارق ٣٢٩
(٢) اظهار الحق ١/١٤٤
(٣) الفارق ١٢

بالتحريف فأضافوا إلى ذلك سوء الترجمة والتصرف فيها بحسب أهواء المترجم من ذلك على سبيل المثال ما جاء «في الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي عشر من إنجيل متى في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٤٤ هكذا (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ (فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان) فالمترجم الأخير بدل لفظ (إيلياء) بهذا فأمثال هؤلاء لو بدلوا إسماً من أسماء النبي ﷺ في البشارة فلا عجب .

وفي الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا «لما علم يسوع» وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠ (لما علم الرب) فبدل المترجمان الأخيران لفظ يسوع الذي كان علم عيسى عليه السلام بالرب الذي هو من الألفاظ التعظيمية . فلو بدلوا اسماً من أسماء النبي ﷺ بالألفاظ التحقيرية لأجل عادتهم وعنادهم فلا عجب . . .

في الآية الثانية من الباب الخامس من إنجيل يوحنا في حق البركة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (تسمى بالعبرانية بيت صيدا) . وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ (يقال لها بيت حسدا) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ (يسمى بالعبرانية بيت حصدا أي بيت الرحمة) . فالاختلاف بين صيدا وحسدا وحصدا وإن كان ثمرة من ثمرات تصحيحهم الكتب السماوية لكني أقطع النظر عنه وأقول المترجم الأخير زاد التفسير من جانب نفسه في الكلام الذي هو كلام الله في زعمه . فلو زادوا شيئاً بطريق التفسير من جانب انفسهم في البشارات المحمدية فلا بعد منهم»[1] .

وحسبنا هذا فإن فيه الكفاية إذ قد تبين لنا بصورة قاطعة تحريف العهد القديم بما فيه التوراة كما تبين تحريف الإنجيل وصدق قول الله فيهم (يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه) وقوله (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (البقرة ٧٥) .

(١) اظهار الحق ٢/٢٣٢ ـ ٢٣٥

بشارات الكتب السماوية (*)

ذكرنا أن محمداً ﷺ أعلن أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان كتبهم ذكرت اسمه ونعته وأوضحت ذلك إيضاحاً كاملاً .

وتُظهر لنا كتب الدلائل والكتب التي جادلت أهل الكتاب أن إسم محمد كان مذكوراً بصراحة في كتب أهل الكتاب إلىٰ عصر متأخر .

فقد نقل ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ والماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ والفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ والقرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ وابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ وابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ وغيرهم نصوصاً كثيرة من كتب أهل الكتاب في عصرهم فيها صريح اسم (محمد) وجادلوهم بها . ولكن بمرور الزمن بدأوا يخفون ذلك ويمحونه من كتبهم حتىٰ لم يبقوا له اسماً وذلك من عادتهم كما رأينا .

قال ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة اخرىٰ بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون فيها بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرىٰ »[1] .

ونقل ابن تيمية نصاً من سفر دانيال في نعت النبي ﷺ قال : « وقال دانيال النبي أيضاً : فلا يزال ملعونين (بني اسرائيل) عليهم الذلة والمسكنة حتىٰ ابعث نبي بني اسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي وبشرها وأوحي الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وأزينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوىٰ ضميره . . . أسري به إليّ وأرقيه من سماء إلى سماء حتىٰ يعلو فأدنيه وأسلم عليه وأوحي إليه ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة . . . فيدعو قومه إلىٰ توحيدي وعبادتي ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته النفخة وانقضاء الدنيا .

وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد »[1] .

ومن النصوص التي ورد فيها اسم الرسول صراحة في سفر أشعيا : « أنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد » فصرح باسمه عليه السلام ومكانه تصريحاً لا يحتمل التأويل[2] .

وقال دانيال عليه السلام : «ستنزع في قسيّك اغراقاً وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء » .

ونقل هذا النص الفخر الرازي والإمام القرافي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[3] « وقال أشعيا عليه السلام في نبوته معلناً باسمه عليه السلام : إني جعلت اسمك محمداً يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد »[4] .

وقال اشعيا : « قال إبرهيم خليل الله الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب . . . وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمداً » .

« فصرح عليه السلام بإسمه . . . ولا يكاد اشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه كأنه عليه ضربة لازب وحتم واجب »[5] .

« وقال اشعيا عليه السلام مخاطباً للناس عن محمد عليه السلام في نبواته : افهمي

(*) النصوص التي اخذناها من الكتاب المقدس هي من الطبعة العربية في بريطانيا بمطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩٥٢ الا اذا اشرنا الىٰ نسخة اخرىٰ.

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٢٧

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٤ ـ ٥

(٢) الاجوبة الفاخرة للامام القرافي ٢٥٥ وانظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٠، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٦

(٣) تفسير الرازي ٣/ ٣٧، الاجوبة الفاخرة ٢٥٩، الجواب الصحيح ٤/ ٣، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٨

(٤) الاجوبة الفاخرة ٢٥٤، الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٦، هداية الحيارى ٤٠٣.

(٥) الاجوبة الفاخرة ٢٥٤

أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن وخاضني بظل يمينه وجعلني كالسهم المختار من كنانته وحرزني لمسرة وقال لي : أنت عبدي فصرفي عدلي حق قدام الرب وأعمالي بين يدي إلهي فصرت محمداً عبد الرب وبإلهي حولي وقوتي »[1] .

وهذا النص مذكور في سفر اشعيا الآن في الاصحاح التاسع والأربعين إلا انه حذف منه اسم الرسول . جاء فيه : « اسمعي لي أيتها الجزائر واصغوا أيها الأمم من بعيد : الرب من البطن دعاني ، من أحشاء أمي ذكر اسمي وجعل فمي كسيف حاد في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبرياً في كنانته أخفاني . وقال لي أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد » .

وهذا شأنهم وديدنهم .

وقال اشعيا : « لتفرح البادية العطشى وتبتهج البراري والفلوات ولتزهو فانها ستعطي بأحمد مجلس لبنان . . . وسيرون جلال الله إلهنا »

وقد نقل هذا النص من كتبهم الماوردي والقرافي وابن القيم[2] .

وانظر هذا النص في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والثلاثين وقد حذف منه اسم الرسول .

« وقال داود عليه السلام في مزمور له : إن ربنا عظيم محمود جداً وفي قرية الله قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً » .

« فنص على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله تعالىٰ وأخبر ان كلمته تعم أهل الأرض وكان ذلك » . . .[3] .

وهذا النص مذكور في المزمور الثامن والأربعين من مزامير داود وقد حذف منه

---

(١) الاجوبة الفاخرة ٢٥٠

(٢) اعلام النبوة ٩٢، الاجوبة الفاخرة ٢٥٣، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ١٣

(٣) الاجوبة الفاخرة ٢٤٦ وانظر الجواب الصحيح ٣/ ٣١٩، هداية الحيارىٰ ٣٩٩ - ٤٠٠

اسم الرسول .

إلىٰ غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أوردها المستدلون .

والذي يبدو ان اسم الرسول ﷺ كان في بعض النسخ إلىٰ عصر متأخر جداً « قال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه المسمىٰ خلاصة سيف المسلمين الذي هو في لسان الاردواي الهندي في الصحيفة الثالثة والستين أن القسيس أوسكان الارمني ترجم كتاب اشعيا باللسان الارمني في سنة ألف وستمائة وست وستين وطبعت في سنة ١٧٣٣ وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها :

« ١١ سبحوا الله تسبيحاً جديداً وأثر سلطنته علىٰ ظهره واسمه أحمد » . انتهت وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها . انتهى كلامه »[1] .

---

(٥) الجواب الفسيح ٩٧

طائفة من بشارات أهل الكتاب

البشارة الأولى

جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين :

« ١٧ ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما لك يا هاجر ؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . ١٨ قومي إحملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة . . . . ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس . ٢١ وسكن في برية (فاران) . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » . والغلام المذكور هو اسماعيل عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السادس عشر :

« ١٥ فولدت هاجر لابرام ابناً ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل » وابرام هو ابرهيم عليه السلام كما جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السابع عشر : « ٥ فلا يدعى اسمك بعد (ابرام) بل يكون اسمك (ابراهيم) »

واسماعيل عليه السلام هو أبو سيدنا محمد وأبو العرب فسمى أمة محمد أمة عظيمة وجاء في (سفر التكوين) في الاصحاح السابع عشر :

« ٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك منه ها أنا أباركه وأكثره كثيراً جداً »

والنص العبري لهذه العبارة هو :

« هِنّي بِيرَخْتِي اوتُو وهِفْرِيتي اوتُو وهِربيتي اوتُو بماد ماد » بامالة (بماد ماد) [illegible] واو.

ومن عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة [illegible]

جهة الحساب فلو حسبنا لفظ (بماد ماد) بالجمل لكانت جمل (محمد) بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار في إنباته »[1]

وجاء في (هداية الحيارى من اليهود والنصارى) لابن القيم « وفي بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية . . وأما في اسماعيل فقد قبلت دعاك قد باركت فيه وأثمره وأكثره بماد ماده . . . وقد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون معناه : جدا جداً أي كثيراً كثيراً . . . وقالت طائفة اخرى بل هي صريح اسم محمد قالوا ويدل عليه أن الفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية فإنهم يقولون لاسماعيل شماعيل ولموسى موشي وقدسك قدشخاوتأمل قوله في التوراة : « نابي أقيم لاهيم مقارب آخهم كاموخاء الاؤه يشماعون » وان معناه : نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك له يسمعون ، ونظائر ذلك أكثر من أن يذكر فإذا أخذت لفظ (مؤدمؤد) وجدتها أقرب شيء إلى لفظ (محمد) وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية . . . ويدل على ذلك أداة الباء في قوله (بمؤد مؤد) ولا يقال عظمه بجداً جداً بخلاف أعظمه بمحمد »[2]

وقال : « وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم أن (مئذ مئذ) هو محمد هو بكسر الميم والهمزة وبعضهم بفتح الميم ويدنيها من الضمة .

قال ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد »[3] .

والإمام ابن القيم ـ فيما أرى ـ مصيب في أن معنى (بماد ماد) (بمحمد) أي « وأثمره وأكثره بمحمد) فإن الباء تمنع ما ذكره المترجمون فإنه لا يقال : عظمه بجداً جداً وإنما يقال : عظمه جداً جداً بخلاف : اعظمه بمحمد .

و (ماد ماد) اقرب شيء إلى اسم (محمد) .

---

[1] قصص الانبياء ٢٩٣

[2] هداية الحيارى ٣٧٨ ـ ٣٧٩ وانظر الجواب الفسيح ٨٥

[3] هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٥

البشارة الثانية

جاء في سفر (التثنية) في الإصحاح الثامن عشر :

«١٨ أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ١٩ ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . ٢١ وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ » فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه»

***

في هذا النص امارات توضح هذا النبي المبشر به فقد جاء فيه :

١ ـ قوله (اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم) أي ليس من بني إسرائيل لأنه لو كان من بني اسرائيل لقال (منهم) لا من اخوتهم كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) .

واخوة بني اسرائيل هم العرب لأن بني اسرائيل هم اولاد إسحاق بن إبراهيم والعرب اولاد اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام . فهو قال : من وسط اخوتهم أي من أبناء اسماعيل .

ثم قوله (من وسط اخوتهم) ينطبق على الرسول لأنه من اوسط العرب أي من احسنهم نسبا كما قال المغيرة بن شعبة للمقوقس حين سأله : كيف نسبه في قومه ؟

فقال : هو أوسطهم نسباً[1]

٢ ـ قوله (مثلك) أي صاحب شريعة مثل موسى ولم يقم في بني اسرائيل نبي مثل

(١) الجواب الصحيح ١/ ٩٩

موسى كما جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الرابع والثلاثين : «١٠ ـ ولم يقم بعد ذلك من بني اسرائيل مثل موسى» .

٣ ـ قوله (أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) أي يكون أميا يقرأ كتاب الله قراءة في فمه لا من الصحف، ولا ينزل عليه ألواحا كما أنزل التوراة على موسى فانها نزلت مكتوبة في الالواح كما جاء في (التوراة) (سفر الخروج) في الاصحاح الحادي والثلاثين :

«١٨ ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي حجر مكتوبين باصبع الله» .

وكما جاء في القرآن : «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء» (الأعراف ١٤٥) .

وهذا النص مصداق قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) (الأعراف ١٥٧) .

٤ ـ قوله (ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه) . ومعنى (أطالبه) : أنتقم منه . وقد ورد في ترجمة اخرى (أنا أنتقم منه) وهو كذلك في الترجمات القديمة (انظر الأجوبة الفاخرة ص ٢٧٣) .

وهذه علامة من علامات صدق الرسول محمد فقد انتقم الله من الذين حاربوا رسول الله ولم يسمعوا لكلام الله الذي تكلم به من المشركين ومن اليهود والنصارى فتحققت هذه النبوءة .

٥ ـ قوله (وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبي) .

ومعنى (فيموت ذلك النبي) يقتل وإلا فالموت لا مفر منه وهو النص الأصلي عبارة : «فأما النبي الذي يجترىء بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقول أم

باسم آلهة اخرى فليقتل»(١)

وقد بدلها النصارى الى (يموت) لسبب سنذكره .

وهذه آية من آيات صدق محمد فان محمداً لم يقتل على كثرة المحاولات وهذه الفقرة مصداق قول الله تعالى: (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) .

جاء في (إظهار الحق) : «أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره يقتل فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا حقا لكان يقتل . وقد قال الله في القرآن المجيد أيضا (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وما قتل بل قال الله في حقه (والله يعصمك من الناس) وأوفى بوعده»(٢) .

ثم ذكر أن علامة النبي الكاذب ان يذكر أمور فلا تحدث ولا تتحقق ورسول الله كما اسلفنا ـ كان يخبر بالأمور فتقع كما هي كما قال حسان:

وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

ويزعم أحبار اليهود الآن أن هذه البشارة في يوشع بن نون فتى موسى وهذا لا يصح لأمور :

١ ـ يوشع من بني اسرائيل لا من اخوتهم.

٢ ـ ليس يوشع ذا شريعة مثل موسى بل هو متبع لموسى .

٣ ـ إن قوله «(اجعل كلامي في فمه) اشارة أن ذلك المبشر به نبي ينزل عليه كتاب وإلى كونه أمياً حافظا للكلام واعياً له في صدره ضابطاً له في قلبه لا بواسطة لوح والقلم وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه عليه السلام»(٣) .

٤ ـ جاء في (سفر التثنية) أنه لم يقم نبي من بني اسرائيل مثل موسى .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ ، الجواب الفسيح ٧٥
(٢) إظهار الحق ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥
(٣) الجواب الفسيح ٧٦

٥ ـ وقع في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) كما جاء في (سفر الاعمال) الباب السابع الفقرة ٣٧ ويوشع عليه السلام كان حاضراً عند موسى داخلاً في بني اسرائيل نبيا في هذا الوقت (١) .

فلا ينطبق عليه هذا النص .

ويزعم النصارى ان هذه بشارة بعيسى عليه السلام وهو مردود بأمور منها :

١ ـ إن عيسى من بني اسرائيل لا من اخوتهم.

٢ ـ يزعم النصارى أن عيسى إله وليس نبيا وهذه البشارة تخبر عن ظهور نبي ، كما جاء فيها (أقيم لهم نبيا) فلا تنطبق على عيسى . ثم ان موسى وغيره على حد زعم النصارى انما هم عباد للمسيح فكيف يصح ان يكون (مثل موسى)؟ والبشارة تقول (أقيم لهم نبيا مثلك) .

٣ ـ ثم أن هذا لا ينطبق على عيسى لأن عيسى قتل وصلب كما يزعم النصارى(٢) . بل لو جارينا النصارى لوجدنا ان عيسى ـ برأه الله ـ إنما قتل لأنه اخبر بأمور كاذبة وهذه علامة النبي الكاذب كما جاء في هذا النص .

فقد اخبر عيسى ـ كما ذكرنا سابقا ـ إنه سيبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال في باطن الأرض ولكنه لم يبق الا ليلة السبت ويومه وليلة الأحد كما تذكر الأناجيل .

ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى في الاصحاح التاسع :

«١٨ وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً ان إبنتي الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا . ١٩ فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . . . ٢٣ ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمّرين والجميع يضجّون ٢٤ قال لهم: تنحّوا فان الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه . ٢٥ فلما أخرج الجميع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبيّة . ٢٦ فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها » .

وانظر مرقس ٥ : ٣٥ ـ ولوقا ٨ : ٤٩ ـ

(١) انظر إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٥
(٢) انظر إظهار الحق ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٥

فإن الصبية كانت قد ماتت وقال : هي لم تمت لكنها نائمة ، وهذا كذب .

ولما كان عيسى اخبر بأمور لم تحدث قتل تطبيقا للبشارة . أفيرغب النصارى في ذلك؟ ولذلك بدلوا في كثير من طبعاتهم عبارة (فيقتل) إلى (فيموت) حتى لا تنطبق على عيسى .

وقد تقول إذا كان عيسى كاذبا فكيف احدث مثل هذه المعجزة؟

فنقول : إن الإنجيل أجاب عن مثل هذا فقد جاء في إنجيل متى ٢٤ : ٢٤ «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا» .

وقد يقال لعل القصد بقول البشارة (فيموت ذلك النبي) إن تعاليمه تموت ولا تنتشر دعوته ، فنقول إن دعوة محمد ﷺ طبقت الأرض وعمت العالم كما قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فكان هو المقصود .

البشارة الثالثة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثالث والثلاثين :

«٢ جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم» .

وفي طبعة رجارد واطس في لندن سنة ١٨٢٢ م :

«جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة نار» .

وبين النصين بعض اختلاف . ففي طبعة لندن ١٩٥٢ وطبعة بيروت (واشرق لهم) وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة رجارد واطس (واشرق لنا) .

وفي طبعة لندن سنة ١٨٢٢ عبارة (ومعه الوف الأطهار)وكذلك في طبعة لندن سنة ١٨٤٨ . وأسقط هذه العبارة بعض المترجمين لغرض في نفوسهم.

وهذا النص ينطبق انطباقا تاما على سيدنا محمد فقد ذكرت هذه البشارة مواطن الرسالات الثلاث فقد ذكرت (سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى و(ساعير) في أرض الخليل وهو موطن عيسى و(فاران) وهي مكة كما هو معلوم من كتب اللغة وكتب أهل الكتاب (انظر تاج العروس شرح القاموس مادة : فرن) .

فذكر النص أن الرب استعلن من جبل فاران أي من جبل مكة وهذا ما حصل فقد نزل الوحي على سيدنا محمد في أعلى جبال فاران وهو جبل حراء الذي فيه غار حراء .

ثم قال (ومعه الوف الأطهار) وهذا ينطبق على محمد وصحبه فقد كانوا ألوف الأطهار كما قال تعالى في وصف أصحاب محمد (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (التوبة ١٠٨) .

وأسقط بعض المترجمين هذه العبارة ليطمسوا شيئا من نور البشارة ولكن هيهات.

جاء في (الأجوبة الفاخرة) : «سينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى . وساعير هو جبل الخليل بالشام وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه ، وفاران جبل بني هاشم الذي كان محمد عليه السلام يتحنث فيه ويتعبد . . .

وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب»[1] .

وقال ابن القيم : «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى الناصرة . . . وجبال فاران هي جبال مكة قال [محمد بن قتيبة] : ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة فان ادعوا أنها غير مكة . . . قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران، وقلنا : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران . . .

قال شيخ الاسلام : وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة حراء الذي ليس حول مكة أعلى منه وفيه ابتدىء رسول الله ﷺ بنزول الوحي عليه وحوله جبال كثيرة وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا إرسال محمد ﷺ . . .

وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل انما ربي بمكة وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت فعلم قطعا ان فاران هي ارض مكة»[2] .

وقال الماوردي : «واشراقه من ساعير إنزاله الانجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ . وفاران هي جبال مكة في قول الجميع»[3] .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٣٨ - ٢٣٩

(٢) هداية الحيارى ٣٨٩ - ٣٩٢ وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/ ٣٠٠ وما بعدها، الفصل في الملل لابن حزم ١/ ٨٨

(٣) أعلام النبوة ٩١، وانظر الجواب الفسيح ٦١ ، وانظر ص ٧٧، تفسير الرازي ٣/ ٣٧

وهذا ما ذكرته التوراة أيضا فقد جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الحادي والعشرين عن اسماعيل عليه السلام - كما ذكرنا في البشارة الأولى -: «٢١ وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» . ومعلوم أن اسماعيل سكن مكة بالاجماع .

والنص في التوراة السامرية التي صدرت في سنة ١٨٥١ أن اسماعيل «سكن برية فاران بالحجاز وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر»[1] .

وهذا لا يحتاج إلى إيضاح فهو مجمع عليه وقد بقي اسم فاران يطلق على الجبال المحيطة بمكة إلى القرن الثامن الهجري كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قال : «وذلك يسمى فاران إلى هذا اليوم» وربما كان يطلق إلى فترة طويلة بعد هذا القرن .

وهذا نص في موطن الرسالة، ويشبه هذا النص قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فقد ذكر (التين والزيتون) وهما موطن عيسى وكثيراً ما تردد في الانجيل اسم جبل الزيتون، وذكر طورسينا وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وذكر مكة فقال (وهذا البلد الأمين) فجمع مواطن الرسالات الثلاث كما في نص التوراة [2] .

(١) مطلع النور ١٨

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠ وما بعدها.

البشارة الرابعة

جاء في (سفر حبقوق) في الإصحاح الثالث :

«الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور . . . قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض. نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم. مسالك الأزل له».

وهذا النص فيه شيء من التغيير فقد ذكرت المصادر القديمة هذا النص هكذا :

«إن الله تعالى جاء من التيمن والقدوس من جبل فاران. لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده. . . قام فمسح على الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة . . . يا محمد ادنو لقد رأتك الجبال فارتاعت. . .»[1] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :«وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن وهي ناحية مكة والحجاز فإن انبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد ﷺ جاء من ناحية اليمن»[2] .

وفي أعلام النبوة للماوردي والتفسير الكبير للفخر الرازي هكذا : «جاء الله من طور سيناء وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود»[3] .

فقد ذكر في هذه البشارة اسمه وبلده. ويقرأ اليهود والنصارى هذه النصوص ويقولون إن صاحبها لم يظهر بعد.

---

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٥٧ وانظر الجواب الصحيح ٣/ ٣١٣، ٣٣٠، وهداية الحيارى ٣٩٣، بهامش ذيل الفارق.

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣١

(٣) أعلام النبوة للماوردي ٩٣ ، تفسير الرازي ٣/ ٣٧

البشارة الخامسة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الحادي والعشرين :

«١٣ وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين «١٤ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه «١٥ فانهم من امام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب.

«١٦ فانه هكذا قال لي السيِّد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قسي إبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم».

وفي طبعة الموصل (وحيٌ على العرب).

هذا النص فيه دلالة صريحة على نبوة محمد فقد نزل الوحي على محمد في الوعر في بلاد العرب في غار حراء وهو جبل وعر ولم ينزل في السهل.

وقد ذكرت البشارة هجرة محمد ﷺ فقالت : (هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه) و(تيماء) من أعمال المدينة.

وقوله (فانهم من امام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب) ينطبق على محمد ﷺ فقد اجتمع عليه رجال من قريش لقتله ﷺ فأنجاه الله منهم. وقد حاربته قريش حربا شديدة لا هوادة فيها مدة ثلاثة عشر عاما.

ثم أشار هذا النص إلى وقعة بدر التي وقعت بعد سنة واحدة من الهجرة وذكر انتصار الرسول فيها قال النص : «فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار وبقية عدد قسيّ ابطال بني قيدار تقل».

وهذا الذي حصل فانه بعد سنة كسنة الأجير انتصر الرسول وجبابرة قيدار قد هلكوا .

وفي طبعة لندن سنة ١٨٤٨م هكذا : «في مدة سنة كسنة الأجير تفنى جبابرة قيدار» .

وفي طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ وطبعة لندن سنة ١٨٢٢ هكذا : «وبقية عدد أصحاب القسيّ الجبابرة من بني قيدار يتقللون» .

وبنو قيدار هم العرب ـ كما هو معلوم ـ فان قيدار هو ابن اسماعيل جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح الخامس والعشرين :

«١٢ وهذه مواليد اسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجَر المصرية جارية سارة لابراهيم .

١٣ وهذه أسماء بني اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل وقيدار . . .»

جاء في (هداية الحيارى) : «قيدار جد النبي ﴿ﷺ﴾ وهو أخو بنايوت بن اسماعيل»[1] .

وجاء في (الفارق) ان هذا النص «اشارة الى هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة واستقبالهم له واضافتهم إياه وقيامهم بخدمته وخص أهالي تيماء لأنهم صالحوا النبي ﴿ﷺ﴾ وتيماء هي في وادي القرى من أعمال المدينة كما ذكره ياقوت»[2] .

(١) هداية الحيارى ٤٠٢
(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ٣٩٨

البشارة السادسة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :

«١١ لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» .

●

وهذا النص واضح في التبشير بمحمد فقد أشار إلى بلاد العرب وهي الديار التي سكنها قيدار وطلب منها ان تبتهج . ثم ذكر المدينة المنورة فقال : «لتترنم سكان سالع» وسالع هو «سَلع» وهو جبل في باب المدينة كما هو اسمه إلى الآن وهو سالع بالعبرانية .

جاء في (الفارق) : «فان (سالع)هو (سلع) جبل في باب المدينة كما في مراصد الأطلاع لياقوت والقاموس وغيرهما من كتب الجغرافيا واللغة . وأما (سالع) بالألف فلم يذكروه والظاهر ان الألف حصلت من اشباع الفتحة في اللغة العبرانية»[1] .

وهذا النص صريح في التبشير به ﴿ﷺ﴾ . فأنت ترى ان الكتب السماوية ذكرت اسمه ونشأته ومكان نزول الوحي وهجرته وخص المدينة بالذكر لأنها دار هجرته ومستقره، فهل هناك من دلالة أوضح من هذه؟

قال ابن سعد في الطبقات : «أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﴿ﷺ﴾ عندهم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة»[2] .

فليحذفوا اسمه كما شاؤوا ولكن أليس في النصوص الباقية ما فيه الكفاية؟

(١) الفارق ٣٩٢
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد الأول ج ١ / ١٠٤

البشارة السابعة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح التاسع :

«٦ يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام .

٧ لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» .

في هذا النص اشارات الى محمد (ﷺ) من وجوه :

١ ـ قوله (وتكون الرياسة على كتفه) ويعني بهذا خاتم النبوة الذي على كتف محمد (ﷺ) وفي النسخ القديمة (والشامة على كتفه)[1] . وهي علامة بدنية جعلها الله في بدنه زيادة في التوضيح اضافة إلى العلامات الأخرى. جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن السائب بن يزيد قال : «ذهبت بي خالتي إلى النبي (ﷺ) فقالت : يا رسول الله إن ابن اختي وجعٌ. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة» .

وأخرج مسلم نحوه في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : «رأيت خاتما في ظهر رسول الله (ﷺ) كأنه بيضة حمام» .

وجاء نحوه فيه عن عبد الله بن سرجس .

قال حسان :

أغر عليه للنبوة خاتم　　　من الله ميمون يلوح ويشهد

٢ ـ قوله (ويدعى اسمه عجيباً) أي ليس له نظير فيما عهد بنو إسرائيل من الأسماء ، ثم أن اسمه عجيب في قومه وقد عجب قومه من عبد المطلب حين سماه بهذا

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٥٥ ، الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٧

الاسم .

٣ ـ قوله (مشيراً إلهاً قديراً) وهذا النص من تحريفات بعض الطبعات النصرانية وهو في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ (مشاوراً الله) أي لا يقول من نفسه ولا يصدر عن هوى كما قال تعالى في محمد (وما ينطق عن الهوى) .

والغرض من هذا التحريف في بعض الطبعات هو إبعاد البشارة عن محمد ومحاولة تطبيقها على عيسى لأن عيسى بزعمهم إله ، وبقية النص تأبى ذلك .

جاء في (إنجيل لوقا) في الاصحاح الأول في بشارة الملاك لمريم :

«٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا تسمينه يسوع . ٣٢ هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ٣٣ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية» .

وقد ذكرنا هذا النص وفندنا تطبيقه على عيسى .

٤ ـ قوله (أبا أبديا) أي لا تنقض طاعته ولا تنسخ شريعته إلى الأبد وهذه هي شريعة محمد .

٥ ـ قوله (رئيس السلام) : ورئيس السلام هو الذي يقر السلام ويدعمه وينشره ومحمد كذلك فان دين الاسلام مشتق من لفظ السلام وتحية الاسلام هي (السلام عليكم) والمسلمون (إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ، وقال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) .

وهو الذي نشر السلام بين الناس فلم يضطهد أحدا بسبب عقيدته المخالفة للاسلام كما قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال : «وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» .

وكان نصارى الشام وغيرهم يتنعمون ويأمنون في ظل الاسلام ما لم يتنعموا في ظل نصارى الروم ولذلك قالوا للمسلمين : «انتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا» فعاشت الفرق المتباينة المتخالفة في ظل أمن وسلام .

وهذا النص لا ينطبق على المسيح فإنه قال : (ما جئت لألقي سلاماً على الأرض

بل سيفا) فلا يكون رئيساً للسلام .

٦ ـ قوله : «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد» .

وهو في طبعة لندن سنة ١٨٢٢ هكذا: «ليكثر سلطانه وسلامه ليس له فناء على كرسي داود وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل منذ الآن وإلى الأبد» .

أي تكون القدس جزءا من مملكته وهو يقيمها ويعضدها بالانصاف والعدل وهو كذلك فان القدس وفلسطين أصبحت جزءا من دار الإسلام وأقامها وعضدها بالانصاف والعدل وستكون كذلك إلى الأبد. وأما ما تراه من سيطرة اليهود فهي سيطرة مؤقتة كسيطرة الصليبيين، وسنرى مصداق قول الرسول فيهم إن المسلمين سيقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .

البشارة الثامنة

جاء في (أشعيا) في الاصحاح الثاني والأربعين :

«هوذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سُرّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأمم. ٢ . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبةٌ مرضوضةٌ لا يقصف وفتيلةٌ خامدة لا يُطفيء. يُخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» .

وهذه صفات رسول الله محمد فقد وضع الله روحه عليه كما قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا) .

وكان (ﷺ) لا يصيح ولا يرفع صوته فما كان (ﷺ) صخابا ولا فاحشاً ولا يسمع في الشارع صوته وقد ذم القرآن الذين يرفعون أصواتهم فقال : «واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» .

وكان (ﷺ) متواضعا لا يقصف قصبة مرضوضة وقد شبه الرسول المؤمن بالنحلة التي إذا وقعت على عود نخر لم تكسره، قال (ﷺ) : «مثل المؤمن مثل النحلة إذا أكلت طيبا وإذا وضعت وضعت طيبا وإذا وقعت على عود نخر لم تكسره» .

وإنه (ﷺ) جاهد لم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض. ثم قال : (وتنتظر الجزائر شريعته) أي ان دعوته للعالم أجمع ليست خاصة بالعرب، وقد حصل ذلك فقد نشر المسلمون شريعة الاسلام في العالم أجمع .

وإكمال هذا النص من طبعة لندن سنة ١٨٤٨ : «أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم. . .» فإن الله تعهد بحفظه بقوله «فامسك بيدك وأحفظك» وهو مثل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) [١] وكان كما وعد .

---

(١) ذيل الفارق ٧٧ـ٧٩

وأما قوله (وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم) فهو كقوله تعالى : «يا أيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» .

وفي النسخ القديمة (مشفّح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة) .

ومعنى (مشفّح) محمد. قال أبو محمد بن قتيبة : «مشفح محمد بغير شك واعتبا إنهم يقولون شفحا لاها إذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله وإذا كان الحمد شفحا فمشفح محمد بغير شك(١)» .

وعند النصارى إن هذا النص في المسيح كما جاء في إنجيل متى في الاصحاح الثاني عشر: ٢٤

ولما كان النص في (اشعيا) كما ذكرنا (هوذا عبدي) والمسيح في عقيدتهم إله حوله الكاتب إلى (هوذا فتاي) ليسهل القول بأنه ابن الله ولئلا يتناقض .

والعجيب أنه في الطبعة الواحدة تجد هذين النصين ففي (اشعيا) تجده (هوذا عبدي) وفي (متى) تجده (هوذا فتاي) ويحيلك إلى اشعيا . وهو في غاية العبث.

ثم كيف ينطبق هذا على المسيح الذي أهين وقتل وبصق عليه ـ كما يقولون ـ وهرب أصحابه أكثر من ثلاثة قرون مطاردين وهذا النص يقول «يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض»؟

إنه تمحل عجيب في تطبيق النص وذو اللب يقرأ ويفهم .

(١) هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٥

البشارة التاسعة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والعشرين من طبعة لندن سنة ١٨٢٢ :

« ٧ قال لي الرب إذهب وأقيم الديدبان ليخبر بما يرى. فأبصر مركب فارسين أحدهما راكب حمار والآخر راكب جمل وتراقب حريصا تراقبا شديدا. . . وإذا برجل راكب زواجا من الفرسان فأجاب وقال: سقطت قد سقطت بابل وجميع أصنام آلهتها إنكسرت ملقاة إلى الأرض» .

والنص في النسخ القديمة هكذا : «قيل لي قم ناظراً فانظر ماذا ترى؟ فقلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقط بابل وأصنامها للمنجر»(١) .

قال ابن تيمية : «قالوا فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد ﷺ وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار. وبمحمد ﷺ سقطت بابل» .(٢)

وقال القرافي : » فراكب الحمار المسيح عليه السلام وراكب الجمل محمد عليه السلام . . . ومحمد عليه السلام اسقط اصنام بابل وغيرها «(٣)

وجاء في (الفارق) : «والمراد براكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد عليهما افضل الصلاة والسلام إذ لم يسمع عن عيسى إنه ركب الإبل بل الجحش حين دخل إلى اورشليم» .(٤)

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨، الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٣، هداية الحيارى ٤٠٠
(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٣
(٣) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨
(٤) الفارق ٣٩٧

البشارة العاشرة

قال (اشعيا) في الاصحاح الرابع والخمسين :

«ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد . اشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب . أوسعي مكان خيمتك ولتُبسط شقق مساكنك . لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي أوتارك لأنك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك امما ويعمر مدنا خربة . لا تخافي لأنك لا تخزين . ولا تخجلي لأنك لا تستحين . فإنك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل اله كل الأرض يدعى . . . لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وباحسان ابديّ أرحمك قال وليك الرب . . . فان الجبال تزول والآكام تتزعزع أما احساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هاأنذا أبني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً . بالبرّ تثبّتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك . . . من اجتمع عليك فاليك يسقط . . . كل آلة صُورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب» .

وواضح أنه يعني في هذا النص مكة المكرمة وذلك من وجوه :

١ - قوله (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد) فهو يعني بالعاقر مكة لأنها لم تلد نبيا قبل محمد . فمحمد أول نبي ظهر فيها قال تعالى «لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون» وقال «لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «يعني بالعاقر مكة لأنها لم تلد قبل محمد النبي ﷺ نبيا ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي وقد ولد أنبياء كثيرا» [1] .

٢ - قوله (ويرث نسلك أمما ويعمر مدناً خربة) وهم العرب الذين خرجوا برسالة الاسلام ورثوا الأمم وعمروا مدنا خربة كما قال .

٣ - قوله «ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى» أي يدعى رب العالمين لا إله شعب معين كما في التوراة إن الله إله إسرائيل وربهم. قال تعالى (الحمد لله رب العالمين) .

٤ - قوله (فان الجبال تزول والآكام تتزعزع أما احساني فلا يزول عنك) ذلك لأن رسالة الإسلام خالدة وهي خاتمة الشرائع وتعظيم البيت من شعائره وهو كذلك إلى قيام الساعة .

٥ - قوله (هاأنذا ابني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك . . .) ولم توجد هذه الصفات الا لمكة (ولأن المهدي من بني العباس والملوك قبله وبعد تأنقوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللازورد وحلت تيجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر» [2] .

٦ - قوله (وسلام بنيك كثيراً) وذلك لأن تحية المسلمين السلام فهم يحيّ بعضهم بعضا بقوله (السلام عليكم) .

٧ - قوله (بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك) وذلك لأنه حرم آمن قال تعالى «أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم» وقال «ومن دخله كان آمنا» وذلك ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) فإذا رأى الرجل قاتل أبيه في الحرم لا يتعرض له .

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٧ وانظر هداية الحيارى ٤٠٢

(٢) الأجوبة الفاخرة ٢٤٩

وقوله (بعيدة عن الظلم) مصداق قوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم).

٨ ـ قوله (من اجتمع عليك فإليك يسقط. . . كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه) وهذا حق فمن أراد بيته بكيد أذله الله وأهلكه كما فعل ربنا بأصحاب الفيل.

أفهناك اوضح من هذا النص على قدسية مكة وتشريفها وتشريف أهلها حملة رسالة الإسلام؟

البشارة الحادية عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الستين :

«قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب اشرق عليك لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامسُ الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك.

إرفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاؤوا اليك . يأتيك بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم ، تغطيكِ كثرة الجمال بُكران مديان وعيفة كلها تأتي من سبأ تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك . تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي . . . .

وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. . . وتنفتح ابوابك دائما . نهاراً وليلاً لا تغلق. . . وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض. غصن عزّي عمل يديّ لأتمجد. »

وهذا النص وصف لمكة وبيت الله الحرام ووصف للحج فإن في هذا النص اموراً :

١ ـ قوله : «قومي استنيري. . . لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض. . .» هذا وصف لحالة اهل الأرض عند اشراق نور الإسلام فقد كانوا في ظلمة حالكة كما قال تعالى «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس».

٢ ـ قوله (تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء اشراقك) وهذا حق فقد سارت الأمم ولا تزال تسير في نور الإسلام وإشراقه.

٣ ـ قوله (قد اجتمعوا كلهم جاؤوا إليك ، يأتيك بنوك من بعيد) هذا وصف لمشهد الحج فإن المسلمين يجتمعون ويأتونها من بعيد .
وفي النسخ القديمة (وتحج إليك عساكر الأمم)[1] وهو كذلك .

٤ ـ قوله (تغطيك كثرة الجمال. . .) وهذا واضح في وصف قدوم وفد الحجاج فإنهم كانوا يجيئون على الجمال حتى تغطي مكة وكذلك عند النحر.

٥ ـ قوله (وتبشر بتسابيح الرب) وهذا وصف للتلبية عند الحج فإن الحاج يلبي من مكان الاحرام رافعا صوته بقوله «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

٦ ـ قوله (كل غنم قيدار تجتمع إليك وكباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحي)وهذا وصف للذبح في يوم النحر. وقيدار ونبايوت من اولاد اسماعيل كما ذكرنا.

٧ ـ قوله (وبنو الغريب يبنون اسوارك وملوكهم يخدمونك) وهذا شان كل مسلم، وملوك المسلمين وأمراؤهم في بقاع الدنيا يخدمون الكعبة المعظمة.

٨ ـ قوله (وتنفتح ابوابك دائما. نهاراً وليلاً لا تغلق) وهذا وصف للكعبة المعظمة فان ابوابها مفتوحة دائما لا تغلق لا في ليل ولا في نهار ولا ينقطع عنها الطواف في ساعة من ليل أو نهار.

٩ ـ قوله (وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض) وهم كذلك لأنهم خاتمة الأمم ونبيهم خاتم النبيين فهم يرثون الأرض كما قال تعالى في وصف هذه الأمة «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» فلا تأتي بعدهم أمة ولا دين حتى تقوم الساعة.

ولا ينطبق هذا الوصف على مكان آخر غير الكعبة المعظمة زادها الله تعظيما وتشريفا .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٨

البشارة الثانية عشرة

جاء في المزمور المائة والتاسع والأربعين من مزامير داود :

« ليبتهج الأتقياء بمجد . ليرنموا على مضاجعهم. تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ليجروا بهم الحكم المكتوب » .

وهذا النص في النسخ القديمة هكذا :

« ليفرح الخلاق بمن اصطفى الله تعالى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه »[1]. وهذا النص في وصف الأمة المحمدية من وجوه :

١ ـ قوله (يسبحونه على مضاجعهم) يشير إلى الذين وصفهم الله تعالى بقوله (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وهم المسلمون .

٢ ـ قوله (يكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة) يشير إلى رفع الأذان بالتكبير .

٣ ـ قوله (سيف ذو حدين في يدهم) وهذا وصف للسيوف العربية ذات الحدين .

٤ ـ قوله (ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد) وهذا ما حصل للأمة الإسلامية وجيش الإسلام فقد أسروا الملوك وكبلوا شرفاءهم بالحديد كالهرمزان وغيره .

قال الإمام القرافي : « يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم بالأذانات فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيوف العربية ذوات شفرتين والعجمية لها شفرة واحدة وانتقم الله تعالى بهم من الأمم »[2].

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٤٦، الجواب الصحيح ٣/ ٣١٤، هداية الحيارى ٣٥٩/ ١٨
(٢) الأجوبة الفاخرة ٢٤٦

البشارة الثالثة عشرة

جاء في (سفر التثنية) في الاصحاح الثاني والثلاثين :

« ٢١ هم أغاروني بما ليس إلها . أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً . بأمة غبية أغيظهم » .

وفي طبعة أخرى هكذا :

« هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم ».

والمراد بالشعب الجاهل العرب[1] وقد كان يسمى عصر ما قبل الإسلام الجاهلية قال تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) .

ونحو هذا النص ما جاء في (اشعيا) في الاصحاح الخامس والستين : « أصغيت إلى الذين لم يسألوا . وُجدت من الذين لم يطلبوني قلت ها أنذا لأمة لم تسمَّ باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد غير صالح وراء أفكاره »

وفي طبعة أخرى هكذا :

« طلبني الذين لم يسألوني قبل ووجدني الذين لم يطلبوني قلت : ها أنذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمي . بسطت يدي طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذي يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم . . . »

« فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني العرب لأنهم كانوا غير واقفين على ذات

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٤٩

الله وصفاته وشرائعه فما كانوا سائلين عن الله وطالبين له كما قال تعالى في سورة آل عمران : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) »[1] .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧

البشارة الرابعة عشرة

جاء في (اشعيا) في الاصحاح الحادي والأربعين :

« ٢ من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه . دفع أمامه أمماً وعلى ملوك سلطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المذري بقوسه . ٣ مرّ سالماً في طريق لم يسلكه برجليه . ٤ من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو » .

وهذا وصف لسيدنا محمد الذي أنهضه الله من المشرق ولاقاه النصر عند رجليه ووصف لأمته العظيمة .

ونحو هذا الوصف ما جاء في (أرميا) في الاصحاح السادس :

« هكذا قال الرب . هوذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض تمسك القوس والرمح . هي قاسية لا ترحم ، صوتها كالبحر يعج وعلى خيل تركب مصطفة كانسان لمحاربتكِ يا ابنة صهيون . سمعنا خبرها ارتخت أيدينا . أمسكنا ضيق ووجع كالماخض .

لا تخرجوا إلى الحقل وفي الطريق لا تمشوا لأن سيف العدو خوف من كل جهة » .

فالمراد بالأمة العظيمة التي تقوم من أقاصي الأرض هم العرب أهل القوس والرمح .

وقوله (قاسية لا ترحم) يصدقه قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم)

وقوله (تركب الخيل) واضح .

وقوله (مصطفة كانسان) يصدقه قوله تعالى (يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان

مرصوص) .

وقوله (ارتخت أيدينا . أمسكنا ضيق ووجع كالماخض) يصدقه قوله ﷺ (نصرت بالرعب مسيرة شهر) .

البشارة الخامسة عشرة

« قال حزقيال عليه السلام في نبوته يتهدد اليهود بنا : إن الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبياً وينزل عليهم كتاباً ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحـ ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلـ فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار »[1] .

ونقله في الجواب الصحيح عن دانيال . وجاء فيه : « وقال : تنزل الملائكة عل خيل بيض . وهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض فإ نزلت يوم بدر لنصر النبي ﷺ وأمته ونزلت يوم الأحزاب وأحاطت بـ قريظة »[2] .

قال تعالى في وقعة بدر : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالـ الملائكة مردفين » (الأنفال ٩)

وقال في الأحزاب : « فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » . جاء (صحيحي البخاري ومسلم) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « ر رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عليهما ثياب بيض كأشد القتا رايتهما قبل ولا بعد » .

---

(1) الأجوبة الفاخرة ٢٥٨ ، هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ص ٦

(2) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢

البشارة السادسة عشرة

جاء في (سفر دانيال) في الاصحاح الثاني :

« ٣١ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل . ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس . ٣٣ ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . ٣٤ كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما . ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها .

٣٦ هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك .

٣٧ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً . ٣٨ وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب . ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض . ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسّر كل هؤلاء . ٤١ وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين . ٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصما . . . ٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد . . . »

جاء في (إظهار الحق) : « فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بختنصر ، وبالمملكة

الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصر بن بختنصر كما هو مصرح في الباب الخامس من الكتاب المذكور وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة إلى سلطنة الكلدانيين . والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكيانيين لأن قورش ملك إيران الذي هو بزعم القسيسين كيخسرو تسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ، ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض . والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلقوس الرومي الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلثمائة وثلاثين سنة فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك فبقيت هذه السلطة ضعيفة إلى ظهور الساسانيين ثم صارت قوية بعد ظهورهم فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة . وتولد في عهد نوشيروان (محمد بن عبد الله) ﷺ وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقاً وغرباً وعلى جميع ديار فارس التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقتين بها فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي وملكها لا يعطى لشعب آخر »[1] .

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩

البشارة السابعة عشرة

جاء في (سفر التكوين) في الاصحاح التاسع والأربعين :

« ١٠ فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » .

وهذا النص هو من النسخ العربية المطبوعة سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٧٣ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٤ .

وفي ترجمة عربية سنة ١٨١١ (وإليه تجتمع الشعوب)[1] .

فالمراد بالقضيب الحكم والسلطة ، وقد زال القضيب من آل يهوذا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة [2] .

والمراد بالمدبر من فخذه عيسى لأنه من فخذ يهوذا فإنه بعد زوال حكم آل يهوذا لم يجيء صاحب شريعة إلا عيسى . جاء في إنجيل متى في الإصحاح الثاني : « ٦ وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعب اسرائيل » .

وهذا الكلام في حق عيسى فهو المدبّر .

وفي هذا النص دلالة على مجيء سيدنا محمد بعد زوال السلطة والحكم من آل يهوذا وبعد زوال المدبّر وهو عيسى .

قال فيه : « حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم » وفي طبعة أخرى (وإليه تجتمع الشعوب) وهذه صفات سيدنا محمد الذي له الكل وهو خاتم النبيين

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٥٢ ، الجواب الفسيح ٧٩
(٢) إظهار الحق ٢/ ٢٥٣

وإليه اجتمعت الشعوب .

وقد عبث المترجمون بهذا النص عبثاً عجيباً .

ففي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب » .

والمقصود بالرسم التدبير .

وفي الترجمة المطبوعة بلندن سنة ١٩٥٢ وطبعة بيروت سنة ١٩٦١ هكذا : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » .

« فانظر إلى اختلاف توراتهم التي يتمسكون بها ففي كل نسخة من نسخهم المطبوعة خلاف ما في النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد » (١)

(١) الجواب الفسيح ٣٨٧

البشارة الثامنة عشرة

جاء في (سفر ملاخي) في الاصحاح الرابع :

« فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً . . .

ها أنذا أرسل إليكم ايلياء النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الابناء وقلب الابناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن » .

و(ايليا) ليس علماً على شخص بل هو رمز . جاء في (انجيل مرقس) في الاصحاح الثامن : « ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أني أنا ؟

٢٨ فأجابوا يوحنا المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم : وأنتم من تقولون اني أنا ؟

فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . »

ونحن نرى أن المقصود بايلياء محمد لأمور :

١ ـ قوله (ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم المخوف) ومحمد خاتم النبيين وهو قد أرسل بين يدي الساعة كما قال « بعثت أنا والساعة كهاتين » وقرن بين اصبعيه الوسطى والسبابة . وقال : بعثت في نَفَس الساعة .

٢ ـ قوله (فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم) وهذه صفة محمد ﷺ الذي رد قلب الآباء على الابناء فمنع قتل الأولاد خشية الفقر (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) ومنع وأد البنات (وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) وأمر

بتربيتهم وتعليمهم .

ورد قلب الابناء على الآباء فجعل طاعة الوالدين بعد طاعة الله وجعل عقوقهما من الكبائر ومن الموبقات بل هو بعد الشرك بالله وأمر بطاعتهما وحسن معاملتهما والدعاء لهما « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »

وأمر بحسن صحبتهما ولو كانا مشركين « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .

٣ ـ ان ايلياء رمز عن أحمد « والدليل على ذلك أن اليهود كثيراً ما يراعون حساب ابجد في تفسير الآيات وهذا الحساب معتبر في شريعتهم ، وإذا لاحظنا هذه القاعدة في هذا الاسم اعني (ايلياء) نراه موافقاً لاسم (أحمد) لأن كلاً منهما ثلاثة وخمسون (ايلياء) (أحمد) وهم اسم نبينا عليه الصلاة والسلام »(١) .

وذهب النصارى إلى أن ايلياء هو يوحنا المعمدان أي يحيى عليه السلام بدلالة ما جاء في (انجيل متى) في الاصحاح السابع عشر :

« ١٠ وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن ايليا ينبغي أن يأتي أولاً ؟ ١١ فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء . ١٢ ولكنني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان . »

وهذا مردود بجملة أمور منها :

١ ـ ما قاله يوحنا عن نفسه حين سئل هل أنت إيليا ؟ فأجاب : لا وهو نص صريح في أنه ليس ايلياء والأنبياء منزهون عن الكذب .

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الأول :

(١) الفارق ٣٨٧

« ١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقرّ أني لست أنا المسيح . ٢١ فسألوه إذاً ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبيّ أنت ؟ فأجاب لا . . .

فسألوه وقالوا له فما بالك تعمّد ان كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟ » وهو واضح وصريح .

٢ ـ النصوص الأخرى المبثوثة في الأناجيل تنفي أن يكون إيليا هو يوحنا . جاء في (إنجيل لوقا) في شفاء المرضى في الاصحاح التاسع :

« ٧ لأن قوماً كانوا يقولون أن يوحنا قد قام من الأموات . ٨ وقوماً ان إيليا ظهر وآخر أن نبياً من القدماء قام . »

فهم كانوا ينتظرون ظهور إيلياء بعد موت يوحنا .

وجاء في (إنجيل مرقس) في الاصحاح الثامن :

« ٢٧ ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أني أنا ؟

٢٨ فأجابوا : يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء

٢٩ فقال لهم وأنتم من تقولون أني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . »

فنحن نرى أن المسيح لم يخبر تلاميذه أن إيليا هو يوحنا حين رآهم يفصلون بينهما .

وجاء نحو هذا النص في (إنجيل لوقا) في الاصحاح التاسع : ١٨ ، ١٩ .

وجاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي عشر :

« ١١ الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان .

ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه .

١٢ ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملكوت السماوات يغصب والغاصبون يختطفونه . ١٣ لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا .

١٤ وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. ١٥ من له أذنان للسمع فليسمع . »

فهذا النص صريح في أن إيليا هو غير يوحنا .

٣ ـ ثم ان النص الذي جاء في البشارة لا ينطبق على يوحنا لأن إيليا كما هو في النص يجيء قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم المخوف أي قبل يوم القيامة ومعنى ذلك أنه يكون آخر الأنبياء وإلا فجميع الأنبياء هم قبل يوم القيامة . ويوحنا ليس كذلك لأنه قتل في زمن عيسى . جاء في الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى أن هيرودوس قطع راسه وأحضره على طبق : « ١٠ فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . ١١ فأحضر راسه على طبق ودفع به إلى الصبيّة فجاءت به إلى أمها . ١٣ فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة إلى موضع خلاء منفرداً . »

وانظر إنجيل مرقس في الاصحاح السادس .

وعند النصارى أن تلاميذ المسيح هم رسُل كما جاء في إنجيل لوقا ١٧ : « ٥ فقال الرسل للرب زد إيماننا »

والرسل هنا هم تلاميذ المسيح والمقصود بالرب هنا المسيح تعالى الله عما يقولون ، و(بولس) عندهم رسول وعندهم رسل آخرون (انظر أعمال الرسل) فكيف ينطبق هذا النص على يوحنا المعمدان وقد جاء بعده رسل كثيرون كما يعتقد النصارى ؟

وعندنا أن عيسى رسول وقد عاش بعد يوحنا فلا يصح أن يكون يوحنا هو إيليا .

٤ ـ ثم أن ما جاء في البشارة أن إيلياء يرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الابناء على آبائهم أي تكون تعليماته نافذة يؤمن بها الناس ويطبقونها فيرد بها قلوب الآباء والأبناء .

وهذا لا ينطبق على يوحنا لأن بني إسرائيل كذبوه ولم يؤمنوا به ورفضوه وقتلوه .

قال المسيح كما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين . « ٣٢ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به . »

فهم إذن لم يؤمنوا به ورفضوا تعاليمه وقتلوه فكيف تنطبق عليه هذه البشارة ؟

إن هذه البشارة تنطبق على محمد الذي آمن به الناس وصدقوه ونفذوا تعاليمه فردّ قلوب الآباء والأبناء .

٥ ـ ثم أين التعليمات التي جاء بها يوحنا المعمدان بهذا الخصوص أو بغيره ؟

إننا لم نجد شيئاً من تعليمات يوحنا ولم تذكر الأناجيل عنها شيئاً فلا نعلم تعليماته بشأن الآباء والأبناء أو بغير هذا الشأن .

ولذا فإن البشارة لا تنطبق عليه وقد نفى هو ذلك عن نفسه ، فتكون هذه بشارة بظهور سيدنا محمد وهي تنطبق عليه تمام الانطباق .

البشارة التاسعة عشرة

جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع عشر :

« ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر ليثبت معكم إلى الأبد .

١٧ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . . .

٢٦ والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم . »

وفي الاصحاح الخامس عشر :

« ٢٦ وإذا جاء الفارقليط الذي أرسله إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب فهو يشهد لي . »

وفي الاصحاح السادس عشر :

« ٧ إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم .

« ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . . . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . »

هذه النصوص من طبعة الموصل سنة ١٨٧٦ . والفارقليط هو الحامد أو الحماد أو أحمد ونحوها .

جاء في (الأجوبة الفاخرة) : « والفارقليط عند النصارى الحماد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المخلص »[1] .

(١) الأجوبة الفاخرة ٢٣٩

وجاء في (هداية الحيارى) : « والفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد أما أحمد أو محمد أو محمود ونحو ذلك وهو في الإنجيل الحبشي برنقطيس . . . والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد أي حمد جيد »[1] .

وفي (سيرة ابن هشام) : « فلو قد جاء المنحمنا هو الذي يرسله الله إليكم من عند الرب . روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً . »

والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس[2] .

ويترجمه كثير من النصارى بالمعزي أو المخلص والصواب ما ذكرناه ، جاء في (قصص الأنبياء) : « فارقليط » وهو تعريب لفظ بيريكلتوس اليونانية ومعناها الذي له حمد كثير[3] .

وذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار أنه سأل العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق الايطالي وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة . وكان آنذاك في مصر :

ما معنى « بيريكلتوس » ؟

فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها « المعزي » .

فقلت : إني أسأل الدكتور « كارلونلينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً .

فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » .

فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من (حمد) ؟

(١) هداية الحيارى ٣٦٦ ـ ٣٦٨، الجواب الفسيح ٨١
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ وانظر هداية الحيارى بهامش قبل الفارق ١١
(٣) قصص الأنبياء ٣٩٧

فقال : نعم .

فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد) .

فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا .

وقد ازددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »[1] .

ثم إن ورود ترجمة لفظ (فارقليط) بلغات أخرى في الأناجيل المختلفة يوضح المقصود به فهو في الانجيل الحبشي (برنقطيس) وبالسريانية (المنحمنّا) وباليونانية (بيريكلتوس) وكلها تعطي معنى (محمد) .

فدل ذلك على أن المقصود به سيدنا محمد كما قال تعالى « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

ثم إن هذه النصوص تنطبق على سيدنا محمد بغض النظر عن معنى لفظة (الفارقليط) فإن قوله (ليثبت معكم إلى الأبد) يعني أن رسالته خالدة إلى يوم الدين ويبقى تشريعه نافذاً لا ينسخ .

وقوله (فهو يعلمكم بكل شئ) ينطبق عليه ﷺ الذي لم يترك سبيلاً من سبل الخير الا دلّ عليه ولا سبيلاً من سبل الشر إلا حذر منه . كما قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وقال يهودي لأحد الصحابة أن نبيكم يعلمكم كل شئ . فقال له : أجل إنه يعلمنا كل شئ .

وإن قوله (يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة) لهو أوضح دليل على صفات سيدنا محمد الذي بكت العالم على الخطية وأقامهم على البر . وفي بعض الطبعات (يوبخ العالم على خطية) . جاء في (الجواب الفسيح) : « أن قول

(١) قصص الأنبياء حاشية ص ٣٩٧ - ٣٩٨

عيسى عليه السلام (يوبخ العالم) بمنزلة النص الجلي على نبوة نبينا خاتم النبيين ﷺ لأنه كما هو معلوم . . . قد وبخ العالم . . . ومما يضحك الأطفال ما قاله القسيس راتكين في كتابه المسمى (رافع البهتان) الذي الفه في لسان الأوردو إن لفظ التوبيخ لا يوجد في الإنجيل ولا في ترجمة من تراجمه قال وإنما ذكره المسلمون ليصدق على محمد ﷺ صدقاً بيناً لأن محمداً وبخ وهدد كثيراً . انتهى . فنسخ الإنجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ (يوبخ) أو (يبكت) موجود فيها « الترجمة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٢٥ وفي التراجم الفارسية المتعددة الطبع . . . .

إن في هذه الأيام مترجمي العربية والفارسية وأوردو تركوا لفظ فارقليط في تراجمهم للإنجيل لشهرته عند المسلمين في النبي ﷺ »[1]

وقوله (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) واضح فقد أرشد محمد العالم إلى جميع الحق ولم يتكلم من نفسه بل كان يتكلم بما يخبره الله به كما قال تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وقوله (ويخبركم بأمور آتية) ينطبق عليه فقد كان هذا شأن سيدنا محمد فقد أخبر بأمور آتية في القرآن والحديث كاخباره بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين واخباره بانتصار الإسلام وظهوره على الأديان واخباره بظهور النار في الحجاز وغيرها من الأمور التي ذكرنا طرفاً منها .

وقوله (ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) يدل عليه أيضاً فقد مجد سيدنا محمد عيسى عليه السلام في القرآن الكريم قال تعالى « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين » .

ونزهه مما افترت عليه النصارى من ادعاء الربوبية ونزهه عن الكذب الذي ألصقته به وغير ذلك .

فهذه النصوص تدل على أن محمداً هو المقصود بهذه البشارات .

(١) الجواب الفسيح ٨٢-٨٣

البشارة العشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثالث : « ١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء فيه في الاصحاح الرابع : « ١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات » .

وجاء في هذا الاصحاح أيضاً : « ٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم في مجامعهم ويكرز (ببشارة الملكوت » .

وجاء فيه في الاصحاح السادس : « ٩ فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك . ١٠ ليأت ملكوتك » .

وفيه في الاصحاح الحادي والعشرين : « ٤٣ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره » .

وفيه في الاصحاح الرابع والعشرين : « ١٣ ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص . ١٤ ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتي المنتهى » .

وفي (إنجيل مرقس) في الاصحاح الأول : « ١٤ وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » .

معنى الملكوت

يظهر من هذه الفقرات أن المقصود بالملكوت هو دين جديد ينزله الله إلى الخلق وهو - فيما نرى - الإسلام ولا يصح أن يكون النصرانية لأن قوله (اقترب ملكوت السماوات) يمنع من ذلك لأن النصرانية دين حاصل لا مقترب . وكذا قوله (ليأت ملكوتك) فلو كان المقصود به النصرانية لم يصبح لهذا الدعاء معنى ، وكذا قوله « إن ملكوت الله ينزع منكم » أي أن الرسالة ستنتزع منكم وقد نزع منهم فعلاً وأعطي للعرب .

جاء في (كتاب الإنجيل والصليب) : « إذا سألتم راهباً مسيحياً ما هو الملكوت ؟ يجيبكم فوراً هو الكنيسة وإن لم يكن قد تشكل في زمن المسيح مثل هذه الكنيسة ومثل هذه الملة والجماعة . فالمسيح وتلاميذه كانوا يدخلون (السيناغوغا) المسمى (كنشت كنيس) كسائر اليهود ويصلون ويتعبدون ولم يخطر على باله احداث مذهب جديد أو جماعة جديدة وبناء على ذلك لم يتشكل ملكوت الله في زمن عيسى عليه السلام . . .

فالكنيسة المتخشعة الصارخة بضع مرات في كل يوم « ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ١٠) منذ أكثر من الف وتسعمائة سنة لم تكن غير الجماعة العيسوية يا للتضاد ، يا للعناد والعصيان ، لقد مضى تسعة عشر عصراً إلى الآن ننتظر قائلين (ليأت ملكوتك) فإن كان ملكوت الله هو الكنيسة فما بال الكنيسة تكرر بفمها ولسانها كل يوم هذا الدعاء وتطلب من الله ان يبعث لهم ملكوته ؟ »[1]

وادعاء أن المراد بالملكوت الكنيسة مردود ردها صاحب الكتاب ويردها الإنجيل نفسه . جاء في (إنجيل متى) ٢١ : ٤٣ « لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره » .

---

١) الإنجيل والصليب ٧٦ - ٧٧

فلا يصح أن يكون معناه الكنيسة إذ ما معنى أن الكنيسة تنزع منكم وتعطى لأمة تعمل اثمارها ؟ وهكذا بقية النصوص .

وإنما هو ـ كما ذكرنا ـ تبشير بدين جديد وهو الإسلام .

جاء في (اظهار الحق) : « فظهر أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت الله وبشر عيسى عليه السلام بالالفاظ التي بشر بها يحيى فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا في عهد الحواريين والسبعين بل كل منهم مبشر به ومخبر عن فضله ومترجٍّ لمجيئه فلا يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام وإلا لما قاله عليه السلام والحواريون السبعون إن ملكوت السماوات قد اقترب . . . فهو عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ »[1] .

وقد نزع الله ملكوته من بني إسرائيل وأعطاه لأمة تعمل اثماره وهي أمة الإسلام فكان كما أخبر السيد المسيح .

(1) إظهار الحق ٢/ ٢٧٢

البشارة الحادية والعشرون

جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الحادي والعشرين :

« ٤٢ قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا .

٤٣ لذلك أقول لكم أن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره .

٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » .

وهذا الحجر إنما هو سيدنا محمد،جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

قال ابن القيم : « وتأمل قوله [المسيح] في البشارة الأخرى : ألم تر إلى الحجر الذي أخره البناؤون صار رأساً للزاوية ، كيف تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون : هلاّ وضعت تلك اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة .

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : إن ذلك عجيب في أعيننا . وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى آخر » كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » وقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض »[1] .

(1) هداية الحيارى ٣٨١ ـ ٣٨٢

ونحو هذا النص ما جاء في (إنجيل متى) في الاصحاح الثامن :

« ١١ وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

وهذه بشارة تشير إلى ظهور أمة الإسلام التي تأتي من المشارق والمغارب وتكون مرضية عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

جاء في (الفارق) : « أيها المسيحي إذا أنصفت تحكم بأن هؤلاء الذين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية لأنكم مخاطبون حاضرون إذ قال المسيح سلام الله عليه يخبر عن قوم سيأتون في مستقبل الزمن وقد أخرجكم بقوله « وأما بنو الملكوت »[1] .

ونحو ذلك ما جاء في (إنجيل يوحنا) في الاصحاح الرابع :

« ٢٠ ـ ٢٤ قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لله » .

وهذا النص يشير إلى ظهور الدين الجديد وإنه سيتحول مركزه عن أورشليم ويشير إلى تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة ، قبلة أصحاب الدين الجديد ويصدقه قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة ١٤٤)

فقد كان المسلمون أول الأمر يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثم نزلت الآية بوجوب اتجاههم إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة .

---

(١) الفارق ٥٤

فانظر إلى قوله تعالى (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) أي يعلمون أن هذا التحول من بيت المقدس إلى الكعبة حق أخبروا به في كتبهم . هدانا الله إلى الصراط المستقيم .

البشارة الثانية والعشرون

ذكر صاحب كتاب (الإنجيل والصليب) أنه جاء في (إنجيل لوقا) ٢ : ١٤
« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد »

ولكن المترجين ترجموها في الإنجيل هكذا :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة »

ومؤلف الكتاب يرى أن الترجمة الصحيحة ما ذكره هو .

يقول المؤلف أن ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تحتويان … من المعاني تماماً فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية …

هاتان الكلمتان هما :

ايريني ـ التي يترجمونها : السلامة

و : أيودكيا ـ التي يترجمونها : حسن الرضا

فالأولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (ايريني) فقد … بكلمات (سلامة) (مسالمة) (سلام) .

والمؤلف يرى أن ترجمتها الصحيحة (إسلام) فيقول في ص ٤٠ : « ومن المعلوم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ويشتمل على ما تشتمل عليه الـ… (السلم ، السلام) (الصلح ، المسالمة) (الأمن ، الراحة) . . . وتتضمن … زائداً وتأويلاً آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ولكن قول الملائكة « على الأرض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة ؛ لأن جميع الكائنات … وعلى الأخص الحية منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا الـ… هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الو…

كالاختلافات والمحاربات والمنازعات . . . فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة » .

ثم يستشهد بقول المسيح « ما جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤)

ويستشهد بقول آخر للمسيح : « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩ ـ ٥٣)

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق ورسالة المسيح وأقواله والصواب (وعلى الأرض إسلام) . (انظر البحث من ص ٣٨ ـ ٤٤)

كما يرى أن (أيا دوكيا) بمعنى (أحمد) لا (المسرة أو حسن الرضا) كما يترجمها القسس وذلك لأنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (ايودوكيا) بل يقال (ثليا) .

ويقول أن كلمة (دوكوثه) هي بمعنى (الحمد ، الاشتهاء ، الشوق ، الرغبة ، بيان الفكر) . وها هي ذي الصفات المشتقة من هذا الفعل (دوكسا) وهي (حمد ، محمود ، ممدوح ، نفيس ، مشتهى ، مرغوب ، مجيد) .

واستشهد بأمثلة كثيرة من اليونانية لذلك . وقال : أنهم يترجمون (محمديتو) في (أشعيا ٦٤ : ١١) بـ (اندوكساهيمـون) ويترجمون الصفات منها (محمد ، أحمد ، أمجد ، ممدوح ، محتشم ، ذو الشوكة) بـ (ايندكسوس) .

واستدل بهذا التحقيق النفيس أن الترجمة الحقيقية الصحيحة لما ذكره لوقا هي (أحمد ، محمد) لا (المسرة) فتكون الترجمة الصحيحة لعبارة الإنجيل :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد »[1] .

(انظر التحقيق من ٤٥ ـ ٥٣)

---

(١) انظر كتاب (الإنجيل والصليب) للأب عبد الأحد داود ٣٤ ـ ٥٣

البشارة الثالثة والعشرون

جاء في (رؤيا يوحنا اللاهوتي) في الاصحاح التاسع عشر :

« ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب . ١٢ وعيناه كلهيب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله إسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو . ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله . ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً . ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخطِ وغضبِ الله القادر على كل شيء » .

وهذا النص ينطبق على سيدنا محمد ﷺ من وجوه :

١ ـ قوله (والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً) وهذه صفة رسول الله فقد كان يدعى الصادق الأمين قبل الرسالة ـ كما ذكرنا ـ . وفي طبعة الموصل (والجالس عليه يسمى الأمين الصادق) . وقد قال المغيرة إلى المقوقس حين سأله : كيف صدق حديثه ؟ قلنا : ما يسمى إلا الأمين من صدقه[1] .

٢ ـ قوله (وبالعدل يحكم ويحارب) وهذه صفة رسول الله وتعليمه قال تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » أي لا تحملكم عداوة قوم وبغضهم على عدم العدل بل اعدلوا .

وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

وكانت حروب رسول الله في غاية العدل والرحمة فقد كان يوصي أصحابه ألا يقتلوا امرأة ولا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا عابداً في صومعته ولا يقطعوا شجرة إلا

(١) الجواب الصحيح ١/ ٩٩

للأكل . وكانوا حافظين للوعود والعهود « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » قال تعالى « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » وقال : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

٣ ـ قوله (وعيناه كلهيب من نار) أي في عينيه حمرة وهذه صفة رسول الله ﷺ فقد كان لا تفارق عينيه حمرة[1] .

وفي طبعة الموصل (وكانت عيناه شبه وقيد النار) .

٤ ـ قوله (وعلى رأسه تيجان كثيرة) أي يستولي على أمم كثيرة فتكون تيجانها له . وهذا الذي حصل لمحمد وصحبه فقد استولوا على تيجان فارس وقيصر وغيرهما وقسموا خزائنها في سبيل الله .

٥ ـ قوله (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) وهذا شبيه بالنص الذي نقلناه سابقاً (ويدعى اسمه عجيباً) أي ليس اسمه من معتاد بني إسرائيل بل أن اسمه ﷺ ليس مما اعتاد العرب التسمية به كما ذكرنا .

٦ ـ قوله (وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله) يشير إلى الحروب التي أثارها ﷺ وأصحابه من بعده في سبيل الله وإرساء دعائم الإسلام ونشره فهذا إشارة إلى لباس الحرب .

وأما قوله (ويدعى اسمه كلمة الله) فهو ـ والله أعلم ـ من وضع المحرفين لأنها تتناقض والعبارة السابقة . (وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو) فكيف يذكر هنا أن (اسمه كلمة الله) ؟

ولعل المقصود أن اسمه عليه السلام ألقاه الله وعلمه للأنبياء السابقين في كلماته لهم فيكون اسمه على هذا كلمة الله .

٧ ـ قوله (والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض

(١) طبقات ابن سعد م ١ / ج ١ / ١٠٦ ، ٨٣ ، م ١ / ج ٢ / ١٢١ ، وانظر هداية الحيارى بهامش ذيل الفارق ١٨ ، ١٩ ، ٢١

تقياً) يعني أن الملائكة تنصره وتؤيده وتحارب معه وهذه صفة رسول الله فقد نزلت معه الملائكة وأيدته في بدر والأحزاب وغيرهما من الوقعات كما ذكر القرآن الكريم .

٨ ـ قوله (ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم) يشير إلى تعليماته النافذة التي تشبه السيف .

وفي طبعة الموصل (سيف ماض ذو حدين ليضرب به الأمم) وهذه صفة السيوف العربية كما أسلفنا .

جاء في (الفارق) : « أقول إن هذه الأوصاف لا تصدق إلا على أحمد ﷺ لأنه حارب وحكم بالعدل وهو المسمى بالصادق الأمين قبل النبوة وبعدها . وعيسى لم يسم بهذا الإسم . ثم نبينا وخلفاؤه استولوا على تيجان الملوك »[1] .

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ٤٠٠

بشارات من إنجيل برنابا

إنجيل برنابا :

برنابا قديس ممتلىء من الروح القدس تجله الكنيسة وتعظمه . وهو مذكور في (أعمال الرسل) بالتجلة والإكبار . جاء في (أعمال الرسل) ١١ : « ٢٢ ـ ٢٤ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى انطاكية . . . لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس » .

وجاء فيه ١٢ : « ٢٥ ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس » .

وجاء فيه ١٣ : « ٢ قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل » .

لهذا القديس إنجيل ينسب إليه ورد اسمه في طائفة الأناجيل الممنوعة قبل الإسلام . جاء في كتاب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) (إنجيل برنابا)

« ويقال أن البابا جلاسيوس قد حرم قراءة هذا الإنجيل سنة ٤٩٢ م . يعلن الدكتور تشارلس فرنسيس بوتر في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكشف) « أن انجيلاً يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول . والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل » .

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التي لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً ، وهذا هو سر التعجب فالمصادر التي تذكر هذه الأمور ـ كلها أجنبية غربية ـ قد ذكرت أن مخطوطاً آخر في الفيوم وآخر في مصر العليا »[1] .

وجاء فيه : « إن الأمر البابوي الذي أصدره البابا جلاسيوس الذي جلس على

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ٩٣

الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يبين أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) . وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الإنجيل كان موجوداً قبل ظهور الإسلام ومشهوراً بين خاصة العلماء »[1] .

إكتشافه :

وجدت نسخة من إنجيل برنابا في جو مسيحي خالص فإن « النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الإنجيل إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فينا . . . وأول من عثر على النسخة الايطالية ممن لم يعف التاريخ أثرهم هو كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا . . . ثم انتقلت إلى كريمر طولند ثم أهداها الأخير إلى البرنس أيوجين سافوي .

وجد النسخة الإيطالية راهب لاتيني يسمى (فرامرينو) وذلك إن هذا الراهب عثر على رسائل لا يريناپوس وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس الرسول وإن اريناپوس أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب (مرينو) المشار إليه شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل .

واتفق أنه أصبح حيناً من الدهر مقرباً من البابا سكتس الخامس فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا فران الكرى على أجفان قداسته فأحب (مرينو) أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه فكاد أن يطير فرحاً من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف حاملاً ذلك الكنز معه . فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي . . .

ثم إنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات وليس ذلك فقط بل لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ١٤٥

أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة »[1] .

بشاراته :

تحرم الكنيسة قراءة هذا الإنجيل ولا تعترف به لأنه يقوم على أسس تخالف عقائد الكنيسة تماماً فهو ينكر ألوهية المسيح وأنه ابن الله ويقول هو عبد الله ورسوله ، وينكر الصلب ، ويورد اسم محمد عليه السلام صراحة في كثير من المواطن ومن ذلك على سبيل المثال :

ما جاء في « ٣٩ : ١٤ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله » .

وجاء في الاصحاح الحادي والأربعين : « ٢٩ فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ٣٠ فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وفي الاصحاح الرابع والخمسين يتكلم على يوم الحشر إلى أن يقول :

« ٩ ثم يجيي الله بعد ذلك سائر الاصفياء الذين يصرخون : اذكرنا يا محمد » .

وفي « ٩٧ : ١٤ أجاب يسوع أن اسم مسيّا عجيب » إلى أن يقول : « قال الله أصبر يا محمد . . . ١٧ ان اسمه المبارك محمد » .

وفي « ١١٢ : ١٧ ولكني متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة » .

وفي « ١٦٣ : ٧ أجاب التلاميذ يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟

«٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب : انه محمد رسول الله » .

إلى غير ذلك من البشارات المبثوثة في هذا الإنجيل .

(١) مقدمة الدكتور خليل سعاده لإنجيل برنابا.

خاتمة البحث

وفي خاتمة البشارات نذكر قولاً للسيد المسيح يضع فيه ميزاناً لمعرفة النبي من الدعيّ الكذاب . جاء في إنجيل متى في الاصحاح السابع : « ١٥ إحترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . ١٦ من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ؟ ١٧ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع اثماراً ردية . ١٨ لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . فإذاً من ثمارهم تعرفونهم » .

هذا الكلام حق فإن الشجرة الجيدة تصنع ثماراً جيدة والشجرة الرديئة تصنع أثماراً رديئة .

وإذا طبقنا هذا القول على سيدنا محمد وعلى ثماره عرفنا أي منزلة في النبوة يحتلها هذا الرسول العظيم فقد عرّف الإنسان بربه تعريفاً لا تجده في دين من الأديان ونزهه عن التشبيه والتمثيل وعما لا يليق وجاء بالخير الشامل والعدل العام والإحسان إلى الخلق أجمعين وغير ذلك من السلوك النبيل العالي والخلق المتين القويم ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وعن كل ما يشين .

وقد ربى أصحابه على هذا الخلق العالي فلا تجد في الإنسانية نماذج أعلى من هذه النماذج بعد أنبياء الله .

ثم قال : كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . وعلى هذا فالشجرة التي تصنع ثمراً جيداً تنمو وتثبت لينتفع بها الخلق وهكذا شجرة الإسلام الثابتة الوارفة الظلال قال تعالى : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها »

فهذا الميزان الذي وضعه السيد المسيح أثبت لنا أن محمداً في أعلى مقامات النبوة وصحبه من أعلى مقام المؤمنين .

نرجو من الآخرين أن يختبروا الثمار وما أمر معرفتها بعسير .

كلمة أخيرة

بعد عرض هذه الدلائل العقلية من القرآن والحديث وعرض بشارات الكتب السماوية السابقة . تبين لكل ذي لب بصورة قاطعة أن محمداً نبي أرسله الله إلى الناس كافة بالحق الواضح والقسطاس المستقيم وأيده بالحجة القاطعة والبرهان المنير . بشرت به الأنبياء وذكرت اسمه ونعته الرسل . وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ليس بعده نبي ولا تشريع حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فالمهتدي من اهتدى بهديه والضال من حاد عن نهجه وقصده .

وإن القرآن كتاب الله العظيم أنزله تبياناً لكل شيء وشفاء لما في الصدور أقام به الحجة على خلقه . فقد جعل فيه من الدلائل العقلية على نبوة محمد ما فيه مقنع لكل ذي لب .

وقد جعل أعلام نبوته لائحة منشورة يهتدي بها كل من ابتغى الهدى من خلقه (وانزلنا إليكم نوراً مبيناً) .

وقد ذكرنا طرفاً من هذه الأعلام والدلائل ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الله فإن فيه ما يقنع العقل وتطمئن إليه النفس ويسكن معه الفؤاد على أن يستعين بالله ويسأله العون والسداد وأن يقرأه بعقل متدبر وقلب متيقظ فإن القرآن يعطيك أضعاف ما تعطيه من نفسك .

ولا بأس أن يستعين بكتب الدلائل فإن فيها مفتاحاً للوالجين وأعلاماً للسالكين . وأنا واثق بأن الله سبحانه سيؤتي رشده من يبتغي الرشد ويمنح هداه من يطلب الهدى وأنه تعالى سيفتح له ما استغلق ويقود له ما استعصى .

وهذا أمر جدير باطالة البحث والتنقيب وادامة التدبر والتفكير وأنت إن أفنيت عمرك في سبيله ثم حصلت عليه فما عمرك بفان ولا ما أنفقت عليه بذاهب فإنه أثمن مما أفنيت ، وأغلى مما أبليت ، وأحسن مما أعطيت . فليس ثمة شيء أغلى منه بضاعة

ولا أربح منه تجارة .

وليس في الخاسرين أخسر من رحل حرم اليقين .

نسأله تعالى العون والسداد والهدى والرشاد وأن يجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مَرَاجِعُ البحث

- القرآن الكريم
- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة لشهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي القرافي طبع بهامش كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق)
- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة للسيد محمد صديق حسن خان - مطبعة المدني - القاهرة
- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي تحقيق السيد أحمد صقر ط١ ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م - دار الكتاب الجديد
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي - مطبعة نهضة مصر
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير - المكتبة الإسلامية بطهران
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م
- أضواء على المسيحية - لمتولي يوسف شلبي ط١ ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م نشر الدار الكويتية
- إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي تحقيق عمر الدسوقي - مطبعة الرسالة - مصر
- أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي - المطبعة البهية بمصر ١٣١٩ هـ
- الله يتجلى في عصر العلم ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان نشر دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه
- الانتصاف من الكشاف لابن المنيّر طبع بحاشية (الكشاف) للزمخشري .
- إنجيل برنابا نشر السيد محمد رشيد رضا
- الإنجيل والصليب تأليف الأب عبد الأحد داود طبع بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ط٣ بمصر

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة لأكرم ضياء العمري - مطبعة الإرشاد ببغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
- البداية والنهاية لابن كثير ط١
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي نشر دار الكتاب العربي - بيروت
- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٦٢.
تثبيت دلائل النبوة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - دار العربية بيروت
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة ط١ سنة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م بمصر نشر السيد عزت العطار الحسيني
- تفسير ابن كثير - طبع بدار إحياء الكتب العربية.
- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - مؤسسة المطبوعات الإسلامية
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط٢ ١٣٧٧هـ - ١٩٥٤م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطبعة المدني بمصر
- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح لأبي البركات نعمان خير الدين الآلوسي ط١ - المطبعة الإسلامية - لاهور
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٠هـ
- ذيل الفارق تأليف عبد الرحمن بك باجه جي زاده طبع مع الفارق.
- ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح موسى بن محمد اليونيني ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م
- الرحلة المدرسية للشيخ محمد جواد البلاغي - مطبعة النعمان - النجف ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

- الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي المطبعة السلفية بمصر ١٣٧٢هـ
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ط٢، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ط١ ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م مطبعة المدني بمصر
- السنن الكبرى للبيهقي ط١ حيدر آباد الدكن - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٤٧هـ
- سنن النسائي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
- سيرة النبي ﷺ لمحمد بن اسحاق - هذبها ابن هشام - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - نشر محمد علي صبيح وأولاده - مطبعة المدني ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م
- صحيح البخاري طبع بمطابع الشعب بمصر
- صحيح مسلم - مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
- الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ط١، ١٩٥٨ مطبعة دار الجهاد
- الفارق بين المخلوق والخالق تأليف عبد الرحمن بك باجه جي زاده ط١ - مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٣هـ
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني اليماني ط١ طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة
- قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ط٣، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م
- كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف البطريق أفتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ م
- كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد مصور عن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢هـ من منشورات مؤسسة النصر - طهران
- الكتاب المقدس طبع في بريطانيا بمطبعة الجامعة - كامبردج
- الكشاف عن حقائق التنزيل لجار الله الزمخشري - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.